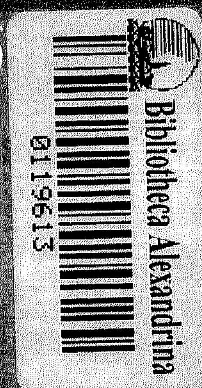
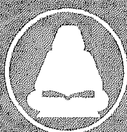


دراسات أدبية

مقارنة بين قصة هيبوليتوس ليوربيديس و قصة فايدرا لسينكا وفيدر لراسين

د. عزة محمد سليم سالم





دراسات أدبية

مقارنة بين قصة
هيبوليتوس ليوربيديس
وقصة
فايدرا لسينكا وفيدر لراسين

تأليف

د. عزة محمد سليم سالم



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٩

الإخراج الفنى : مراد نسيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بلغت المدنيـة فى جزيرة كريت درجة عالية فى الألف الرابعة قبل الميلاد . وامتدت هذه الحضارة إلى جزر بحر إيجة وإلى بلاد اليونان نفسها حوالى ١٦٠٠ ق . م . وكانت آثارها واضحة المعالم فى الحضارة الموقينية التى خلدها هوميروس فى الالياذة (حوالى ٨٥٠ ق . م) .

وكانت هناك صلات قوية بين جزيرة كريت وبين أثينة تركت معالم واضحة فى الديانة والأساطـير ، ولا سيما تلك القصص التى حيكت حول بطل أثينـة الأسطورى ، ثيسوس Theseus ، وقتله للمينوتور .

وكانت هذه القصة ذائعة فى أثينة فى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد ، لأنها فى الأصل قصة دينية تحـوى وقائع تاريخية ربطت أولا بين جزيرة كريت وجزر بحر إيجة ثم وصلت إلى اسبرطة وأثينة .

تقول الأسطورة ان أندروجيوس Androgeos بن مينوس ، ملك كريت ، لقى حتفه فى أتيكا ، وأن مينوس غزا أثينة ، وفرض عليها جزية شنيعة تتألف من سبع فتيات وسبعة شبان يرسلون كل تسع سنوات إلى جزيرة كريت ليفترسهم المينوتور ، أو ليموتوا جوعا فى قصر التيه . ولما ألح ثيسوس على أبيه أيجوس Aegeus أن يكون أحد هؤلاء الشبان السبعة ، سمح له أبوه على مضض . وسافر ثيسوس إلى جزيرة كريت ، وقتل المينوتور ، وعاد أدراجه من قصر التيه مستعينا بخيط أعطته له أريادنى Ariadne ابنة مينوس ، التى وقعت فى حبه وفرت معه . وقد تعددت الروايات التى تحكى مصير أريادنى ، قيل إن ثيسوس تركها فى جزيرة ناكسوس Naxos حيث ماتت وهى تضع . ويروى أن أرتيميس رمتها بسهم . وهاتان القصتان متصلتان ، لأن المرأة اليونانية التى تموت فى الولادة كان يقال إن أرتيميس رمتها بسهم .

وهناك رواية أخرى تقول إن الإله ديونيسوس تزوجها ورفعها إلى السماء ، كما أصبح الاكليل الذى أهداه لها مجموعة من النجوم تسمى بالاكليل Corona .

غفل ثيسوس ، كما غفل ربان سفينته ، عن تغيير القلاع السوداء بأخرى بيضاء تنفيذا لوصية أيجوس مما جر إلى انتحار أيجوس غرقا وتسمية البحر الإيجى باسمه .

وبموت أيجوس ، ارتقى ثيسوس عرش أتيكا . وينسب إليه توحيد أتيكا ، وهنا نطأ أرضا صلدة . فعملية التوحيد لابد فيها من جهود شخصية لأن أى جزء من أى قطر حريص على حريته واستقلاله .

وعندما غزت الأمازونيات أتيكا هزمهم ثيسوس ، وأسر ملكتهم وتزوجها ، وأنجبت له ابنا هو هيبوليتوس Ἱππόλυτος، وهو موضوع مسرحية يوربيديس التي نقوم بدراستها .

وتزوج ثيسوس بعد موت قرينته الأمازونية أختا لأردياني تسمى فايدرا Φαίδρα .

وهنا غموض في الأسطورة : هل فرت فايدرا مع ثيسوس بعد قتل المينوتور ؟ ولم تزوج ثيسوس غيرها ؟ أم هل عاد ثيسوس إلى جزيرة كريت ليخطب فايدرا برضاء أبيها مينوس ؟

وعلى أي حال ، فبعد هذا الزواج الذي أنجب طفلين ، وبعد أن بلغ هيبوليتوس سن الشباب ، أرسلت أفروديتي إلى قلب فايدرا حبا مدمرا لكل من فايدرا وهيبوليتوس .

وهذا الحب وآثاره هو موضوع قصتي هيبوليتوس الملثم وحامل الاكليل اللتين دبجهما يوربيديس ، كما هو موضوع قصة فايدرا التي كتبها سوفوكليس .

وقد وجد هذا الحب طريقه إلى الأدب الروماني في فيرجيل وأوفيد وسينكا الذي نظم قصة هيبوليتوس أوفيدرا . كما وجدت طريقها إلى الأدب الفرنسي في مسرحية راسين Phèdre .

بعض مميزات قصة هيبوليتوس الثانية :

أول هذه المميزات هو الازدواج dualité ، أو بالأحرى التقابل والتضاد وهذه خاصية أشتهر بها الشاعر الروماني ترنتيوس أفير Terentius Afer وإن لم يعرفها ميناندر Menander الذي أخذ منه ترنتيوس .

فنحن نجد فى قصة هيبوليتوس حامل الا كليل الإلهتين على طرف نقيض تلق احداها المقـدمة Prologos ، وتنطق الثانية بالخاتمة ، فيما عرف بالإله من الآلة deus ex machina .

والتقابل الثانى واضح بين الأب والابن . فالأب مغامر طموح والابن مغرم بالصيد ، عازف عن الحب والنساء .

والتقابل الثالث : وهو أمر طبيعى جدا ، بين فايدرا ومربيتها . فالمربيـة إمرأة عملية لا تفهم كتمان فايدرا لحبها ، وتفضيلها الموت على العار .

والتضاد الرابع هو ذاك الإحساس الغريب الذى أطار لب فايدرا من تعلق مطلق بالفضيلة وهوى جارف لابن زوجها ، أو على حد تعبير كروازيه Manuel الطبعة الثانية ، ص ٣١٠ :

La contradiction secrête d'un coeur qui veut et ne veut pas .

والتقابل الخامس : هو ما ورد من إشارات فى القصة إلى الصيد ، وشغف هيبوليتوس به . فهذا يدل فى رأى البعض على تضاد بين الطبيعة والإنسان .

والتضاد الأخير قائم فى بناء المسرحية ، فقـد انقسمت هـذه المسرحية إلى قسمين : احتلت النساء النصف الأول ، وخلا النصف الثانى تقريبا من النساء .

أما الجوقـة التى تتألف من نسـاء من بلدة تروزين فهى قاسم مشـترك بين الجزئين .

الفصـل الأول

قصة فايدرا لسوفوكليس

كتب سوفوكليس قصة عن فايدرا ضاعت ولم يبـق منها إلا إحدى عشرة شذرة تحوى خمسة وعشرين بيتا .

ولسنا ندرى تاريخ هذه القصة بالدقة ، وهل عرضت بعد قصة هيبوليتوس الأولى وقبل أن يعيد يور بيديس كتابة قصته الثانية .

وضياع قصة سوفوكليس أضاع علينا فرصة ذهبية للمقارنة بين عبقريين عاشا فى وقت واحد ، واختلفا فى الظاهر فى كل شىء .

وهذه الشذرات الباقية من قصة فايدرا لسوفوكليس — ككل البقايا التى وصلت إلينا من المؤلفات القـديمة — يصعب فهمها لضياع ما سبقها وما تلاها context . وأشق ما فى الأمر ترتيب هذه الشذرات بحيث يسهل معرفة تسلسل الحوادث فى القصة .

والسؤال الخطير : هل أشبهت قصة فايدرا لسوفوكليس قصة يور بيديس الأولى أو الثانيـة فى إفصاح فايدرا عن حبها لهيبوليتوس بنفسها أو قيام المربية بهذا الدور .

ويستدل من عدم هجوم أرستوفانيس على قصة سوفوكليس أن هذا الشاعر ابتعد عما أثار السخط على قصة يوربيديس الأولى [١] .

ولكن هـذا دليـل ضمنى ضعيف ، ككل الأدلة الضمنية . ولاسيما إذا تذكرنا إعجاب الناس قديما وحديثا بسوفوكليس .

ومن الممكن أن نشير إلى أمر قـد يكون له بعض القوة . وهـو أن مقدرة سوفوكليس الفنية الرائعة ، واغراقه الممتع فى التلاعب بالألفاظ قد باعدا بينه و بين الخطأ الذى وقع فيه يوربيديس لغرامه بتحليل العواطف النفسية .

وقد يستدل من تسمية القصـة بفايدرا أن دور فايدرا جاء فى المقـدمة ، أو بعبارة أخرى أنها كانت « بطلة » القصة .

ويظهر من احدى الشذرات التى قـد تشير إلى Cerberus أن ثيسوس كان قد هبط إلى الدار الآخرة . ولهذا انتشرت شائعـة سبقتها شذرة أخرى أن ثيسوس قد مات [٢] .

وهذه نقطة هامة جدا أغفلها النقاد فى القديم والحديث .

فـوت ثيسوس يقطع الرابطة الزوجيـة بينه و بين فايدرا . فإعلان فايدرا لغرامها بابن زوجها بعـد موت أبيه — سـواء قبـل أم رفض — أمر لا غبار عليـــه [٣] .

---

(١) Méridier فى مقدمته لطبعته فى مجموعة Budé ص ٢٥ .

(٢) شذراة ٣ ، ٤ .

(٣) قارن : راسين ، فيدر ، ٣٤٩ — ٣٥٤ ، ولاسيما ٣٥١ :

Thésée en expirant vient de rompre les noeuds.

الشــذرات

١ — تخاطب فايدرا الجوقة طالبة منها الصفح والصمت[1] :

σύγγνωτε κἀνάσχεσθε σιγῶσαι· τὸ γὰρ
γυναιξὶν αἰσχρὸν σὺν γυναῖκα δεῖ στέγειν.

وهذه الشذرة شبيهــة بمــا ورد فى قصة هيبوليتوس الثــانية على لسان فايدرا (سطر ٧١٢) :

σιγῇ καλύπτειν ἁνθάδ' εἰσηκούσατε.

وترد الجوقة على فايدرا (سطر ٧١٣ — ٧١٤) :

ὄμνυμι σεμνὴν Ἄρτεμιν, Διὸς κόρην,
μηδὲν κακῶν σῶν ἐς φάος δείξειν ποτέ.

والقسم بأرتيميس من عادة النساء ، كما يقسم الرجال بأبولون . ولكن هنــا تذكرة بالإلهة التى تحمى هيبوليتوس . ويقول باريت Rarrett فى طبعته ، تعليقا على هذين البيتين ، إن من واجب الجوقة الالتفات إلى تمثال أرتيميس لأداء فروض الإجلال . وهنا مقابلة بين ركوع أحد الخــدم أمام تمثــال أفروديتى فى المقــدمة prologus .

---

(١) Nauck ٦١٨ ، فيكلين ، ص ٥ ، باريت ، ص ٢٣ .

قارون : يوريبيديس ، أندروماخا ، ٩٥٤ — ٩٥٦ :

ἄγαν ἐφῆκας γλῶσσαν ἐς τὸ σύμφυτον
ἀλλὰ ὅμως χεών
κοσμεῖν γυναῖκας τὰς γυναικείας νόσους.

ترجمة الأستاذ الدكتور محمد سليم سالم « البدائع » ، ١ ، ص ٦٨ : « لقد أفرطت فى تسليط لسانك على بنات جنسك ، ومع أنك تستحقين الصفح ولك عذرك ، فإن على النساء ستر أدواء النساء »

والصمت واجب من واجبات الجوقة لوجودها فى المسرح طوال الوقت[1] .

٢ — وفى الشذرة الثانية تردد فايدرا صين الفكرة السالفة، ولكن من ناحية أخرى . فلا مفر من قضاء زوس . وعلى المرأة (أن تصبر على ما ينالها من أدواء النساء[2]) .

αἴσχη μέν, ὦ γυναῖκες, οὐδ' ἂν εἷς φύγοι
βροτῶν ποθ', ᾧ καὶ Ζεὺς ἐφορμήσῃ κακά
νόσους δ' ἀνάγκη τὰς θεηλάτους φέρειν.

ومشكلة القضاء والقدر، واللعنات المتوارثة، والجبرية عند اليونان من أقدم العصور حتى عصر سوفوكليس مشكلة عويصة معقدة .

وما ورد هنا يذكرنا بما تقول انتيجونا فى بداية قصة سوفوكليس التى تحمل اسمها (سطر ٢ — ٣) :

ἆρ' οἶσθ' ὅτι Ζεὺς τῶν ἀπ' Οἰδίπου κακῶν
ὁποῖον οὐχὶ νῷν ἔτι ζώσαιν τελεῖ.,

وتطور الفكرة من خضوع زوس لإلهات القدر ، ثم سيطرته على الأقدار فصل هام من تاريخ الديانة اليونانية ، جدير بالبحث والاستقصاء .

٣ — والشذرة الثالثة من الأهمية بمكان ، إذ تخاطب فيها الجوقة الملك ثيسوس Theseus الذى انتشرت شائعة أنه لقى حتفه[3] .

---

(١) هوراس ، رسالة إلى آل بيسو ، الرسائل ، ٢ ، ٣ ، ٢٠٠ :

ille tegat commissa .

وتطلب ميديا من الجوقة الصمت σιγᾶν إن وجدت طريقة للانتقام من زوجها ياسون ، ٢٦٠ — ٢٦٣ . انظر : تعليق Denys Page فى طبعته لقصة ميديا ، اكسفورد ١٩٣٨ ، تعليقا على سطر ٢٦٣ ، والأمثلة الكثيرة التى يشير إليها .

وقارن : أرسطو ، عن فن الشعر ، ١٨ (١٤٥٦) (٢٥ — ٣٢) ، عن دور الجوقة فى سوفوكليس ويوربيديس والمتأخرين من الشعراء مثل أجاثون .

(٢) Nauck ، ٦١٩ ، فيكلين ، ص ٥ ، باريت ، ص ٢٢ .

(٣) Nauck ، ٦٢٤ ، فيكلين ، ص ٦ ، باريت ، ص ٢٤ .

وليس هناك فيما ديج يو ر بيديس من إشارة إلى هذه الشائعة التي قالت إنها تغير الموقف تغييرا تاما .

و يرد ثيسوس في نفس القطعة ذاكرا القضاء والقدر مما يذكرنا بالشذرة الثانية :

οὐ γὰρ πρὸ μοίρας ἡ τύχη βιάζεται.

وقد ذكرت هذه الشائعة في قصة فايدرا لسينكا .

وقصة فيدر لراسين (سطر ٣١٧ ... ٣٢٠) .

وفي قصة فايدرا لسينكا إشارات واضحة إلى أن ثيسوس كان قد هبط إلى الدار الآخرة .

أما في قصة فيدر لراسين ، فإن ثيسوس يذكر أن ملك إبير Epire قد ألقى به في غياهب السجن .

٤ — وفي الشذرة الرابعة إشارة إما إلى Cerberus وفي هذه الحالة من الواضح أن ثيسوس يقص على الجوقة قصة هبوطه إلى الدار الآخرة ، وأن الكلب الذي يحرس الدار السفلى استقبل ثيسوس كصديق ، و إما أن الكلب المشار إليه في الشذرة هو أحد كلاب هيبوليتوس :[1] .

ἔσαινεν οὐρὰν ὦτα κυλλαίνων κάτω.

وجدير بالذكر أن الفعل κυλλαίνω لم يرد إلا في هذا الموضع Hapax legomenon وهو يعني κυλλόω أي يرخى الأذن مثلا .

٥ ... والشذرة الخامسة تشبه في رأى الكثيرين الأبيات ٦٥٥ وما بعدها من قصة أنتيجوني لسوفوكليس ، وهي تعني أن أية مدينة لا يسود فيها الأمن ،

(١) Nauck ، ٦٢٥ ، فيكلين ، ص ٦ ، باريت ، ص ٢٤ .

إذا كانت العدالة فيها توطىء بالأقدام ، أو كان يحكمها رجل شرير فنهايتها سوء المصير[1] .

οὐ γάρ ποτ' ἂν γένοιτ' ἂν ἀσφαλὴς πόλις,

ἐν ᾗ τὰ μὲν δίκαια καὶ τὰ σώφρονα

λάγδην πατεῖται, κωτίλος δ' ἀνὴρ λαβὼν

πανοῦργα χεροὶ κέντρα κηδεύει πόλιν.

٦ — أما الشذرة السادسة فإنها تحوى فكرة عمت مشارق الأرض ومغاربها . فالسعادة التامة أمر محال فى هذه الحياة الدنيا[2] .

τοὺς εὐτυχοῦντας πάντας ἀθρήσας βροτῶν

οὐκ ἔστιν ὄντως ἄντιν εὑρήσεις ἕνα.

وقد برزت هذه الفكرة فى اللقاء الخرافى بين سولون الأثينى و بين كرويسوس Kroisos ملك ليديا الذى ظن نفسه لضخامة ثرائه أنه أسعد الناس . فقال له سولون : لا تقل عن أحد أنه سعيد . قبل أن يوارى التراب (هيرودوت ، ١ ، ٧٦ ، ١٧) .

τὸ μηδένα εἶναι τῶν ζωόντων ὄλβιον.

وقد عاش كرويسوس حتى رأى صدق هذا القول بعد أن هزمه قورش Cyrus ملك الفرس ، وأخذه أسيرا .

---

(١) Nauck ، ٦٢٢ ، فيكلين ، ص ٦ ، باريت ، ص ٢٥ .

(٢) Nauck ، ٦٢٠ ، فيكلين ، ص ٦ ، باريت ، ص ٢٥ : أشار أرسطو فى كتاب الخطابة ، ٢ ، ٢١ ، ٢ (٣٩٤) إلى بيت من قصة Sthenepoea ليوربيديس (شذرة ، ٦٦١ فى طبعة Nauck) يتضمن هذا المعنى :

οὐκ ἔστιν ὅς τις πάντ' ἀνὴρ εὐδαιμονεῖ.

وهذا البيت موجود فى قصة الضفادع لأرستوفانيس ، سطر ١٢١٧ .

٧ — والشذرة السابعة تحوى فكرة شائعة بين اليونانيين وغيرهم من أن المرأة شر لابد منه[1] . ولا يمكن الجزم إلى أى شخص فى القصة تنسب هذه القطعة :

οὕτω γυναικὸς οὐδὲν ἂν μεῖζον κακὸν
κακῆς ἀνὴρ κτήσαιτ' ἂν οὐδὲ σώφρονος
κρεῖσσον· παθὼν δ'ἕκαστος ὧν τύχῃ λέγει.

وهذه القطعة تعكس رقة سوفوكليس واعتداله . فليس هناك شر أعظم من المرأة الشريرة κακῆς ، وليس هناك أفضل من المرأة العاقلة وكل ينطق بما لقى منهن .

وهذا عين ما نجد فى هسيودوس ، الأعمال والأيام ، ٧٠٢ — ٧٠٥ :

οὐ μὲν γάρ τι γυναικὸς ἀνὴρ ληΐζετ' ἄμεινον
τῆς ἀγαθῆς, τῆς δ'αὖτε κακῆς οὐ ῥίγιον ἄλλο,
δειπνολόχης· ἥτ' ἄνδρα καὶ ἴφθιμόν περ ἐόντα
εὕει ἄτερ δαλοῖο καὶ ὠμῷ γήραϊ δῶκεν.

(طبعة لويب ص ٥٤) أن هذه المرأة الرديئة تشوى زوجها مهما كان قويا دون نار ، وتسلمه إلى الشيخوخة المبكرة .

٨ — والشذرة الثامنة تتكون من بيت واحد يشار فيه إلى أهمية الأطفال فى حياة الأم[2] :

ἀλλ' εἰσὶ μητρὶ παῖδες ἄγκυραι βίου.

---

(١) Nauck ، ٦٢١ ، بارت ، ص ٢٥ .

(٢) Nauck ، ٦٢٣ ، بارت ، ص ٢٤ .

ويشير باريت فى تعليقه على البيت إلى استعمال يوربيديس فى قصة هيقبا ، ٨٠ ، لكلمة ἄγκυρα فى نفس المعنى :

ὃς μόνος οἴκων ἄγκυρ' ἔτι ἐμῶν.

ترجمة الأستاذ الدكتور عبد الله المسلمى ، ص ٦٨ : دعامة منزلى الوحيدة الباقية .

٩ — والشذرة التاسعة يبرر باريت Barrett نسبتها إلى هيبوليتوس ، وهى تحوى فكرة عامة تعنى أنه ليس من العدل أن يسر الرجل النبيل بأمر غير عادل . والمبرر لاقتطاف هذين البيتين هو معنى τέρπειν :[1]

οὐ γὰρ δίκαιον ἄνδρα γενναῖον φρένας

τέρπειν, ὅπου γε μὴ δίκαια τέρψεται.

١٠ — والشذرة العاشرة عن قوة الحب وسلطانه على الآلهة والبشر . حتى زوس القادر القاهر لا يقوى على صده ، بل يستسلم له[2] :

Ἔρως γὰρ ἄνδρας οὐ μόνους ἐπέρχεται

οὐδ' αὖ γυναῖκας, ἀλλὰ καὶ θεῶν ἄνω

ψυχὰς χαράσσει κἀπὶ πόντον ἔρχεται·

καὶ τόνδ' ἀπείργειν οὐδ' ὁ παγκρατὴς σθένει

Ζεύς, ἀλλ' ὑπείκει καὶ θέλων ἐγκλίνεται.

وتقابل هذه الشذرة التى ينسبها ستوبايوس إلى سوفوكليس ، وينسبها كليمنت السكندرى إلى يوربيديس ، حديث المربية فى قصة هيوليتوس الثانية ، سطر ٤٣٣ وما بعده .

---

(١) Nauck ، ٦١٦ ، ص باريت ص ٢٣ .

(٢) Nauck ، ٤٣١ ، باريت ، ص ٢٣ ، فيكلين ، ص ١١ .

وتتلخص المقطوعة كلها فى أن الحب لا غالب له .

ومن أجمل ما كتب عن سلطان الحب على الجميع ما نظم لوكريتيوس ، فى طبيعة الأشياء، De Rerum Natura ، وهو من المؤمنين بالحب كقوة وغريزة طبيعية، لا كقوة إلهية، الكتاب الأول، سطر ١ وما بعده Aeneadum genetrix

وتشبه هـذه الأبيات ما ورد فى قصة هيبوليتوس الثانية ، سطر ٤٤٧ وما بعـده :

φοιτᾷ δ' ἀν' αἰθέρ'

وكذلك نشيد الجوقة فى القصة نفسها الذى يبدأ من سطر ١٢٧٢ :

πατᾶται δὲ γαῖαν....

وعين هذه الفكرة نجـدها فى نشيد الجوقة فى سوفوكليس ، انتجونى ، سطر ٧٨٥ وما بعده :

φοιτᾷς δ'ὑπερπόντιος ἔν τ' ἀγρονόμοις αὐλαῖς.

وكذلك فى الأناشيد الدينية المنسوبة إلى هوميروس Homeric Hymns ، ٥ ، مناجاة أفروديتى ، وما بعده (طبعة لويب ، ص ٤٠٦ وما بعدها) :

Μοῦσά μοι ἔννεπε ἔργα πολυχρύσου Ἀφροδίτης
Κύπριδος, ἥτε θεοῖσιν ἐπὶ γλυκὺν ἵμερον ὦρσε
καί τ' ἐδαμάσσωτο φῦλα καταθνητῶν ἀνθρώπων
οἰωνούς τε διιπετέας καὶ θηρία πάντα,
ἠμὲν ὅσ' ἤπειρος πολλὰ τρέφει ἠδ' ὅσα πόντος.

١١ — الشذرة الحادية عشرة وهى تتكون من كلمتين اثنتين λόγους ἀπέπτυσεν, وأهمية هذه هى فى استعمال الفعل ἀποπτύω بمعنى يبصق .

وهو فى هذا الموضع يعنى الرفض باشمئزاز[1] .

قارن : يوربيديس ، هيبوليتوس ، ٦١٤ :

ἀπέπτυσ’’ οὐδεὶς ἄδικός ἐστί μοι φίλος.

(١) Nauck ، ٦١٧ ، باريت ، ص ٢٣ .

الفصـــل الثـانى

قصة هيبوليتوس الأولى ليوربيديس

فى تعليق قديم scholia على ثيوكريتوس Theocritus ، ١٠٤٢ إشارة إلى قيـام فايدرا بطقوس سحرية [١] . ومن الممكن أن القصة بدأت بهذا المنظر الذى يطلع النظارة على حب فايدرا لابن زوجهـا . ومن المحتمل أن المربيـة والجوقة حاولتا ردها عن هذا الحب الآثم ، وكان جوابها أن إيروس إله الحب هو قائدها ومرشدها ، وإن بالشجاعة يستطيع المرء أن يحظى بأمانيه . ومن البين أن ثيسوس كان غائبا ، وأن فايدرا قد تبرر وقوعها فى الحب بابتعاده عنها [٢] . وبعد أن

---

(١) قارن : فرجيل ، الإنيادة ، ٤ ، ٤٧٨ — وما بعده ، ديدو Dido تزعـم لأختها أنا Anna أنها محتاجة إلى السحر لإعادة إنياس إليها أو تنسى حبه .

(٢) Plut., De aud. Poetis, 28A

نسبت فى بارت ، ص ١٨ ، إلى يوربيديس ، ولكن فى فكاين ، ص ١١ تنسب إلى سوفوكليس :

καὶ ὁ σύσκηνος αὐτοῦ πάλιν ὁρᾷς ὅτι τήν τε
Φαίδραν καὶ προσεγκαλοῦσαν τῷ Θησεῖ
πεποίηκεν ὥς διὰ τὰς ἐκείνου παρανομίας
ἐρασθεῖσαν τοῦ Ἱππολύτου.

باحت فايدرا بنفسها بحبها لابن زوجها ، ثارت ثائرتهـا لرفض هيبوليتوس لهـذا الحب . فاتهمته بمحاولة الاعتداء عليها . و بعد عودة ثيسوس وعلمه بمـا حدث صب ثيسوس اللعنات على ابنه .

ولكن هل اتهمت فايدرا ابن زوجها وهى على قيد الحياة كما فعلت فى قصتى سينكا وراسين ؟ وهل انتحرت قبل إصابة هيبوليتوس أم بعد موته ؟

وفى نهاية القصة تظهر الإلهة أرتميس لتأمر بتنظيم عبادة لهيبوليتوس .

وهذه العبادة ، وهذا الإله من الآلة ، لا وجود له عند سينكا ، أو راسين .

بقايا قصة هيبوليتوس الأولى :

١ — فايدرا تناجى الإثير وضوء النهار . رؤية ضوء النهار لذيذة عند السعداء والأشقياء على السواء . والمتحدث يضع نفسه فى عداد الأشقياء [١] .

ὦ λαμπρὸς αἰθὴρ ἡμέρας θ' ἁγνὸν φάος,
ὡς ἡδὺ λεύσσειν τοῖς τε πράσσουσιν καλῶς
καὶ τοῖσι δυστυχοῦσιν, ὧν πέφυκ' ἐγώ.

والفقرة الأخيرة تحول بيننا و بين نسبة هذه الشذرة إلى ثيسوس الذى لا يمكن أن يعد نفسه شقيا بعد أن عاد إلى دياره .

قارن : مناجاة بروميثوس فى قصة بروميثوس لا يسخيلوس ، ٨٩ ، ٩٢ ، للأثير وللنسيم اترى ما حل به من عسف مع أنه إله :

ὦ δῖος αἰθὴρ καὶ ταχύπτεροι πνοαί,
ἴδεσθέ μ' οἷα πρὸς θεῶν πάσχων θεός.

= ترجمة الأستاذ الدكتور إبراهيم سكر ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٢٣٩ .

---

(١) Nauck ، ٤٤٣ ، فنكلين ، ص ١١ ، باريت ١٨ .

٢ — فايدرا تفكر فى لقاء هيبوليتوس لتبوح له بحبها . ومعلمها ومرشدها فى هذه الشدائد هو إيروس إله الحب الذى لا يقهر[١] :

ἔχω δὲ τόλμης καὶ θράσους διδάσκαλον
ἐν τοῖς ἀμηχάνοισιν εὐπορώτατον
Ἔρωτα, πάντων δυσμαχώτατον θεόν.

٣ — ومن الممكن أن فايدرا حرضت هيبوليتوس على الاستيلاء على العرش . فإذا فرضنا أن شائعة موت ثيسوس التى رأيناها فى قصة فايدرا لسوفوكليس لم يكن لها مكان فى قصة هيبوليتوس الأولى ، فإن الحب قد أعمى فايدرا عن واجبها نحو زوجها ونحو أولادها[٢] :

οὐ γὰρ κατ' εὐσέβειαν αἱ θνητῶν τύχαι,
τολμήμασιν δὲ καὶ χερῶν ὑπερβολαῖς
ἁλίσκεταί τε πάντα καὶ θηρεύεται.

ومن رأيي أن استخدام كلمة θηρεύεται متعمدة فهى من ألفاظ الصيد الذى يهواه هيبوليتوس .

غير أن الفكرة عامة ، فالدنيا تؤخذ غلابا ، وفاز باللذة الجسور .

٤ — والشذرة الرابعة لا ندرى إلى من تنسب . ولكن المعنى واضح . فالضرورة أحكامها . وهى أقوى من القانون . وقديما قالوا إن الضرورات تبيح

---

(١) Nauck ٤٣٥ ، فيكاين ، ص ١١ ، باريت ١٨ .

(٢) Nauck ، ٤٣٤ ، فيكاين ، ص ١٢ ، باريت ص ١٨ .

المحظورات[1] :

ἔγωγέ φημι καὶ νόμον γε μὴ σέβειν
ἐν τοῖς δεινοῖς τῶν ἀναγκαίων πλέον.

وفى طبعة فيكلين Wecklein نجد σθένειν ، بدلا من σέβειν

٥ — والشذرة الخامسة تحوى فكرة يونانية عن الصلة بين الثراء وبين تعدى الحدود ὕβρις[2] :

ὕβριν τε τίκτει πλοῦτος, οὐ φειδώ, βίου.

وقد وضع باريت الفاصلة بعد كلمة φειδώ ، وهى غير موجودة فى طبعة فيكلين .

٦ — ويتصل بالشذرة السابعة قطعة أخرى تردد نفس المعنى[3] :

ὁρῶ δὲ τοῖς πολλοῖσιν ἀνθρώποις ἐγὼ
τίκτουσαν ὕβριν τὴν πάροιθ' εὐπραξίαν.

ويربط باريت بين الشذرتين (٥ ، ٦) ، ويضع الأولى على لسان ثيسوس وهو يؤنب ابنه ، وينسب الثانية إلى هيبوليتوس وهو يرد على أبيه . ولكن فكلين ينسب القطعتين إلى المربية .

ومن المعروف أن يوربيديس ولعا بوضع الكثير من الحكم والأمثال على ألسنة الخدم والأتباع .

---

(١) Nauck ، ٤٣٣ ، فيكلين ، ص ١٢ ، باريت ص ٢١ .

(٢) Nauck ، ٤٣٨ ، فيكلين ، ص ١٢ باريت ، ص ٢٥ .
قارن : سوفوكليس ، أوديب ملكا ، ٨٧٣ : ὕβρις φυτεύει τύραννον.

(٣) Nauck ، ٤٣٧ ، فيكلين ، ص ١٢ ، باريت ، ص ٢ .

وعن أثر الثراء على السلوك ، قارن : أرسطو ، ريطوريقا ، ٢ ، ١٦ ، ١ (١٣٩٠ ص ٣٢ — ١٣٩١ / ١٩) ، طبعة كوب ، ٢ ص ١٦٥ :

τῷ δὲ πλούτῳ ἃ ἕπεται ἤθη ἐπιπολῆς ἴστιν

ἰδεῖν ἅπασιν· ὑβρισταὶ γὰρ καὶ ὑπερήφανοι.

وانظر : ليسياس ، ٢٤ : عن السطاء ، ١٥ — ١٨ : ترجمة الأستاذ الدكتور محمد سليم سالم ، البدائع ، ١ ، ص ٩٩ .

وعن الجشع فى اقتناء الأموال وما يجر إليه من ارتكاب الجرائم ، انظر : فرجيل ، الانيادة ، ٣ ، ٥٦ — ٥٧ :

quid non mortalia pectora cogis
auri sacra fames .

٧ — والشذرة السابعة تلخص الحكمة الذهبية : خير الأمور الوسط ، ولكن الذين يؤمنون بالرهبنة ينصحون بالابتعاد عن الحب إذ لا خير فيه [1] :

οἱ γὰρ Κύπριν φεύγοντες ἀνθρώπων ἄγαν

νασοῦσ' ὁμοίως τοῖς ἄγαν θηρωμένοις.

وهذه النصيحة من الواضح أنها موجهة إلى هيبوليتوس . ولكن إلى من تنسب ؟ إلى المربية ؟ وهى تشبه نصيحة التابع فى أول قصة هيبوليتوس الثانية ، سطر ٨٨ وما بعده . كما يقابلها فى قصة فايدرا لسينكا نصيحة المربية .

والحق أن الفضيلة وسط بين حدين .

---

(١) Nauck ، ٤٢٨ ، فيكلين ، ص ١٢ ، باوريت ، ص ١٩ .

٨ — ومعنى هذه القطعة غير واضح تماما [(١)] :

τί δ' ἢν λυθείς με διαβάλῃς παθεῖν σε δεῖ;

وقد يكون المعنى العام للشذرة : ماذا يصيبك لو حنثت فى يمينك واتهمتنى؟

وهذا رأى فيكاين الذى يقدر ὅρκου بعد λυθείς .

ومعروف أن اليونان والرومان كانوا — إذا أقسموا — استنزلوا اللعنات على أنفسهم إن حنثوا فى أيمانهم .

قارن : يوربيديس ، ميديا ، ٧٥٤ :

τί δ' ὅρκῳ τῷδε μὴ μένων πάθοις.

وانظر تعليقات Denys L. Page على هذا البيت فى طبعته لقصة ميديا ، ص ١٢٦ — ١٢٧ .

وقارن : ليفى ، ١ ، ٢٤ ، ٨ (طبعة اكسفورد) :

populum Romanum sic ferito ut ego hunc porcum hodie feriam tantoque magis ferito, quanto magis potes pollesque.

ويشير فرجيل الانيادة ، ٨ ، ٦٤٢ — ٦٤٣ ، إلى العقوبة التى نزلت بزعيم الألبانيين :

haud procul inde citae Mettum in diversa quadrigae distulerant, at tu dictis, Albane, maneres.

٩ — والشذرة التاسعة تشير إلى أن النساء شر مستطير [(٢)] :

ἀντὶ πυρὸς γὰρ ἄλλο πῦρ
μεῖζον ἐβλάστομεν γυναῖ-
κες πολὺ δυσμαχώτερον.

(١) Nauck ، ٤٣٠ ، فيكاين ، ص ١٢ ، بارت ، ص ١٩ .

(٢) Nauck ، ٤٢٩ ، فيكاين ، ص ١٢ ، بارت ص ٢٠ .

ومن المحتمل أن تكون فايدرا على وشك اتهام هيبوليتوس . فإن كان الأمر كذلك ، فهذه القطعة تقابل سينكا ، فايدرا ، ٨٢٤—٨٢٨ [١] :

quid sinat inausum feminae praeceps furor?
nefanda iuveni crimina insonti apparat.
En scelera!

وفى مطلع قصة ليسيتراتا Lysistrata لأرسطو فانيس ، سطر ٩ وما بعده تبدى ليستراتا قلقها لأن الرجال يظنـون أن النساء شريرات . وترى كلينونيكى أنهن كذلك ، قسما بزوس :

καὶ γάρ ἐσμεν νὴ Δία.

١٠ — نداء إلى الحياء αἰδώς أن يزيل من عقول البشر ما هو شائن .

ويمكن أن تنسب هذه الشذرة إلى ثيسوس وهو يؤنب ابنه أو إلى هيبوليتوس وهو يوبخ فايدرا [٢] :

ὦ πότνι' αἰδώς, εἴθε τοῖς πᾶσιν βροτοῖς
συνοῦσα τἀναίσχυντον ἐξῄρου φρενῶν.

وتعنى كلمة الحياء αἰδώς المعنى العربى القديم فى القول السائر : الحياء من الإيمان ، ومن لا حياء فيه لا خير فيه . وواضح من كلمة πότνια أن المتحدث يناجى إلهة الحياء . وتقابل هذه القطعة مناجاة الإلهة الحياء pro sancta Pudor فى سينكا ، فايدرا ، سطر ٩٠٢ وما بعده وقد ضم إلى الإلهة الحياء فى سينكا إله السماء وإله البحر .

(١) Nauck ، ٤٣٦ ، فيكاين ، ص ١٣ ، باريت ص ١٩ .

(٢) Nauck ، ٤٣٦ ، فيكاين ، ص ١٣ ، باريت ص ١٩ .

١١ — يأسف المتحدث فى الشذرة الحادية عشرة ، ولعله ثيسيوس ، أن أفعال الناس ليس لها صوت φωνή ولهذا استطاع الفصحاء إخفاء الحقائق وتمويه الوقائع[1] :

φεῦ φεῦ, τὸ μὴ τὰ πράγματ' ἀνθρώποις ἔχειν
φωνήν, ἵν' ἦσαν μηδὲν οἱ δεινοὶ λέγειν·
νῦν δ' εὐρόοισι στόμασι τἀληθέστατα
κλέπτουσιν, ὥστε μὴ δοκεῖν ἃ χρὴ δοκεῖν.

وهذه الفكرة رددها يوربيديس فى قصة هيبوليتوس الثانية ، سطر ٩٢٥ وما بعده :

φεῦ, χρῆν βροτοῖσι τῶν φίλων τεκμήριον
σαφές τι κεῖσθαι καὶ διάγνωσι φρενῶν.

وهناك موضع شهير مماثل فى قصة ميديا ، سطر ٥١٦ — ٥١٩ :

ὦ Ζεῦ τί δὴ χρυσοῦ μὲν ὃς κίβδηλος ᾖ
τεκμήρι' ἀνθρώποισιν ὤπασας σαφῆ,
ἀνδρῶν δ' ὅτῳ χρὴ τὸν κακὸν διειδέναι,
οὐδεὶς χαρακτὴρ ἐμπέφυκε σώματι;

وانظر تعليق Denys L. Page فى طبعته لمسرحية ميديا ، ص ١١٠ .

وقد حذا راسين ، فيدر ، سطر ١٠٣٩ — ١٠٤٠ ، حذو يوربيديس فى ترديد هذه الفكرة :

Et ne devrait-on pas à des signes certains
reconnaitre le coeur des perfides humains

---

(١) Nauck ، ٤٣٩ ، نيكلين ، ص ١٤ ، باريت ، ص ٢١ .

ولكن هناك رأى مخالف فى قول الشاعر العربى :

أحسن الله بنا   أن الخطايا لا تفوح

١٢ — Nauck ، ٤٤١ ، فيكاين ، ص ١٤ ، باريت ، ص ٢١ .

هذه الشذرة عن الزمان الذى يكشف فى سيره حقيقة كل شىء :

χρόνος διέρπων πάντ' ἀληθεύειν φιλεῖ.

تشبه ما جاء فى قصة هيبوليتوس الثانية ، سطر ١٠٥١ — ١٠٥٢ :

οἴμοι, τί δράσεις; οὐδὲ μηνυτὴν χρόνον

δέξῃ καθ' ἡμῶν, ἀλλά μ' ἐξελᾷς χθονός;

قارن : سوفوكليس ، أوديب ملكا ، ٦١٣ — ٦١٥ :

ἐπεὶ

χρόνος δίκαιον ἄνδρα δείκνυσιν μόνος,

κακὸν δὲ κἂν ἐν ἡμέρᾳ γνοίης μιᾷ.

١٣ — معنى هذه الشذرة غير واضح . ولكن لا ريب فى أنها من وصف الرسول للحادث : Nauck ، ٤٤٢ ، فكاين ، ص ١٤ ، باريت ، ص ٢٢ .

πρὸς ἵππων εὐθὺς ὁρμήσας στάσιν.

وربما كان المعنى أنه بعد أن سارع هيبوليتوس لوقف العربة أصيب بواسطة الخيول .

ومن الطبيعى أن يحمل الرسول هذا الخبر المحزن .

ففى قصة هيبوليتوس الثانية يبدأ الرسول حديثه من سطر ١١٥٣ ومابعده .

وفى قصة فايدرا لسينكا يبدأ الرسول حديثه من سطر ٩٩١ وما بعده

وكذلك فى قصة فيدر لراسين يصف الرسول موت هيبوليتوس من سطر ١٤٨٨ وما بعده .

١٤ — ياثيسوس إنى أوجه إليك أحسن نصيحة : لا تصغ إلى امرأة ولو صدقت : Nauck ، ٤٤٠ ، فيكان ، ص ١٤ ، باريت ص ٢٠ .

Θησεῦ περαινῶ σοι τὸ λῷστον, εἰ φρονεῖς,

γυναικί πείθου μηδέ τἀληθῆ κλύων·

ولا نستطيع أن نجزم إلى من تنتسب هذه النصيحة ، ونسبتها إلى هيبوليتوس يدفعها التعبير εἰ φρονεῖς ونداء الملك باسمه ، ومن الممكن أن تنسب إلى الرسول ، أو إلى أى من أتباع الملك ، وتقترب من هذه الشذرة الأبيات ١٢٥٠ — ١٢٥٤ التى ترد فى قصة هيبوليتوس الثانية على لسان الرسول :

ἀτὰρ τοσοῦτόν γ' οὐ δυνήσομαί ποτε,

τὸν σὸν πιθέσθαι παῖδ' ὅπως ἐστὶν κακός,

οὐδ' εἰ γυναικῶν πᾶν κρεμασθείη γένος

καὶ τὴν ἐν Ἴδῃ γραμμάτων πλήσειέ τις

πεύκην, ἐπεί νιν ἐσθλὸν ὄντ' ἐπίσταμαι.

وقد اتهم النساء دائما بالكذب ، يقول كاتلوس ، ٧٠ ، ١ — ٤ ، ولاسيما ٣ — ٤ :

. . . sed mulier cupido quod dicit amanti

in vento et repida scribere oportet aqua .

ويقول فرجيل ، الانيادة ، ٤ ، ٥٦٩ — ٥٧٠ :

. . . varium et mutabile semper

femina

ونحن نجد فى الشعر العربى تأييدا مطلقا لهذا الرأى :

و إن حلفت لا ينقض النأى عهدها   فليس لمخضوب البنان يمين

١٥ — شذرة معناها غير واضح وموضعها غير بين :

ἀλλ' οὐ γὰρ ὀρθῶς ταῦτα κρίνουσιν θεοί.

Nauck ، ٤٤٥ ، فيكلين ، ص ١٤ ، باريت ، ص ٢٢ .

١٦ — Nauck ، ٤٤٤ ، باريت ، ص ٢٢ ،

ὦ δαῖμον, ὡς οὐκ ἔστ' ἀποστροφὴ βροτοῖς
τῶν ἐμφύτων τε καὶ θεηλάτων κακῶν.

يرى باريت أن الشذرة ربما وردت فى آخر القصة، وقد ماتت فايدرا ، وظهرت الحقيقة .

ومعنى الشذرة واضح . فليس هناك مفر من الشرور التى جبل عليها الناس .

١٧ — Nauck ، ٤٣٢ ، باريت ، ص ٢١ .

αὐτός τι νῦν δρῶν εἶτα δαίμονας κάλει·
τῷ γὰρ πονοῦντι καὶ θεὸς συλλαμβάνει.

Stobaeus ينسبها إلى قصة هيبوليتوس .

وربما جاءت على لسان هيبوليتوس بعد أن لعنه أبوه .

ومعنى الشذرة واضح : افعل أنت نفسك شيئا ما ، ثم ناد الآلهة . فالإله يساعد من يبذلون جهدهم .

وهذا يشبه القول السائر : إن الإله يساعد من يساعد نفسه .

١٨ — عبادة البطل ἥρως هيبوليتوس[1] .

ὦ μάκαρ, οἵας ἔλαχες τιμάς,

Ἱππόλυθ' ἥρως, διὰ σωφροσύνην

οὔποτε θνητοῖς.

ἀρετῆς ἄλλη δύναμις μείζων.

ἦλθε γὰρ ἢ πρόσθ' ἢ μετόπισθεν.

τῆς εὐσεβείας χάρις ἐσθλή.

ويقابل هذا التبجيل ما يضع يوريبيدس على لسان الإلهة أرتيميس فى قصة هيبوليتوس الثانية سطر ١٤٢٣ وما بعده .

---

(١) Nauck ، ٤٤٦ ، ص ١٥ ، بارنت ، ص ٢٢ .

الفصل الثالث

قصة هيبوليتوس الثانية ليوربيديس

عرضت هذه القصة كما جاء فى المقدمة ὑπόθεσις = argumentum فى عام ٤٢٨ ق . م . فى السنة الرابعة من الأولمبيادة السابعة والثمانين وى عهد الأرخون إبامينون Ἐπαμεῖνων [1] .

وحصلت على الجائزة الأولى .

وهى حقا قصة رائعة ، شهد لها بذلك كاتب المقدمة ، إذ يقول :-

τὸ δὲ δρᾶμα τῶν πρώτων.

وتعطى المقدمة السبب فى إعادة كتابة هذه المسرحية مرة أخرى . فالجزء الذى اعتبر غير لائق ἀπρεπές فى القصة الأولى هو ذلك المنظر الذى تعترف فيه فايدرا نفسها بحبها لهيبوليتوس نفسه [2] .

(١) اعتبر كل من فيكلين . ص ٢٤ ، وباريت ، ص ٩٦ ، المقدمتين الأولى والثانية مقدمة واحدة . أما Méridier ، ص ٢٧ ، فقد اعتبرهما مقدمتين منفصلتين .

ونشير الأبيات الأخيرة فى قصة هيبوليتوس الثانية إلى موت بركليس فى سنة ٤٢٩ ق . م .

(٢) ἐμφαίνεται δὲ ὕστερος γεγραμμένος· τὸ γὰρ ἀπρεπὲς καὶ κακηγορίας ἄξιον ἐν τούτῳ διώρθωται τῷ δράματι.

يشير أرستوفانيس ، الضفادع ، ١٠٤٣ ، إلى فايدرا بلفظ فاجر πόρνη .

ويوجد مثيل لهذا المنظر فى مسرحية فايدرا لسينكا [1] ، مما يبرر القول إن سينكا أخذه عن قصة هيبوليتوس الأولى .

ومن الجائز أن ما أثار جمهور الاثينيين وأزعجهم إغراق يوربيديس فى تحليل قلب فايدرا ، وإبراز أحاسيس المرأة الولهانة . وكان النظارة فى أثينة رجالا ونساء يرون ستر أمثال هذه العواطف الجياشة [2] .

تبدأ القصة بمقدمة Prologus تلقيها الإلهة أفروديتى تلخص فيها أحداث القصة . ويبرز فى هذه المقدمة أن هيبوليتوس هو ابن ثيسوس ، وأمه أمازونية ، وأنه نشأ وتربى فى رعاية جده لأبيه ، پتثوس Pittheus ، فى بلدة ترويزين . وأن وقائع المسرحية تدور فى هذه البلدة [3] .

ولا يذكر يوربيديس اسم أم هيبوليتوس ، وإن أشار الى أنها أمازونية

---

(١) سينكا ، فايدرا ، ٦٧١ : miserere amantis

راسين ، فيدر ، ٦٧٣ : J'aime

من المؤكد أن راسين أخذ هذا المنظر من سينكا .

(٢) أرستوفانيس ، الضفادع ، ١٠٥٣ — ١٠٥٤ :

ἀλλ' ἀποκρύπτειν χρὴ τὸ πονηρὸν τόν γε ποιητὴν,
καὶ μὴ παράγειν μηδὲ διδάσκειν.

(٣) يوربيديس ، هيبوليتوس ، ١٠ — ١٢ :

ὁ γάρ με Θησέως παῖς, Ἀμαζόνος τόκος,
Ἱππόλυτος, ἁγνοῦ Πιτθέως παιδεύματα,
μόνος πολιτῶν τῆσδε γῆς Τροιζηνίας.

فى قصة ميديا ، ٦٨٣ — ٨٦٧ ، ثناء عاطر على Πιτθεύς

مرتين ، مرة فى المقـدمة على لسان الإلهـة أفروديتى ، ومرة أخرى على لسان المـربية [1] .

وقد قيـل إن اسمها Antiope أو Hippolyte . وواضح أن الاسم الأخير مرتبط باسم ابنها . وقد ذكر أيضا فى قصة فايدرا لسينكا أن ثيسوس قتلها [2] .

ولما كانت الأمازونيات غير يونانيات ، فإن الزواج منهن غير شرعى وأبناؤهن لا حظ لهم فى العرش . ويشير يوربيديس إلى هـذه القاعدة فى قصة ميديا [3] .

وجدير بالذكر أن قصة فايدرا لسينكا تخالف القصة الثانية ليوربيديس فى أنه ليس لقصة فايدرا عند سينكا مقدمة ، وإن فى بداية القصة نجـد هيبوليتوس يستعد فى الصباح للذهاب إلى الصيد [4] ، أما فى قصة هيبوليتوس ليوربيديس فهو عائد من الصيد يحمل اكليلا للإلهة أرتيميس . ويمثل المسرح فى قصة فايدرا لسينكا مدينة أثينة ، أما عند يوربيديس فيمثل المسرح بلدة تروزين . وليس هناك تدخل من الآلهة عند سينكا .

---

(١) يوربيديس ، هيبوليتوس ، ٣٠٧ :

μὰ τὴν ἄνασσαν ἱππίαν Ἀμαζόνα.

(٢) سينكا ، فايدرا ، ٩٢٦ — ٩٢٩ :

iam iam superno numini grates àgo ,
quod icta nostra cecidit Antiope manu .

(٣) يوربيديس ، هيبوليتوس ، ٣٠٩ : νόθον

يوربيديس ، ميديا ، ٥٩١ — ٥٩٢ :

ἀλλὰ βάρβαρον λέχος
πρὸς γῆρας οὐκ εὔδοξον ἐξέβαινέ σοι.

(٤) سينكا ، فايدرا ، طبعة Budé ، مقدمة ١٧٦ :

Avant de s'élancer sur la piste du gibier .

يبرز فى المقدمة التى تنطق بها افروديتى فى قصة هيبوليتوس الثانية وفى الحوار الذى يليها بين أحد الخدم وبين هيبوليتوس الخطأ ἁμαρτία = ἁμάρτημα = culpa ، الذى ارتكبه هيبوليتوس والذى يصل إلى جريمة تعدى الحدود ὕβρις فى حق الإلهة افروديتى .

والظاهر أن يوربيديس تعمد إظهار هذا الخطأ . فأفروديتى تقول فى سطر ١٢ ، إن هيبلويتوس يقول عنها إنها أردأ الآلهة [١] .

كما أن هيبلويتوس ، فى رأى أفروديتى ، يسرف فى عبادة أرتميس ويتطلع إلى مودة أكبر مما يليق بالبشر . [٢] وتعترف أرتميس فى نهاية القصة بأنها كانت أحب الآلهة إلى قلب هيبوليتوس [٣] .

ولا تغفل أفروديتى اتهام هيبوليتوس بالصلف والغطرسة [٤] .

ولكن هذه النقطة تظهر بوضوح أكبر فى الحوار الذى يدور بين هيبوليتوس وأحد الخدم [٥] .

وعندما يعجز الخادم عن اقناع هيبوليتوس ، يتجه إلى الإلهة أفروديتى ويلتمس منها الصفح عن سلوك شاب مثل هيبوليتوس .

(١) λέγει κακίστην δαιμόνων πεφυκέναι.

(٢) يوربيديس ، هيبوليتوس ، ١٩ :

μείζω βροτείας προσπεσὼν ὁμιλίας.

(٣) يوربيديس : هيبوليتوس ، ١٣٩٤ :

σοί γε φιλτάτη θεῶν.

(٤) يوربيديس ، هيبوليتوس ، ٦ :

σφάλλω δ' ὅσοι φρονοῦσιν εἰς ἡμᾶς μέγα.

(٥) يوربيديس ، هيبوليتوس ، ٩٣ — :

Μισεῖν τὸ σεμνὸν καὶ τὸ μὴ πᾶσιν φίλον.

ولكن أفروديتى فى المقدمة prologus لا يبدو عليها أنها أعقل من البشر .

فلا يستطيع أحد أن يـبرر ما جاء على لسان أفروديتى نفسها من اتخاذ فايدرا كأداة لتنفيذ مآربها . ولا يستسيغ أحد وصفها لضحيتها بكلمة εὐκλεής ، فهذا اللفظ أقبح من كلمة pius فى وصف إينياس بعد هجره لديدو Dido .

وتهـدد أرتيميس فى آخر القصة بأنها ستنتقم من أفروديتى التى ترميها بأنهـا شريرة πανοῦργος بسفك دم أحد أحباب أفروديتى المقربين .

وأمثال هذه الإشارات الموجهة ضد سلوك الآلهة تبرر رأى من يدعون أن يوربيديس كان يقدح فى آلهة اليونان عن عمد .

يبرهن على ذلك ما جاء على لسان كريوسا فى قصة ايون Ion من قذف مقذع فى الإله أبولون . وإن كان جهل كريوسا بالوقائع الصحيحة هو الذى حملهـا على ذلك .

كما أن الطعن فى أبولون ومهبط وحيه بعـد أن انضم إلى اسبرطة كان أمرا مقبولا فى أثينة .

أما خطأ ἁμαρτία فايدرا فليس فى هذا الحب الآثم الذى فرض عليها ،ولكن فى توجيه ذلك الاتهام الكاذب لابن زوجها ، حتى لو قلنا إن له ما يبرره إلى حد ما . إذ كان من الممكن لهيبوليتوس ، بدلا من الثـورة العارمة أن يقابل حب فايدرا بالرفض والتسامح ، فهى فى مركز أمه .

وموضوع الخطأ ἁμαρτία الذى تحـدث عنه أرسـطو فى فن الشعر ، ١٣ (١٤٥٢ب ٢٨ وما بعده)هو أساس لنظرية النقد الأخلاق moral criticism .

ولكن من العسير تطبيق هذا الرأى الأرسطى على المسرحيات اليونانية التى وصلت إلينا .

بجرائم ميديا أعظم من أن تكون خطأ بسيطا culpa . ثم إنها تجو دون أن يمسها أى جزاء .

وليس هناك ما يبرر سقوط أنتيجونى التى كانت تنفذ قانونا سماويا . ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

ومن الممكن أن أرسطو ابتدع نظريته هذه لتطبق على قصة أوديب ملكا التى اعتبرها أحسن ما يمكن أن يصل إليه أى شاعر يونانى من شعراء المسرح .

فما الخطأ الذى ارتكبه أوديب ، أو اقترفته يوكاستا ؟ إذ لا جريمة دون قصد .

ولكن الشاعر المسرحى مضطر إلى أن يسير وراء الأسطورة .

كما أن القصد أو النية intention لم تكن تكون ركنا من أركان الجريمة فى اليونان القديمة ، بدلنا على ذلك أن الإثم μύσος يلحق الحيوان والجماد . وهذا واضح فى قانون العقوبات الذى أقره دراكون (١) .

---

(١) Demosthenes, agaist Aristocrates, ed. Whiston, 645, 89 ff, p. 427 — 428: τέταρτον τοίνυν ἄλλο πρὸς τούτοις τὸ ἐπὶ πρυτανείῳ· τοῦτο δ' ἔστιν, ἐάν λίθος ἢ ξύλον ἢ σίδηρος ἤ τι τοιοῦτον ἐμπεσὸν κατάξῃ καὶ τὸν μὲν Θανόντα ἀγνοῇ τις, αὐτὸ δὲ εἰδῇ καὶ ἔχῃ τὸ τὸν φόνον εἰργασμένον, τούτοι ἐνταῦθα λαγχάνεται.

= ترجمة Rann Kennedy . ch طبعة مكتبة البون Bohn ، ١٨٥٦ ص ١٩٢ .

Aeschines, Contra Ctesiphontem 244: καὶ γὰρ ἂν εἴη δεινόν, ὦ 'Αθηναῖοι, εἰτὰ μὲν ξύλα καὶ τοὺς λίθους καὶ τὸν σίδηρον, τὰ ἄφωνα καὶ ἀγνώμονα, ἐὰν τῷ ἐμπεσόντα ἀποκτείνῃ, ὑπερορίζομεν, καὶ ἐάν τις αὑτὸν διαχρήσηται, τὴν χεῖρα τοῦτο πράξασαν χωρὶς τοῦ σώματος θάπτομεν.

هذا يدل على أن يد المنتحر لم تكن تدفن مع بقية جسده .

ولكن الأساطير التى حيكت بحسن نية حول الآلهة أصبحت فى القرون التالية عبأ ثقيلا ترزح تحته الديانة اليونانية .

وقد انقسم الناس نحو هذه الخرافات إلى فريقين : فريق يرفضها رفضا باتا ، ومن هؤلاء يوربيديس وسقراط ، وفريق ينحو نحو تفسير هذه الحكايات تفسيرا منطقيا .

فهيقيا ترفض فى قصة نساء طروادة ، سطر ٩٧١ وما بعده ، ما يقـال عن تحكيم ابنها باريس بين الإلهات الثلاث . وتقول لهيلانة التى تدافع عن نفسهـا بأنها كانت ضحية للإلهة أفروديتى إن هـذا زعم مردود ، وإن الهوى الجـامح كان السبب الفعلى فى هروبها مع باريس .

ويشبه ذلك رفض هرقل المجنون ، سطر ١٣٤١ لإفك الأساطير التى أذاعها شعراء اليونان[1] .

وقد اتفق بندار Pindaros مع كتاب المسرح فى نبذ الأساطير التى تمس شرف الآلهـة[2] .

وفى قصة فايدرا لسينكا ، سطر ١٠٥ — ١٠٧ ، تقول المربيـة إن الرغبـة الدنيئة هى التى جعلت من الحب إلها .

---

(١) يوربيديس ، هرقل المجنون ، ١٣٤١ وما بعده ، ولاسيما سطر ١٣٤٦ .

ἀοιδῶν οἵδε δύστηνοι λόγοι.

(٢) روز ، تاريخ الأدب اليونانى ، ص ١٢١ :

For this reason he more than once refuses to believe, or dismisses as a thing too hard for him, a myth erogatory to them.

الأناشيد الأوليمبية ١ ، ٢ ٥ وما بعده ص ٦ وما بعدها ترجمة سرجون ساندز : الأناشيد الأوليمبية (١ ، ٢ ٥ وما بعده ص ٩٨ أناشيد بندار فى طبعة لوب : L. C. L. قارن : المقدمة ص XVI .

وسواء آمن يور بيديس بإلهة حقيقة أو بقوة طبيعية ، فلابد أنه كان يحس بأن الإسراف فى الحب كالإفراط فى نبذه ، لكل منهما أثر قد يكون مرا فى هذه الدنيا .

ومن الوقائع الهامة التى نستقيها من المقدمة prologus أن حب فايدرا لابن زوجها بدأ عندما جاء هيبوليتوس الذى نشأ فى تروزين ليطلع على الأسرار المقدسة فى إيلوسيس Eleusis .

وتعترف أفروديتى بأنها هى التى أرسلت هذا الحب الجارف إلى قلب فايدرا .

و يلى ذلك خمسة أبيات (سطر ٢٩ — ٣٣) جاء فيها أن فايدرا شيدت معبدا لأفروديتى . وضمت اسم هيبوليتوس إلى الإلهة .

وقد ذكر فيكاين (ص ٢٨) أن نسبة هذه الأبيات إلى يور بيديس يحيط بها الشك .

إلا أن Méridier فى ترجمته لقصة هيبوليتوس فى مجموعة Budé، ص ٣٠، رفض نسبة هذه الأبيات إلى يور بيديس، ودلل على زيفها بأن فايدرا، التى أخفت حبها عن الجميع (سطر ٣٩ — ٤٠) لم تكن لتضم علانية اسم هيبوليتوس إلى اسم الإلهة أفروديتى كما أن τὸ λοιπόν لا تستقيم تماما مع ὠνόμασεν . ولا يوافق Méridier على تغيير Jortin لكلمة ὠνόμασεν الى ὀνομάσουσιν . لكن هذه الأبيات تتفق مع قول أفروديتى إنها ألقت بحب هيبوليتوس فى قلب فايدرا قبل أن تجىء فايدرا إلى تروزين .

وعلى أى حال فإن هذه إضافة قديمة تشير إلى وجود معبد لأفروديتى يحمل اسم Ἀφροδίτης ἐπὶ Ἱππολύτῳ بالقرب من قبر μνῆμα هيبوليتوس .

ويظن باريت أن ὀνομάσουσι هى القراءة الصحيحة .

وفى الأبيات التالية تؤكد أفروديتى على عزمها على إظهار الأمر πρᾶγμα واطلاع ثيسوس عليه حتى يتم انتقامها وهلاك هيبوليتوس بدعاء أبيه ، واستخدام ثيسوس لاحدى الدعوات المستجابات التى منحها سيد البحار ، بوسيدون ، لثيسوس .

وهنا تساؤل بسيط : إن أفروديتى لو أطلعت ثيسوس على حقيقة الأمر لبطل تدبيرها كله . وعلى ذلك فهى لن تطلع ثيسوس إلا على ما ادعت فايدرا فى رسالتها التى رآها ثيسوس بعد موتها .

كما أن أرتيميس فى نهاية المسرحية هى التى تطلع ثيسوس على حقيقة الوضع .

تدخل الجوقة فى سطر ١٢١ ، وهى مؤلفة من خمس عشرة امرأة من بلدة تروزين لتترنم بأنشودة البارودوس πάροδος فى افتتاح المسرحية .

وتطور أناشيد الجوقة وارتباطها بموضوع المسرحية أمر هام جدا . فقد بدأت المسرحيات بأغانى الجوقة . والمثل الوحيد الذى وصل إلينا ولو أنه متأخر — هو مسرحية الضارعات لايسخيلوس . وقد استمر أيسخيلوس وسوفوكليس فى ربط أغانى الجوقة بموضوع القصة .

أما يوربيديس فقد ابتعد عن هذا النهج فأصبحت أغانى الجوقة تمس موضوع المسرحية . ولكنها لا تدفع حوادث القصة إلى الأمام .

وجاء أجاثون بجعل الأناشيد مقطوعات موسيقية لا صلة لها بموضوع القصة[١] .

وفى قصة فايدرا لسينكا نجد جوقة ، ولا جوقة عند راسين .

وفى أنشودة البارودوس فى قصة هيبوليتوس الثانية تتغنى الجوقة بينبوع معروف فى بلدة تروزين ينساب من أوقيانوس نفسه ، تملأ منه الجرار ، وتغسل عنده الملابس ، وقد سمعت الجوقة من إحدى النساء اللاتى يغسلن ملابسهن الزاهية هناك بمرض الملكة[٢] .

ويشبه ذلك ما سمع مربى أطفال ميديا عن نفيها ونفى أولادها ممن يلعبون النرد عند عين بيرينى Πειρήνη فى كورنثة[٣] .

وتتساءل الجوقة من سبب مرض الملكة ، ويتجه تفكيرها كله إلى سبب واحد هو غضب الآلهة . ولا تنسى الجوقة وهى مؤلفة من نساء من تروزين المتاعب التى تحل بالنساء فى الحمل والولادة .

وقد نفى أبقراط أى صلة بين الأمراض وبين الآلهة .

فلكل مرض سبب طبيعى ، ولو أسمته العامة بالمرض المقدس[٤] .

---

(١) أرسطو ، فن الشعر ، ١٨ (١٤٥٦ / ٢٥ وما بعده) :

καὶ τὸν χορὸν δὲ ἕνα δεῖ ὑπολαβεῖν τῶν ὑποκριτῶν, καὶ μόριον εἶναι τοῦ ὅλου καὶ συναγονίζεσθαι μὴ ὥσπερ Εὐριπίδῃ ἀλλ' ὥσπερ Σοφοκλεῖ.

(٢) يوربيديس ، هيبوليتوس ، ١٢١ وما بعده .

(٣) يوربيديس ، ميديا ، ٦٧ وما بعده .

(٤) أبقراط ، عن المرض المقدس περὶ ἱερῆς νούσου طبعة لوب ٢ ، ص ١٣٨ وما بعدها .

وفى سطر ١٧٦ : تدخل المربية تتبعها فايدرا مستندة على إمائها . وبين من حديث المـربية الاضطراب الذهـني الذى أنهك فايدرا التى لم تذق الطعام يومين كاملين . وتندب المربية حظها وتشكو من تقلب سيدتها . إنها تريد الخروج من الدار . ولكنها لا تستقر على حال .

وتشير المربية إلى حب الناس للحياة وتعلقهم بها وجهلهم بما بعد الموت .

وتكثر الأقوال السائرة كالمعتاد فى حديث المربية : فالمرض أخف وطأة من التمريض .

سطر ١٨٦ : κρεῖσσων δὲ νοσεῖν

وحياة الآنام مماؤة بالآلام : πᾶς δ' ὀδυνηρὸς βίος ἀνθρώπων

وعبثا تتقاذفنا الأساطير : μύθοις δ' ἄλλως φερόμεθα.

وتبـدأ فايدرا ، سـطر ١٩٨ ، وقد هـدها الإعياء ، و بدا عليهـا القلق والاضطراب فـلا تهدأ ، ولا تستقر على حال . وتكرر المربية النصيحة . فالصبر والاحتمال علاج لهذا الداء الوبيل الذى أصاب سيدتها . ثم تضيف المربية حكمة خالدة وهى أنه قد كتب على الإنسان التعب (سطر ٢٠٧) :

μοχθεῖν δὲ βροτοῖσιν ἀνάγκη.

وتزداد حدة الضنى على فايدرا ، فتبدأ فى هذيان يكشف دفين سرها : إنها تتوق إلى أن تكون مع حبيبها ، وأن تشاركه فى الصيد وهى تصيح : خذونى إلى الجبل . إنى ذاهبـة إلى الغابة ، إلى أشجار الصنوبر حيث تهـاجم كلاب الصيد

فريستها حتى الممات[1] .

ويذهب عن فايدرا هذه النوبة ، وتدرك أنها كانت تهذى أمام الناس ، فتذرف الدمع خجلا واستحياء . فالجنون شر ، والصحو منه مؤلم ، وأفضل الأمرين أن يموت الإنسان وقد ذهب عقله (سطر ٢٤٨ — ٢٤٩) :

τὸ δὲ μαινόμενον κακόν, ἀλλὰ κρατεῖ

μὴ γιγνώσκοντ' ἀπολέσθαι.

وقد أجاد يوربيديس فى وصف الانفعالات النفسية ، واحتفى فى هذا المضمار جميع شعراء اليونان ، بل هو أقرب إلى علماء النفس منه إلى مؤلفى المسرحيات .

---

(١) قارن سينكا ، ١١٠ — ١١١

iuvat citatas consequi cursu feras

et rigida molli gaesa iaculari manu .

وراسين ، فيدر ، ١٧٦ :

Dieux, que ne suis-je assise à l'ombre des forêts!

وسينكا ، فيدرا ، ٤٠٣ : talis in silvas ferar.

وأوفيد ، البطلات ، ٤ ، ٣٨ — ٤٦ :

est mihi per saevas impetus ire feras.

iam mihi prima dea est arcu praesignis adunco

Delia. iudicium subsequor ipsa tuum.

in nemus ire libet pressisque in retia cervis

hortari celeris per iuga summa canes,

aut tremulum excusso. iaculum vibrare lacerto,

aut in graminea ponere corpus humo.

saepe iuvat versare leves in pulvere currus,

torquentem frenis ore fugacis equi,

وقد حذا أوفيد هنا حذو يوربيديس ، هيبوليتوس : ٢٠٩ — ٢٢٢ .

وكأنه كان يجد لذة فى تحليل النفس البشرية وبيان العلاقة بين الروح والجسد . إنه لم يكن ينفر من وصف الأعراض الجسدية التى تصاحب نوبات الجنون والصرع . مما لم يفعله أحد غيره . فهو يصف ما ينزل بأورستيس عندما تأتيه نوبات الصرع وصفا دقيقا .

ومن الأمثلة الذائعة الرائعة تحليله لقلب الأم الذى يتقطع أسى وحسرة فى وسط أزمة نفسية طاحنة . فميديا إمرأة ضائعة تريد الانتقام وهو سلاح ذو حدين . وقد أخرجتها الغيرة القاسية من ميدان التفكير الطبيعى . ولكن قلب هذه الأم يتأرجح بين الحنان والقسوة . حتى تبلغ درجة لا تملك فيها إلا قتل أطفالها وفلذة كبدها . ولا يمكن أن يحدث هذا إلا وقد اضطرب الذهن إلى حد الجنون .

وإذا قارنا بين جنون هرقل وجنون إياس ، بان لنا الفرق بين هذين الشاعرين اللذين عاشا فى مدينة واحدة وفى عصر واحد .

وتبدأ المربية (سطر ٢٥٠) فى الشكوى من حياتها الحاضرة . ومن تألمها من أجل سيدتها . وهى تنصح بالاعتدال حتى فى المودة ، فالاعتدال فى كل شىء أفضل من التفريط . والشئ إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده . (٢٦٤ — ٢٦٥) :

οὕτω τὸ λίαν ἧσσον ἐπαινῶ
τοῦ μηδὲν ἄγαν.

وقد ذاع هذا القول المرسل الذى ينسب إلى أحد الحكماء السبعة حتى عرف أرسطو الفضيلة بأنها وسط بين حدين .

وتوجه الجوقة إلى المربية أدق سؤال وأشقه فى المسرحية كلها : ما هو مرض الملكة (٢٦٩) : ἄσημα δ' ἡμῖν ἥτις ἐστὶν ἡ νόσος.

وفى هذا الحوار الذى يدور بين الجوقة والمربية يبين بوضوح أن الملكة ترغب فى الانتحار جوعا ، وأن ثيسوس غائب عن الديار . وتحت إلحاح الجوقة تبدأ المربية فى سؤال فايدرا التى تلزم الصمت . وتذكرها المربية بأولادها ، وأن فى موتها خيانة لهم وطرحا لهم تحت رحمة ابن الأمازونية ، وهو ابن غير شرعى [1] .

ولكن أفكاره تعلو على نسبه — إنه هيبوليتوس (قارن راسين ، فيدر ، ٢٠٤ — ٢٠٥) .

ويسقط هذا الاسم على فايدرا وقوع الصاعقة فتصرخ ، وتطلب من المربية بحق الآلهة ألا تذكر اسم هذا الرجل مرة أخرى . وتعترف فايدرا أن يديها طاهرتان ولكن أفكارها شابها بعض الدنس (٣١٧) :

Χεῖρες μὲν ἁγναί, φρὴν δ' ἔχει μίασμά τι.

وتسأل المربية هل هذا من عمل عدو ما . ولكن فايدرا ترد أنه حبيب أهلكنى على الرغم منه ، ومنى (٣١٩) :

φίλος μ' ἀπόλλυσ' οὐχ ἑκοῦσαν οὐχ ἑκών.

---

(١) روز الديانة اليونانية القديمة ، ص ٥١ .

a nothos the son of one of these unions was a member of his father's hold and had some part in the succession to his father's estate though his share was smaller than that of a legitimate son.

عير ايسخينيس عدوه السياسى ديموستنيس بأن أم أم ديموستنيس لم تكن يونانية ، ايسخينيس يرى إلى أن ديموستنيس ابن غير شرعى .

وقد تزوج والد ديموستينيس ابنتها مخالفا بذلك جميع القوانين :

Τὴν δ' ἑτέραν ἔγημε παριδὼν τοὺς τῆς πόλεως νόμους Δημοσθένης ὁ Παιανιεύς.

ايسخينيس ، ضد كتيسيفون ١٧١ — ١٧٢ ، كانت أم أم ديموستنيس حقا يونانية .

ويتجه تفكير المربية إلى حبيب فايدرا الطبيعي أعني زوجها الغائب .

ولكن فايدرا تنفي ذلك . وتطلب إلى المربية أن تكف (٣٢٣) :

῎Εα μ' ἁμαρτεῖν· οὐ γὰρ ἐς σ' ἁμαρτάνω.

ولكن ذلك يدفع المربيـة إلى لمس يد فايدرا وركبتيها[1] زيادة فى الضراعة مرددة أن موت فايدرا أعظم فجيعة لهـا .

وترد فايدرا أن موت المـربية دون أن تعـلم السر ، فيه شرف لفـايدرا :

(٣٢٩) : Ὀλῇ· τὸ μέντοι πρᾶγμ' ἐμοὶ τιμὴν φέρει.

وتمسك المربية بكلمة شرف τιμή . فإذا كان هـذا الأمر ممـا يجلب المجد والشرف ، فعلام إخفاؤه عنها . وتنطق فايدرا بمـا عقدت عليه العزم (٣٣١) :

ἐκ τῶν γὰρ αἰσχρῶν ἐσθλὰ μηχανώμεθα.

إنها وقعت رغـم أنفها فى شر شائن ، وأنها ستخرج منـه دون أن يمس شرفها .

ولكن المربية تظل ممسكة بيدها . وتخضع فايدرا أمام هذا الرجاء والإلحاح . ويخرج الخـدم . وتبـقى فايدرا والمربية وحيـدتين على المسرح . ولكن فايدرا لا تستطيع البوح بسرها . فهى تندب حظها وحظ أمها وأختها .

---

(١) يوريبيديس ، نساء طروادة ، ١٦٤٢ : πρός σε γονάτων

يوريبيديس ، ميديا ، ٣٢٤ : πρός σε γονάτων

يوريبيديس ، هيقبا ، ٢٤٥ : ἥψω δὲ γονάτων τῶν ἐμῶν, ταπεινὸς ὤν;

ترجمة الأستاذ الدكتور / عبـد الله حسن المسلمي . القاهرة ١٩٧٥ م ، ص٧٥ : أولم تتعلق بركبتى ، إذ كنت آنئذ ذليلا ؟

وتسأل فايدرا : ماذا يعنى الناس بقولهم إن فلانا يحب . وترد المربية أن الحب حلو ومر . (٣٤٨) ἥδιστον ‘ ἀλγεινόν

وهذه الفكرة عن الحب نجدها فى قصة بلاوتوس Plautus كيستيلاريا ، Cistelaria . ٦٦ — ٧٧ (١) ،

وفى أشعار لوكريتيوس ، ٤ ، ١١٣٣ — ١٢٣٤ :

quoniam medio de fonte leporum
surgit amari aliquid quod in ipsis floribus angat.

وتعترف فايدرا أنها تحب رجلا — إن كان حبيبها بشرا . هو ابن الأمازونية :

(٣٥١) : ὅστις ποθ' οὗτός ἐσθ' ὁ τῆς 'Αμαζόνος.

ولا تنطق فايدرا بالاسم صراحة . وإنما تنطق المربية باسم هيبوليتوس .
وتقول لها فايدرا : إن المربية هى التى نطقت بالاسم ، وإن فايدرا لم تنطق به .

ويحذو راسين حذو يوربيديس فى هذا الموضع . إذ تقول Oenone (سطر ٢٠٤ — ٢٠٥) :

Ce fils qu' une Amazone a porté dans son Flanc
Cet Hippolyte.

---

(١) ترد الخادم : eho an amare occipere amarum est opsecro ?
namque ecastor amor et melle et felle est fecundissumus.

انظر ، دف ، تاريخ الأدب الرومانى ، ١ ، ترجمه الأستاذ الدكتور محمد سليم سالم ص ٢٥٢ — ٢٥٤ :

هل الوقوع فى الحب أمر مر ؟ ...

الحب قسما بكاستور ، ملىء بالشهد و بالحنظل .

وتصاب المربية عند سماع ذلك بنوبة من العصبية . إنها تود أن تموت ، ولكنها تضيف أن الأخيار يقعون فى الحب الشرير على الرغم من نواياهم الطيبة . (٣٥٨ – ٣٥٩) :

οἱ σώφρονες γὰρ οὐχ ἑκόντες, ἀλλ' ὅμως
κακῶν ἐρῶσι.

ثم توجه النقد إلى الاهة الحب . إنها ليست إلاهـة . ولكنها شىء أقوى من الإلهة : إنها أهلكتنى وأهلكت سيدتى ، ودمرت البيت كله (٣٥٩ – ٣٦١) :

... Κύπρις οὐκ ἄρ' ἦν Θεός,
ἀλλ' εἴ τι μεῖζον ἄλλο γίγνεται θεοῦ,
ἣ τήνδε κἀμὲ καὶ δόμους ἀπώλεσεν.

وتعلق الجوقة فى رعب منشدة (٣٦٢ – ٣٦٣) :

Ἄιες ὤ, ἔκλυες ὤ,
ἀνήκουστα τᾶς
τυράννου πάθεα μέλεα θρεομένας;

وتتجه فايدرا نحو الجوقة (٣٧٣) تحـدثها عن نفسها وما يجول بخاطرهـا فى تفصيل شامل يذكرنا بحديث ميديا (٢١٤) إلى نساء كورنثة . ويحـق أن بناء القصتين متشابه . فـفى قصة هيبوليتوس امرأة أضناها الحب . وفى قصة ميديا امرأة أهلكت الغـيرة قلبها ، وفى كل امرأة جاءت من بلاد بعيدة إلى بلاد اليونان الأصلية . ولكن ميديا أشرس طباعا ، وأكثر تهورا ، وأعظم ضلالا .

إن فايدرا فى حديثها إلى الجوقة لاتعمـد الى الدفاع عن نفسها . ولكنها فكرت كثيرا فى ليال طوال عن كيف يهلك البشر (٣٠٦)

ᾗ διέφθαρται βίος.

وأنها ترى أن سبب الهلاك ليس الخطأ فى التفكير (٣٧٧ – ٣٧٨) :

καί μοι δοκοῦσιν οὐ κατὰ γνώμης φύσιν
πράσσειν κάκιον.

فالتفكير السليم لاينقص الكثيرين (٣٧٨ — ٣٧٩) :

ἔστι γὰρ τό γ' εὖ φρονεῖν
πολλοῖσιν.

وهــذا الرأى يكاد يكون عكس ما قال به سقراط من أن الجهالة هى سبب الخطأ ، وإن الإنسان كائنا من كان ، لايخطىء إلا عن جهل .

أما يوربيديس هنا فهو ينسب الخطأ بعــد أن تبين الإنسان الرأى الصائب إما إلى الكسل أو بالأحرى الدعة ἀργία وهى هنا تقابل كلمة ῥᾳθυμία فى قصة ميديا ، سطر ٢١٨ ، وإما إلى تفضيل اللذة على الواجب . و يضرب يوربيديس هنا أمثلة للذة . وهذا يذكرنا بما يقول أرسطو فى كتاب ريطوريقا ، ١ ، ١١ ، ٤ (١٣٧٠ / ١٤—١٦)[1] :

διὰ καὶ ῥᾳθυμίαι καὶ αἱ ἀπονίαι καὶ αἱ ἀμέλειαι.

وقــد ورد بين ما يعــدد يوربيديس من اللــذيذات : الاســتحياء ويقسم يوربيديس الحياء إلى صنفين أحدهما خير ، والثانى فيه هلاك للديار (٣٨٦) :

ἣ δ' ἄχθος οἴκων.

ويعلق Méridier على ذلك (ص ٤٤ ، ﻫ ٢) بأن يوربيديس يعنى بالحياء الردئ ما يسمى بالخور ، وهو الكسل .

وتستمر فايدرا فى شرح أمرهــا — فتقول إنها أدركت من أول الأمر أنه لاشــفاء لحبهــا ، ولكنها قررت احتمال آلامه بالصبر والصمت . فاللسان عدو

(١) قارن : ابن سينا ، الخطابة ، تحقيق الأستاذ الدكتور محمد سليم سالم ص ٩٩ وما بعدها ، ولاسيما ص ١٠٠ : والكسل والاستراحة والتوانى والعصيان ، والترف ، والنوم من اللذيذات . ابن رشد ، تلخيص الخطابة ، تحقيق الأستاذ الدكتور محمد سليم سالم ، ص ١٧٥ .

الإنسان . ومن الممكن فى المحل الثانى أن تقهر حبها بفضيلتها . والحل الثالث هو الموت ، فهو الخلاص من حب لا غالب له . عين فايدرا فى كل ذلك ترنو إلى شرف زوجها ، وشرف أبنائها . فشرور الآباء عار وشقاء على الأبناء .

وتصب فايدرا السخط على جريمة الزنا واللعنات على أولئك النسوة اللاتى يتحدثن عن الفضيلة ، ويرتكبن الرذيلة سرا . ألا يستحيين من أزواجهن ، ومن الظلام المطلع على أعمالهن ومن حوائط الغرف التى رأت ما يفعلن . فربما أوتيت هذه لسانا يفضح سيئاتهن .

وتعلق الجوقة على حديث فايدرا بأن العفة جميلة أينما وجدت وثمارها هى الذكرى النبيلة .

وفى سطر ٤٣٣ ، تبدأ المربية استمالة فايدرا إلى رأيها . لقد أذهلها الأمر عند سماعه أولا ، ولكن الرأى الفطير لا يبارى الرأى التالى . ليس هناك فى حب فايدرا شيء غير عادى . فالحب هو أساس الحياة . والإله الحب يدمر من يعانده ، ويسالم من يسالم . لقد أحب زوس سيميلى ، وقد اختطف القمر كيفالس Cephalus . كم من رجل عاقل أغضى عن انحراف زوجته ، وكم من أب أريب تغاضى عن وقوع أبنائه فى شراك الحب . إن الناس لا يستطيعون تدبير حياتهم بدقة لا تخطىء . إن عنادها هو الكبرياء بعينها .

فهناك تمائم وأدوية لشفائك من مرضك إن النساء وراء كل كشف يقوم به الرجال .

وترفض فايدرا الإنصات إلى مثل هذا القول اللين المدمر ، وتوافقها الجوقة على ذلك . ولكن المربية تصر على خطتها ، لأن فيها انقاذا لحياة سيدتها . وتخشى

فايدرا أن تطلع المربية هيبوليتوس على شيء من أمرها . وتغنى الجوقة (٥٢٥) بالحب مناجية إيروس Eros بن زوس وذاكرة قصة سيميلى أم باكخوس (ديونيسوس) وقصة هرقل و يولى Jole = Ἰόλη .

وأوجه الشبه واضحة بين أغنية الجوقة هنا ونشيد الحب فى قصة ميديا (سطر ٤٥٧) .

أما قصة سيميلى فقد خلدها يوربيديس فى قصة عابدات باكخوس، وهى من أروع قصص العالم . دبجها يوربيدس قبل موته بقليل أثناء إقامته فى بلاط أرخيلاوس ملك مقدونية .

أما القصة الثانية فقد خلدها سوفوكليس فى قصة Trachiniae عذارى تراخيس . وهى تشبه قصة ميديا فى جنون الغيرة والثوب الذى أرسلته ميديا إلى عروس ياسون فكان سببا فى هلاكها وهلاك أبيها . ولكن Deianeira كانت ترمى إلى استمالة هرقل لا إلى هلاكه[1] .

وتنصت فايدرا إلى الضجة التى تنبعث من المنزل وتدرك أن المربية قد جلبت لها الدمار والعار ، وإن هيبوليتوس قد صب اللعنات على المربية وعلى سيدتها . وتسأل الجوقة ماذا تستطيع فايدرا أن تفعل وقد ذاع سرها . وترد فايدرا أن العلاج الوحيد لمتاعبها هو أن تموت بأسرع ما يمكن (٥٩٩ — ٦٠٠) .

οὐκ οἶδα πλὴν ἕν· κατθανεῖν ὅσον τάχος
τῶν νῦν παρόντων πημάτων ἄκος μόνον.

ويخرج هيبوليتوس من القصر تتبعه المربية ، وهو يصيح بأعلى صوته

---

(١) روز ، تاريخ الأدب اليونانى ، ص ١٦٧ — ١٦٨ .

(سطر ٦٠١ = ٦٠٢) : أيتها الأرض الأم ، ويا أشعة الشمس المضيئة، أى ألفاظ يحرم النطق بها قد صكت أذناى .

وتضرع إليه المربية أن يصمت وهى تلمس يديه وركبتيه وهو سادر فى صياحه . فتذكره بالقسم الذى أقسمه على أن لا يبوح بشىء مما يسمع .

ويرد هيبوليتوس بذلك البيت الذى ردده أرستوفانيس مرات :

حلف اللسان ولم يقسم الجنان . (سطر ٦١٢) .

Ἡ γλῶσσ' ὀμώμοχ', ἡ δὲ φρὴν ἀνώμοτος.

وهذا البيت إذا أخذ على علاته يهدم جميع الأسس الأخلاقية . وإذا كان هيبوليتوس لم يحنث فى يمينه على الإطلاق ، ولم يلفظ بكلمة واحدة حتى فى الدفاع عن نفسه فى أحرج المواقف . . فهذا دليل يقلل من قيمة النقد الذى يوجهه إليه أرسطوفانيس (1) .

---

(1) يثنى ديونيسوس على هذا البيت فى سطر ١٠١ — ١٠٢ من قصة الضفادع لأرسطوفانيس . ويرد به ديونيسوس فى سطر ١٤٧١ على يوربيديس الذى يذكره بأنه أقسم له أن يصحبه إلى الدار الدنيا .

ويروى أرسطو فى الكتاب الثالث من مؤلفه فى الريطوريقا (٣ ، ١٥ ، ٨ ، ١٦١٤٠ / ٢٨ وما بعده) أن رجلا اقتطف هذا البيت فى قضية عن تبادل الممتلكات ἀντίδοσις بينه وبين يوربيديس

ἄλλος, εἰ γέγονεν κρίσις, ὥσπερ Εὐριπίδης πρὸς Ὑγιαίνοντα ἐν τ' ἀντιδόσει κατηγοροῦντα ὡς ἀσεβὴς, ὅς γ' ἐποιήσε κελεύων ἐπιορκεῖν.

قارن : شرح كوب Cope ، ٣ ، ص ١٨٣ — ١٨٤ .

وانظر مقدمة الأستاذ الدكتور عبد الله حسن المسلمى لترجمته لقصة ميديا ليوربيديس ، ص ٨ — ٩

يقول جلبرت مرى ، تاريخ الأدب اليونانى ، ص ٢٦٢ ، انه بعد انتهاء هيبوليتوس من حديثه الذى يثقل على النظارة ، ينضم الكل إلى جانب فايدرا : سطر ٦٦٠ — ٦٦٨ :

At his exit the spectator is for the moment furious, and goes whole — heartedly with Phaedra.

هذه الثورة العارمة هى الخطأ ἁμαρτία الذى يرتكبه هيبوليتوس والذى قد يجر عليه الدمار ، والهلاك ، ولا سيما إذا تذكرنا أن زوجة الأب يجب لها من الاحترام ما يجب للأم . فهى فى مركز الأم . ولكن عندما تذكره المربية بأواصر القربى التى تجمعه مع فايدرا وأبنائها (سطر ٦١٤) : σοὺς φίλους διεργάσῃ يرد بقسوة تقترب من البذاءة ἀπέπτυσα . ويستمر هيبوليتوس فى هجومه على جنس النساء . فالمرأة شر مستطير (μέγα κακόν) يدفع والدها مهرا لكى يتخلص من هذا البلاء . ويفرح بها زوجها الأبله . فيبدد أمواله فى الإنفاق عليها . وأسعد الرجال من حظى بزوجة غبية لا تفقه شيئا . أما المرأة الذكية فإنى أبغضها . ويجب ألا يسمح للإماء بالاقتراب من الزوجة . لأنهن رسلها إلى خارج الديار .

وهو يهدد المربية قائلا لها إنه لولا أنه أقسم لأخبر أباه بكل شىء . وسيترك الدار مادام ثيسوس غائبا . وعند عودته سيرقب النهج الذى يتخذنه فى لقاء أبيه .

وهو يعلن أنه لن يرجع فى كراهيته للنساء ، ما لم يتوقف النساء عن ارتكاب الآثام .

فدعونى فى كراهيتى للنساء ، أو علموهن العفة[1] .

ويشبه قول هيبوليتوس هنا فى منع الإماء من الاختلاط بالزوجات قول هيرميونى فى قصة أندروماخا ، سطر ٩٤٣ — ٩٥٣ .

إنه لم يفسد عليها حياتها الزوجية غير أولئك النسوة اللائى كن يحرضنها على قتل أندروماخا .

---

(١) ترجمة الأستاذ الدكتور محمد سليم سالم فى كتاب البدائع ، ص ٦٨ .

تندب فايدرا حظها العاثر ، وتبكى حظ النساء جميعا ، ولكنها هى أكثرهن بؤسا .

وتوافقها الجوقة على أن الموقف حرج ، وأن المربيـة لم يحالفها النجاح فيما أرادت .

وتوجه فايدرا سبابها إلى المربية . ولكن المربية تحتج بأنها ربتها وأخلصت لهـا وكانت تسعى للبحث عن علاج لدائهـا ، ولكنها فشلت . والنجاح مقياس حسن التدبير .

ولكن فايدرا لا ترضى عن هذا ، ولا عن أى علاج آخر قد تتجه نحوه المربية . وبعد أن تخرج المربية تطلب فايدرا الصمت من الجوقة .

وتعلن فايدرا عزمها على الموت . فهو الطريق الوحيد للخروج من هذا المأزق دون أن يمس شرفها ما يدنسه . إن موتها سيسر أفروديتى . ولكن موتى سيجلب الدمار على شخص آخر . إنه لن يزهو بنجاحه فوق متاعبى وسيقوده ذلك إلى التعقل عندما يشترك معى فى هذا البلاء (سطر ٧٢٨ — ٧٣١) :

ἀτὰρ κακόν γε χἀτέρῳ γενήσομαι
θανοῦσ', ἵν' εἰδῇ μὴ 'πὶ τοῖς ἐμοῖς κακοῖς
ὑψηλὸς εἶναι· τῆς νόσου δὲ τῆσδέ μοι
κοινῇ μετασχὼν σωφρονεῖν μαθήσεται.

إن فايدرا فى الجزء الأخير من حديثها تشير من طرف خفى إلى أنهـا ستجر هيبوليتوس إلى الهلاك . ومن الطبيعى أن توجه إليه الاتهام الكاذب بأنه أراد الاعتداء عليها .

وبعد أن تتغنى الجوقة بنشيد تتمنى فيه أن تغوص فى جوف الأرض أو تصبح طائرا ذا جناح تطير به على أمواج الأدرياتيك أو على مياه نهر ايريدانوس Eridanus حيث تبكى بنيات الشمس أخاهم فايثون Phaethon فتتساقط دموعهن عنبرا . أو إلى نهاية العالم حيث بستان Hesperides . وتشير الجوقة إلى نذر الشر التى صاحبت رحيل فايدرا من جزيرة كريت إلى مدينة أثينة .

وتنشد الجوقة بأن فايدرا ستنتحر شنقا ، كراهية فى الحياة وفرارا من آلام الحب .

وتسمع صرخات المربية أو إحدى الخدم طالبة النجدة لإنقاذ فايدرا من الموت .

وتبدو الجوقة فى حيرة من أمرها : هل تدخل الدار للاشتراك فى إنقاذ الملكة . ولكنها لا تترك مكانها . وآية ذلك أنها تقول إن الملكة قد فارقت الحياة ، إن صح ما سمعت (سطر ٧٨٨) :

ὄλωλεν ἡ δύστηνος, ὡς κλύω, γυνή.

وهذا موضع هام جدا فى موضوع غامض ، وأعنى به تدخل الجوقة فيما يجرى على خشبة المسرح . وهذا الموضع يؤكد الرأى القائل بأن الجوقة لا تتدخل ، كما لم تتدخل لإنقاذ أطفال ميديا من موت محقق (ميديا ، سطر ١٢٧٥ — ١٢٧٦) :

παρέλθω δόμους; ἀρῆξαι φόνον
δοκεῖ μοι τέκνοις.

وفى هذه اللحظة يصل ثيسوس من غيبته وقد زين رأسه باكليل ، يتبعه بعض الحراس . ويستمع إلى البكاء والعويل الذى يدوى فى داره . وهو لقاء غريب لمن عاد من مهبط الوحى .

إن إحدى البقايا تدل على أن ثيسوس قد عاد من الدار الآخرة . وهـذا ما يستنتج من قصة سينكا ، فايدرا ، ٩٨ = ، سطر ٦٢٥ وما بعده) (سطر ١١٥٠ — ١٥٥١) :

quod tuus caelum superosque Theseus
spectat et fugit Stygias paludes.

أما فى راسين ، فيدر ، سطر ٩٦٥ ، فإن أمير ابير Epire ألقى بثيسوس فى السجن ستة أشهر (سطر ٩٥٦) :

O ciel, de ma prison pourquoi m'as — tu tiré ?

سطر ٩٦٥ :

moi — même, il m' enfama dans des cavernes sombres.

ومن الجائز أن نجمع بين الروايتين : فبعد أن نجا ثيسوس من الدار الآخرة زار ثيسوس أحد مهابط الوحى .

وتخبره الجوقة بموت زوجته ، ولكنها لا تخبره بشيء غير ذلك . ويلقى ثيسوس بالاكليل ويأمر بفتح الأبواب ليرى جثة زوجته .

وتفتح الأبواب وتظهر جثة فايدرا وقد أحاط بها الباكون . ويندب ثيسوس حظ زوجته رحظه . وكذلك تفعل الجوقة .

ولما كانت الجوقة تعرف كل تفاصيل القصة ، ويجهل الملك كل شيء ، فقد اختلف مغزى الكلام عند كل منهما . وهذا النهج من البلاغة كثير فى اللغات القديمة وهو موجود فى اللغة العربية .

وهو كثير جدا فى مسرحيات سوفوكليس ، ولا سيما فى أحسن قصصه ، أوديب ملكا[1] . حتى عرف عنه فقيل : تهكم أو سخرية سوفوكليس Ironie de Sophocle

فعندما تقول الجوقة ἔπαθες تشير الجوقة إلى آلام الحب الذى أفقد فايدرا وعيها وساقها إلى الانتحار ، ويفهم ثيسوس من اللفظ المصائب والمتاعب العادية التى حلت بالملكة . وعندما تقول : ἀνοσίῳ συμφορᾷ تشير الجوقة إلى الحب الآثم ، ولا يدور بخلد ثيسوس مثل هذا المعنى ، لأنه يجهل كل شىء يمس هذا الأمر .

وتساعد كلمة συμφορά ، على تعمية الموضوع ، لأنها تعنى كارثة ، أو صدفة : chance . وفى سطر ٨١٦ ، عندما تتساءل الجوقة عمن دمر حياة فايدرا ، فإن هنا إشارة من الجوقة إلى كل من إله الحب وهيبوليتوس ولا يفهم ثيسوس شيئا من ذلك البتة . وكذلك فى سطر ٨٢٠ ، عندما يقول ثيسوس κηλὶς ἄφραστος ἐξ ἀλαστόρων τινός ، يتبادر إلى ذهن السامعين أفروديتى ، ولكن ثيسوس يعنى معنى عاما ، يردده فى الأبيات ٨٣١ — ٨٣٣ ، التى تحوى إشارة صريحة إلى اللعنات المتوارثة .

واللعنات المتوارثة عقيدة راسخة فى أذهان الناس أجمعين . وهى من الأفكار اليونانية العتيقة — ولعلها نشأت من فكرة تضامن الأسرة ، وكثير من القصص

---

(١) فى قصة الوعاء Aulularia لبلاوتوس مثل طريف جدا ، إذ يتحدث الشاب عن الفتاة التى يحبها ويرغب فى الزواج منها ، ويفكر البخيل فى آنية الذهب التى فقدها (سطر ٧٣٣ وما بعده) . ترجمة المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد عبد الرحيم أبوزيد .

اليونانيـة الذائعة بنيت على ذلك ، كمسرحية أجاممنون لأيسخيلوس ، وأوديب ملكا لسوفوكليس [1] .

والسؤال الخطير : هل كان يوربيديس يؤمن بتوارث اللعنات ؟

والجواب المفحم أن يوربيديس نفسه ربما لم يكن يعتقد فى ذلك ، ولكنه ككاتب مسرحى لايستطيع مهما غير وبدل أن يخرج عن إطار القصة .

وتحـاول الجـوقة مواساة ثيسوس فهو أول من فقـد زوجته الحبيبة κεδνὸν λέχος

ولكن ثيسوس يستمر فى بكائه ورثائه لنفسه ولزوجته .

وفى سطر ٨٥٥ ، تشير الجوقة إشارة خفية إلى تهديد فايدرا الغامض بأنهـا لن تهلك وحدها . فقد بدأت الجوقة ترتعد فرقا أمام هذا الشر الجديد .

τὸ δ' ἐπὶ τῷδε πῆμα φρίσσω πάλαι

و يرى ثيسوس اللوح δέλτος الذى ربط إلى يد فايدرا ويظنه بادئ ذى بدء وصية تطلب منه عدم الزواج بأخرى والعناية بأطفالهـا . و يعلن ثيسوس أنه لن يتزوج على الإطلاق [2] .

وتدرك الجوقة كعراف يوحى إليه أن هذه الرسالة تحوى مصائب تهوى على هذه الديار [3] .

---

(١) راجع الأبيات ٧٢٨ — ٧٢٩ .

(٢) قارن يوربيديس ، ألكيستيس Alcestis ، ٣٠٤ .

(٣) هيبولينوس ، سطر ٨٧٢ — ٨٧٣ :

πρὸς γάρ τινος

ὄρνιθος ὥστε μάντις εἰσορῶ κακόν.

وعندما تفض الرسالة ، يقع الخبر كالصاعقة على رأس الملك : إن ابنه هيبوليتوس حاول الاعتداء على زوجته . وفى ثورة غضبه دون بحث أو استقصاء يصب ثيسوس اللعنات على ابنه ضارعا إلى أبيه بوسيدون معاقبة ابنه توا .

وتضرع إليه الجوقة أن يتمهل ، ففى العجلة الندامة (سطر ٨٩٢) :

γνώσῃ γὰρ αὖθις ἀμπλακών.

ويعلن ثيسوس فى ثورته العارمة أنه سيطرد ابنه من دياره ليقضى بقية حياته فى المنفى ، إن لم يستجب بوسيدون إلى دعائه فيرسل إلى هيبوليتوس هلاكا عاجلا .

ويدخل فى هذه اللحظة هيبوليتوس ومعه بعض أتباعه . وتطلب الجوقة من الملك أن يكتم غيظه .

ويسأل هيبوليتوس أباه عن سبب صياحه . ثم يرى جثة فايدرا فتنتابه الدهشة ، وقد تركها منذ فترة قصيرة على قيد الحياة .

ويطلب إلى والده أن يرد ، ولكن ثيسوس يبقى جامدا .

ولا ريب أن قول هيبوليتوس : أصدقاء ، بل أكثر من أصدقاء ، وقع على أذنى ثيسوس وقوع الخداع والنفاق : سطر ٩١٤ [(١)] :

οὐ μὴν φίλους γε κἄτι μᾶλλον ἢ φίλους.

وبعد فترة من الصمت يتمتم ثيسوس بفكرة عامة هى أن الإنسان على الرغم من مهارته فى العلوم والفنون لم يستطع أن يهب عقلا لمن لا عقل له .

---

(١) يقول أرسطو ، فن الشعر ، ١٣ ، (١٤٥٣/٧ وما بعده) إن أحسن القصص التراجيدية قد أخذت من تاريخ عدد من الأسر المذكورة : سطر ١٨ — ٢٢ :

νῦν δὲ περὶ ὀλίγας οἰκίας αἱ κάλλισται τραγῳδίαι συντίθενται.

ويحـار هيبوليتوس فيما يعنى أبوه ، ولا سيما أن الوقت غير ملائم لمثـل هذه الخطرات .

ويستطرد ثيسوس فى تأملاته فيتمنى أن لو كان هناك وسيلة دالة τεκμήριον تميز الصديق الصدوق من العدو المنافق ، وأن يكون هناك نوعان من الأصوات أحدهما صادق ، والآخر كاذب . فلو حدث ذلك ، لانتفى الغش ، ومات الخداع .

وتزداد حيرة هيبوليتوس لسماع أقوال أبيه . ويخيـل إليه أنه قـد وشى به عند أبيه .

ويستمر ثيسوس فى تأملاته . فيعجب من الحـد الذى قد يصل إليه قلب الإنسان فى انعدام الحياء والإحساس . ويضيف أنه إذا زاد عدد الأشرار جيلا بعد جيل ، اقتضى الأمر أن يخلق الآلهة عالمـا آخر ليضم هذا العدد الوفير .

ثم يوجه كلامه نحو هيبوليتوس : انظروا إلى هذا الذى يعـد ابنى من صلبى ويريد أن يدنس فراشى . إن موتها دليل مفعم على خيانته .

وعندما يخفى هيبوليتوس وجهه ، يقول له أبوه : أرنى وجهك الذى لم يستح من الدنس . فأنت شاب ممتاز تعايش الآلهة . ويعيره أبوه أنه يدعى بأنه طاهر نقى لا يذوق من الطعام ما له روح δι' ἀψύχου βορᾶς .

وهـذا قول غريب ، لأن هيبوليتوس يحث أتباعه على الاستمتاع بأشهى الطعام (١٠٩ — ١١٠) :

σίτων μέλεσθε· τερπνὸν ἐκ κυναγίας
τράπεζα πλήρης.

وتدل هذه الأبيات على أن أتباع العقيدة الأورفية كانوا فى زمن يوريبيديس قد انحطوا إلى حضيض المتاجرة بدينهم .

ويجيب ثيسوس على ما يمكن أن يقدمه هيبوليتوس فى الدفاع عن نفسه من أنها كزوجة أبيه تبغضه ، ولا سيما وهو ابن غير شرعى بأنه من المحال أن تقتل فايدرا نفسها لبغضها إياه . وإذا كان هيبوليتوس يظن أن النساء أكثر ميلا إلى الشهوات من الرجال ، فإن الشباب من كلا الجنسين يخضعون لقوة إلاهة الحب بدرجة متساوية [1] .

ويجيب هيبوليتوس على اتهام أبيه له إجابة مقنعة لا يلتفت إليها ثيسوس ، وهذا أحد عيوب ثيسوس ἁμαρτία ولكن الجوقة وهى التى تمثل النظارة الذين رأوا وسمعوا كل شيء تعلن على رؤوس الأشهاد أن الأيمان التى أقسم بها هيبوليتوس ، وهى ميثاق غليظ ، كافية فى دحض الاتهام الموجه إليه [2] .

(سطر ١٠٣٦ — ١٠٣٧) :

ἀρκοῦσαν εἶπας αἰτίας ἀποστροφήν,
ὅρκους παρασχών, πίστιν οὐ σμικράν, θεῶν·

أثر الريطوريقا واضح فى قصص يوربيديس ، وقد علق كونتليان المربى الرومانى الذى عاش فى القرن الأول بعد الميلاد أن الاطلاع على قصص يوربيديس ذو فائدة كبيرة لمن يعدون أنفسهم للاشتراك فى الحياة السياسية والاجتماعية [3] .

(١) تقول أندروماخا فى قصة يوربيديس المسماة باسمها إن النساء قد ابتلين بالحب أكثر من الرجال ولكنهن يصبرن عليه أكثر من الرجال سطر ٢٢٠ — ٢٢١ :

καίτοι χείρον' ἀρσένων νόσον
ταύτην νοσοῦμεν, ἀλλὰ προύστημεν καλῶ:

(٢) سوفوكليس ، أوديب ملكا ، ٦٤٧ :

μάλιστα μὲν τόνδ' ὅρκον αἰδεσθεὶς θεῶν.

(٣) كونتليان ، مبادىء الخطابة ، ١٠ ، ١ ، ٦٧ ، ٦٨ :

illud quidem nemo non fateatur: is necesse est, iis qui se ad agendum comparant utiliorem longe fore Euripiden.

وفى نهاية قصة نساء طروادة نجد أن يوريبيديس قد حول المسرح إلى محكمة يرأسها مينلاوس ، وقد جلست فى كرسى الاتهام هيقيا ، وقامت هيلانة تدافع عن نفسها[1] .

وقد قسم يوريبيديس قصة هيبوليتوس إلى ثلاثة أقسام ، وهو التقسيم الريطوريقى المعترف به .

١ — المقدمة : προοίμιον = exordium

٢ — الموضوع : ἀπόδειξις ' tractatio

ويشمل الموضوع : سرد الوقائع διήγησις ' narratio

والأدلة πίστεις ' probatio

٣ — الخاتمة : ἐπίλογος ' peroratio

ومن شروط المقدمة أن تكون سهلة بسيطة تمهد للدخول فى الموضوع[2] .

تبدأ المقدمة من سطر ٩٨٣ إلى سطر ٩٩١ وفيها يبين هيبوليتوس لأبيه أن الغضب قد ملك على ثيسوس لبه وأن الحماس أس الفصاحة والبلاغة ، ولكن الأدلة فى تلك الخطب المستعملة لا تثبت للفحص والتمحيص .

τὸ μέντοι πρᾶγμ' ἔχον καλοὺς λόγους
εἴ τις διαπτύξειεν, οὐ καλὸν τόδε.

---

(١) يوريبيديس ، نساء طروادة ، د ٨٩ وما بعده .

(٢) أرسطو ، الخطابة ، ٣ ، ١٤ ، ١ (١٤١٤ ب ١٩ — ٢١) :

τὸ μὲν οὖν προοίμιόν ἐστίν ἀρχὴ λόγου ὅ περ ἐν ποιήσει πρόλογος καὶ ἐν αὐλήσει προαύλιον· πάντα γὰρ ἀρχαὶ ταῦτ' εἰσί, καὶ οἷον ὁδοποίησις τῷ ἐπιόντι.

ولا ينسى هيبوليتوس — كما هو المعتاد — أن يردد عجزه عن البلاغة وقلة دربته فى هذا المضمار. ولكن الضرورة هى التى تطلق لسانه: γλῶσσάν μ' ἀφεῖναι.

و يبدأ هيبوليتوس دفاعه ليرد على النقطة الأولى التى أراد بها أبوه أن يفحمه (٩٩١ — ٩٩٣):

πρῶτα δ' ἄρξομαι λέγειν

و يعلن هيبوليتوس براءته مما نسب إليه. هذا مبدأ متبع فى دور القضاء فى القديم والحديث. ثم يزكى نفسه. وهذا مذهب معروف دعا إليه أرسطو نفسه.

سطر ١٠٠٦: παρθένον ψυχὴν ἔχων

ويطالب كابن أباه ببيان العوامل التى أدت بابنه إلى الانحراف: هل هى الجمال، أم الرغبة فى استمالة امرأة سيئول إليها العرش. إنه عازف عن الحكم ومتاعبه[1].

ولا يقصد هيبوليتوس أن فايدرا سيئول إليها الحكم بالمعنى الدقيق فى امرأة، والمرأة لا ترث الحكم. ولكنه يقصد أنها ستكون ذات نفوذ وقوة بعد أن يؤول العرش إلى أبنائها.

وتبقى كلمة واحدة يريد هيبوليتوس أن يقولها وهى نقطة ضعيفة. فموت المجنى عليه لا يسقط المحاكمة. ولكنه يفقد المتهم الفرصة فى مناقشة الخصم وإفحامه (سطر ١٠٢٤):

ἔργοις ἂν εἶδες τοὺς κακοὺς διεξιών.

---

(١) يوربيديس، هيبوليتوس، ١٠١٣:

'Αλλ' ὡς τυραννεῖν ἡδύ.

سوفوكليس، أوديب ملكا، ٥٨٧ — ٥٨٨:

ἐγὼ μὲν οὖν οὔτ' αὐτὸς ἱμείρων ἔφυν
τύραννος εἶναι μᾶλλον ἢ τύραννα δρᾶν.

ويكرر هيبوليتوس القسم أنه لم يفكر قط فى مثل هذه الجريمة . ويصب على نفسه اللعنات إن كان كاذبا .

وهناك تشابه كبير بين هذه الأبيات (١٠٢٨ — ١٠٣١) وبين ما يقول سيشرون فى الدفاع عن روسكيوس من قرية أميريا عن عقاب من يزهق روح أبيه [(١)] .

ومن المبادئ الريطورية المشهورة أن يطعن المرء فى خصمه بعد أن يزكى نفسه ، ولكن هيبوليتوس قد أقسم ألا يبوح بالسر وهو أن يحنث فى يمينه وإنما يقول إن انتحار فايدرا ربما كان رغبة فى الظهور بمظهر البريئة خوفا من ظهور الحقيقة . ولكنه وهو على حق لا يستطيع الانتفاع ببراءته .

ويختم هيبوليتوس دفاعه بأن يقول لأبيه : لو أنه كان فى مكانه لقتل ابنه فى التو واللحظة . ويتذكر فى الخاتمة أمه ومصيرها وولادته من أم غير يونانية . ويحاول استعطاف والده بذكر التشرد والمصائب التى ستحل به . واستعطاف القضاة أمر معروف عند الاغريق والرومان .

وينتهى هذا النقاش بأن يفقد ثيسوس صبره وأن يطلب إلى أتباعه إخراج هيبوليتوس بالقوة (سطر ١٠٨٤ — ١٠٨٥)

---

(١) شيشرون ، الدفاع عن روسكيوس من بلدة أميريا ، ٢٦ ، ٧٢ :

etenim quid tam est commune quam spiritus vivis, terra mortuis, mare fluctuantibu, litus eiectis? ita vivunt dum possunt, ut ducere animam de caelo non queant. ita moriuntur ut eorum ossa terra non tangat, ita iactantur ut nunquam abluantur. ita postremo eiiciuntar, ut ne ad saxa quidem mortui conquiescant.

سيشرون ، الخطيب : طبعة Sandys . ١٠٧٤٠١ ، ص ١٤ — كمبردج ١١٨٥

ويأبى هيبوليتوس هذه المعاملة (١٠٨٦) .

ويغادر المسرح .

وعندما يلقى نظرة على تمثال ومذبح أرتيميس الذى يقوم أمام القصر، يوجه إلى الإلهة حديثه ولكنه لا يطلب إليها وقايته من شرور النفى ومصائبه .

ولا يلتفت إلى الإلهة أفروديتى وتمثالها ومذبحها يقومان أمام القصر إلى جوار تمثال أرتيميس ومذبحها .

وقد يتساءل المرء لم تتدخل الإلهة أرتيميس لحماية هيبوليتوس الذى تفانى فى عبادتها .

ويظهر أن هذه النقطة تدخل فى السياسة الإلهية وعدم تدخل إله فى عمل الآخر، وإلا لفسدت الأرض ولذهب كل إله بما خلق [1] .

وتبدأ الجوقة فى أنشودة تتسم بالتأرجح بين الإيمان فى العناية الإلهية والارتياب فى هذه الرعاية الربانية عندما يرى الإنسان تقلب الأيام .

ويمكن المرء تقسيم هذه الأنشودة كلها بين هاتين الفكرتين . فالمقطوعة الأولى (سطر ١١٠٢ — ١١١٠) تقابلها المقطوعة الثانية (سطر ١١١١ — ١١١٨) .

ولهذا يمكن القول بوجود جوقتين إحداهما تتألف من الرجال من أتباع هيبوليتوس

---

(١) يوريبيديس ، هيبوليتوس : سطر ١٣٢٨ — ١٣٣٠ .

θεοῖσι δ' ὧδ' ἔχει νόμος.

οὐδεὶς ἀπαντᾶν βούλεται προθυμίᾳ

τῇ τοῦ θέλοντος, ἀλλ' ἀφιστάμεσθ' ἀεί.

والثانيــة هى، الجوقة الأصلية التى تتألف من نساء تروزين . ولكن هذا الرأى لم يلق قبولا عاما . فهناك جوقة واحدة تتأرجح أفكارها بين اليقين والشك[1] .

لقد تزعزعت العقيــدة الراسخة عند رؤية مصــير هيبوليتوس ونفيــه ، ولم يقترف ذنبا (سطر ١١٢٠) .

οὐκέτι γὰρ καθαρὰν φρέν' ἔχω, παρὰ δ' ἐλπίδ' λεύσσων.

وتندب الجوقة حــظ هيبوليتوس العاثر ونفيــه القاسى وقد خلت الديار من مرح الموسيق وأقفرت الغابات من حملات الصيد .

ونضيف الجــوقة فكرة غريبــة عن تنافس الفتيات فى حب هيبــوليتوس العازف عن النساء وعن الزواج (سطر ١١٤٠ — ١١٤١) .

νυμφιδία δ' ἀπόλωλε φυγᾷ σᾷ

λέκτρων ἅμιλλα κούραις·

ومن المحتمل جدا أن الجوقة هنا تعبر عن تلك الرغبة الغامضة فى قلب كل فتاة فى أن تعقد زواجا مع أمــير أحلامها ، وقد أبدع يوربيديس عندما جعــل أندروميدا فى أشــد أوقات الحرج وهى تنتظر الموت وقد شدت إلى الصخور تخاطب بيرسيوس[2] .

---

(١) قارن ما يقول الرســول فى قصة هيقيا عندما يرى مصير هيقيا وما حل بها من بؤس ، سطر ٤٨٨ وما بعده .

ὦ Ζεῦ, τί λέξω; πότερά σ' ἀνθρώπους ὁρᾶν;

ἢ δόξαν ἄλλως τήνδε κεκτῆσθαι μάτην

τύχην δὲ πάντα τἀν βροτοῖς ἐπισκοπεῖν.

ترجمة الأستاذ الدكتور عبد الله حسن المسلمى ص ٨٦ — ٨٧ .

(٢) عن أسطورة بيرسيوس انظر : روز، الأساطير اليونانية، ص ٢٧٢ .

خذنى كأمة أو كزوجة [1] .

وتتمنى Nausica فى الأوديسية ، ٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، زوجا مثل أوديسيوس

αἲ γὰρ ἐμοὶ τοιόσδε πόσις κεκλημένος εἴη
ἐνθάδε ναιετάων, καί οἱ ἅδοι αὐτόθ' μίμνειν.

قارن يوربيديس ، افيجينا فى أوليس .

كان أجاممنون يداعب ابنته وهى طفلة بأن يتمنى لها زواجا سعيدا ، وكانت هى تعده بأنها ستدعوه إلى دارها وأن تقدم له كل تكريم اعترافا بفضله فى تنشأتها .

وتعلن الجوقة عن أحد أتباع هيبوليتوس مسرعا تعلو الكآبة وجهه وهو يسأل فى لهفة أين يجد ثيسوس (سطر ١١٥٢) .

σπουδῇ σκυθρωπὸν πρὸς δόμους ὁρμώμενον.

ويخرج ثيسوس من قصره .

ويخبره الرسول بأنه يحمل أخبارا محزنة لثيسوس ولسكان كل من أثينة وتروزين .

وهذا يشبه ما يصرخ به الرسول فى قصة أندروماخا معلنا مصرع نيوبتوليموس فى دلفى (سطر ١٠٧٠ — ١٠٧١) .

ὤμοι μοι οἵας ὁ τλήμων ἀγγελῶν ἥκω τύχας
σοί τ', ὦ γεραιὲ, καὶ φίλοισι δεσπότου.

---

(١) جلبرت مرى ، تاريخ الأدب اليونانى ، ص ٢٥٧ :

Take m. O stranger, for thine hand maiden or wife

ويعلن الرسول خبره المحزن فى أوجز عبارة (سطر ١١٦٢) :

Ἱππόλυτος οὐκέτ' ἔστιν.

وكذلك فى قصة أندروماخا (سطر ١٠٧٣) :

οὐκ ἔστι σοι παῖς παιδός

وهذه سنة اسلتها هوميروس فى إعلانه موت باتروكلوس لصديقه أخيل[1] (الإليادة ، ١٨، ٢٠) :

κεῖται Πάτροκλος

ولكن طول أحاديث الرسل أصبح مضرب الأمثال . إن الغرض من سرد هذه التفاصيل المملة هو إذكاء الحزن فى قلوب السامعين وإثارة الانفعالات الحزينة . وفى قصة هيبوليتوس بالذات لاستمالة قلب الأب الغاضب مع ابنه ، فقلب ثيسوس يتقطع بين الأسى وحلاوة الانتقام .

ولذلك يسأل الرسول : كيف قضى على هيبوليتوس . هل قتله رجل اعتدى هيبوليتوس على زوجته كما فعل بزوجة أبيه (سطر ١١٦٤ — ١١٦٥) .

πρὸς τοῦ; δι' ἔχθρας μῶν τις ἦν ἀφιγμένος,
ὅτου κατῄσχυν' ἄλοχον, ὡς πατρὸς, βίᾳ.,

ويرد الرسول بأن عربة هيبوليتوس هى سبب هلاكه مضافا إليها تلك الدعوات القاتلات التى وجهها ثيسوس إلى أبيه بوسيدون .

وهذه أول مرة فى هذه المسرحية يشار إلى ثيسوس صراحة بأنه ابن بوسيدون. وهذه هى الأسطورة التى ذاعت فى تروزين[2] .

---

(١) قارن كونتليان ، مبادىء الخطابة ، ١٠ ، ١ ، ٤٩ :

narrare vero quis brevius quam qui mortem nuntiat Patrocli.

(٢) روز ، الأساطير اليونانية ، ص ٢٦٤ . الحل الوحيد للتوفيق بين الحكايتين هو أن ايجوس كان إلها سوى بينه equated وبين بوسيدون .

ويستمر ثيسوس فى نشوته ولم يذكر بعد ثقل الكارثة التى حلت به . فيوجه ثناءه إلى الآلهـة وإلى بوسيدون بالذات الذى آمن من الآن أنه أبوه حقا لأنه نفذ دعاءه فورا . ويطلب إلى الرسول أن يبين له كيف نزل سوط العـدالة على رأس من أساء إلى أبيه (سطر ١١٦٩—١١٧٢) .

Ὦ θεοὶ Πόσειδόν θ', ὡς ἄρ' ἦσθ' ἐμὸς πατὴρ
ὀρθῶς, ἀκούσας τῶν ἐμῶν κατευγμάτων.
πῶς καὶ διώλετ'; εἰπέ· τῷ τρόπῳ Δίκης
ἔπαισεν αὐτὸν ῥόπτρον αἰσχύναντ' ἐμέ;

ويقول الرسـول إن هيبوليتوس اتجـه بعربته فى الطريق الذى يؤدى إلى أرجوس وابيدوريا حـتى شاطىء الخليج السارونى وهنـاك ظهـر له ثور جاء من الـيم أفزع الخيل ، وجعلها تجـرى دون أن تطيع الأعنة وتسمع صـوت هيبوليتوس حتى اصطدمت العربة بصخرة فتحطمت وطارت أجزاؤها وسقط هيبوليتوس وسحب على الأرض الصخرية وأصيب إصابات خطـيرة تركته بين الحياة والموت .

ويعلق الرسول فى نهـاية كلامه أن سـيده هيبوليتوس لا يمكن أن يعد من الأشرار حـتى ولـو شنقت نساء العـالم كلهن أنفسهن أو ملأن جميـع اللوحات بالاتهامات (سطر ١٢٤٩ — ١٢٥٤) . وتعلق الجوقة على هذا الحادث الجـديد ذاكرة أنه لا مفر من القضاء والقدر (سطر ١٢٥٦) :

οὐδ' ἔστι μοίρας, τοῦ χρεών τ' ἀπαλλαγή.

وبدأت عزيمة ثيسوس تتخاذل وبدأ قلبه يلين . إنه لم يتخلص بعد من حقده على ابنه ولكن يعلق أنه إعظاما للآلهة وإكراما لذلك الذى خرج من صلبه لا يسر ولا يحزن لما وقع . ويطلب الرسول إلى ثيسوس الإذن فى حمل هيبوليتوس المصاب

إلى القصر وينصح مولاه [1] ثيسوس أن لا يكون قاسيا على ابنه فى محنته . ويأمر ثيسوس بإحضاره دون تردد ولكنه يعلل ذلك برغبته فى إلقاء نظرة على من أنكر أنه أساء إلى فراشه وأن يفحمه بلسانه . ويخرج الرسول . وتنشد الجوقة عن قوة أفروديتى وابنها إيروس إله الحب وسيطرتهما على أرواح الآلهة والناس فى البر والبحر وكل ما تطلع عليه الشمس .

وتظهر أرتيميس فوق القصر . كما تظهر أثينا فى قصة إيون وكما تظهر ثيتيس Thetis فى قصة أندروماخا . وهذا هو الإله من الآلة deus ex machina . وهو خاصة مميزة من خواص قصص يوربيديس . وقد يعتبر هذا عيبا فنيا من عيوب يوربيديس ككاتب مسرحى . لأنه يجب أن يكون للقصة قمة κλῖμαξ تبدأ بعدها فى تهدئة العواطف التى أثارتها الحوادث السابقة للقمة . ولكن يوربيديس لم يترك لنفسه فرصة وسارت قصصه مشتعلة حتى النهاية . فأصبح لا مفر من تدخل إله يقطع العقدة وينهى المشكلة .

وقد أشار أرسطو فى كتابه عن فن الشعر إلى الإله من الآلة قائلا (١٤٥٤ ا ٣٧ — ١٤٥٤ ب ٦) إن خاتمة المسرحيات يجب أن تنتج من الوقائع نفسها ، لا من إله من الآلة كما حدث فى قصة ميديا أو عودة السفن فى الإلياذة . ولكن ينبغى أن نلجأ إلى الإله من الآلة بالنسبة للأحداث التى تجرى خارج القصة أو

---

(١) يقول الرسول فى سطر ١٢٤٩ : ما أنا إلا عبد لبيتك أيها الأمير .

δοῦλος μὲν οὖν ἔγωγε σῶν δόμων, ἄναξ.

التى وقعت قبلها وليس فى وسع المرء معرفتها ، أو الأحداث التى وقعت بعد وتحتاج إلى التنبؤ وإظهارها لأننا نسلم للآلهة بالعلم بكل شىء [1] .

ويدخل ما يضع يوربيدس على لسان أرتيميس تحت الوقائع الماضية التى لا يعلمها ثيسوس ، وتحت طقوس التبجيل التى تزجى بأمر من الإلهة إلى هيبوليتوس بعد موته .

وكل هذه الطقوس مستقاة من عبادة هيبوليتوس كإله محلى أو كبطل فى تروزين .

تبدأ أرتيميس حديثها بتأنيب قاس لثيسوس بن أيجيوس . وقد تناسى يوربيديس أن أرتيميس تشير إلى بوسيدون كوالد لثيسوس (سطر ١٣١٥ و ١٣١٨) . أن يكون لثيسوس حظ بعد اليوم فى عيش الأخيار (سطر ١٢٩٤ — ١٢٩٥) .

ὡς ἔν γ' ἀγαθοῖς ἀνδράσιν οὔ σοι
κτητὸν βιότου μέρος ἐστίν.

---

(١) أرسطو ، عن فن الشعر ، تحقيق وترجمة J. Hardy ، طبعة Budé ١٤٥٤ أ ٣٧ — ١٤٥٤ ب ٦) :

φανερὸν οὖν ὅτι καὶ τὰς λύσεις τῶν μύθων ἐξ αὐτοῦ δεῖ τοῦ μύθου συμβαίνειν, καὶ μὴ ὥσπερ ἐν τῇ Μηδείᾳ ἀπὸ μηχανῆς καὶ ἐν τῇ Ἰλιάδι τὰ περὶ τὸν ἀπόπλουν· ἀλλὰ μηχανῇ χρηστέον ἐπὶ τὰ ἔξω τοῦ δράματος, ἢ ὅσα πρὸ τοῦ γέγονεν, ἃ οὐχ οἷόν τε ἄνθρωπον εἰδέναι, ἢ ὅσα ὕστερον, ἃ δεῖται προαγορεύσεως καὶ ἀγγελίας· ἅπαντα γὰρ ἀποδίδομεν τοῖς θεοῖς ὁρᾶν.

ترجمة متى بن يونس فى كتاب أرسطوطاليس ، فن الشعر ، طبعة بدوى ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ١١٦٠ . ترجمة بدوى فى الكتاب نفسه ص ٤٥٠ .

إن أرتيميس قد جاءت لتزيد من آلام ثيسوس عندما يستمع إلى براءة ابنه ، وجنون زوجته وإلى حد ما نبلها γενναιότητα ، لقد رمتها تلك الإلهة التى تبغضها الإلهات العذارى بحب ابنك وقد حاولت أن تتغلب بقوة إرادتها على هذا الحب ، ولكن حبائل المربية أهلكتها دون قصد التى أطلعت ابنك على حب سيدتها بعد أن أقسم لها على كتمان السر . وكشاب نبيل رفض ما عرضت عليه المربية ولكنه تمسك بيمينه على الرغم مما لقى من سوء المعاملة على يديك لأنه كان شابا ورعا . ولكنها خشيت افتضاح أمرها وخطت كذبا ما كتب وأهلكت ابنك بمكرها ومع ذلك فقد صدقتها .

ويتوجع ثيسوس عند سماع هذا الكلام .

وتقول أرتيميس : هل أوجعك حديثى؟ استمع إلى ما يلى ليزداد ألمك . أنت تعلم أن بوسيدون أباك قد منحك ثلاث دعوات مستجابات . لقد أضعت واحدة ضد ابنك ولم ترسلها ضد عدو من أعدائك . وأنفذ أبوك سيد البحار ما التمست . ولكنك فى رأيى ورأى بوسيدون لست من الأخيار . إنك لم تنتظر ظهور دليل أو نبوءة من مهبط وحى ولم تقم بفحص أو تترك للزمن كشف الحقيقة[1] ولكنك سارعت أكثر مما ينبغى فصببت اللعنات على ابنك وأرديته .

---

(١) يوريبيدس ، هيبوليتوس ١٣٢٢ — ١٣٢٣ :

ὃς οὔτε πίστιν οὔτε μάντεων ὄπα
ἔμεινας, οὐκ ἤλεγξας, οὐ χρόνῳ μακρῷ
σκέψιν παρέσες, ἀλλὰ θᾶσσον ἤ σε χρῆν.

يوريبدس ، هيبوليتوس ١٠٥١ — ١٠٥٢ :

Οἴμοι, τί δράσεις; οὐδὲ μηνυτὴν χρόνον
δέξῃ καθ' ἡμῶν, ἀλλά μ' ἐξελᾶς χθονός;

قارن سوفوكليس ، أوديب ملكا ، ٦١٣ — ٦١٥ .

ويتمنى ثيسوس الموت فى هذه اللحظة .

وترد أرتيميس أنه على الرغم من عظم ذنبك فإن من الممكن أن تنال الصفح من خطيئتك . ان كوبريس أرادت أن يحدث ما حدث شفاء لغيظها .

إن هناك قاعدة لا زالت قائمة بين الآلهة . لا يقف واحد من الآلهة فى طريق إله آخر إن أراد أحد الآلهة إنفاذ أمر من الأمور . ومع ذلك فلولا خشية زوس لم أعرض نفسى لهذا العار وهو أن أترك أحب الناس يموت على هذا النحو . أما عنك فإن خطأك نتيجة لجهلك . ومن الناحية أخرى قضى موت فايدرا على أى تمحيص . وكانت رسالتها الدليل المقنع عندك .

لقد تدفقت عليك كل هذه المصائب ولكننى حزينة أيضا . إن الآلهة لا يسرون لموت الأخيار ولكننا نهلك الأشرار وأبناءهم وديارهم (سطر ١٣٤٠ — ١٣٤١) .

τούς γε μὴν κακούς
αὐτοῖς τέκνοισι καὶ δόμοις ἐξόλλυμεν.

ومن البين أن هذا هو الرأى السائد بين اليونانيين . أما الرأى الصائب فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى .

يدخل هيبوليتوس يتوكأ على بعض أتباعه وتندب الجوقة حظه العاثر وحظ هذه الديار التى أرسلت عليها السماء الأحزان (سطر ١٣٤٦)

πένθος θεόθεν καταληπτόν.

ويتفجع هيبوليتوس شاكيا الآلهة ذاكرا ورعه وتقواه ناسيا رفضه تبجيل آلهة الحب . ولكنه يدرك فى سطر ١٤٠١ ، أن أفروديتى هى التى دمرته وهو يتمنى أن يدركه المـوت ويخلصه من الآلام . وقد أطال يوربيديس فى هـذا الموضع ليزداد التأثير على النظارة ، ويظهر بوضوح نبل هيبوليتوس الذى لم تدفعه آلامه إلى

السباب ضد من آذوه من الآلهة والبشر وأن يعفو عن ابيه ولا يشير إلى فايدرا من بعيد أو قريب .

ويشير ثيسوس إلى أنه ضحية للعنة وراثية . ولكن ما هـذه اللعنة ؟ إنه لا يفصـح عنها ، ومن المحتمل أنه لم يقصد لعنـة بذاتها وإنمـا أراد تلك اللعنات المتوارثة (سطر ١٣٧٩ — ١٣٨٣) .

μιαιφόνων τε συγγόνων,
παλαιῶν προγεννητόρων,
ἐξορίζεται κακόν, οὐδὲ μέλλει,
ἔμολέ τ' ἐπ' ἐμὲ
τί ποτε τὸν οὐδὲν ὄντ' ἐπαίτιον κακῶν.

فهـل يوجد هنا احتجاج صارخ ضـد الاعتقاد فى اللعنات المتوارثة ونزول المصائب بالأبرياء . ؟ وتبـدأ أرتيميس فى مخاطبة هيبوليتوس (سطر ١٣٨٩) وقد بقيت صامتة طوال هذه الفترة . إنها تناديه يا أيها الشقى : ὦ τλῆμον قائلة إن نبله قتله .

ويشعر هيبوليتوس بوجود الإلهة أرتيميس وهذا ممـا يخفف آلامه .

وتعلن أرتيميس عن وجودها وحبها له . ولكن البكاء حرام على الآلهة وإن كان هيبوليتوس عزيزا عليها فى حياته ووفاته . وتصف كوبريس بالشريرة πανοῦργος وتذكر الخطأ ἁμαρτία الذى ارتكبه هيبوليتوس فى حق أفروديتى (سطر١٤٠٢):

τιμῆς ἐμέμφθη σωφρονοῦντι δ' ἤχθετο.

ويرثى هيبوليتوس لأبيه الذى حلت به ثلاث نكبات (سطر ١٤٠٥)

ᾤμωξα τοίνον καὶ πατρὸς δυσπραξιάς.

وترد أرتيميس أنه ضحية تدبير إلهى . ويشير هيبوليتوس مرة أخرى إلى أبيه وما نزل به من مصائب . ويندب ثيسوس حظه ومرارة حياته . ويعلن هيبوليتوس

أنه يتألم لحظ أبيه أكثر من أسفه على نفسه . ويود ثيسوس أن لو مات بدلا من ابنه . ويشير هيبوليتوس إلى منحة پوسيدون (جده لأبيــه) القاسية . ويتمنى ثيسوس أن شفتيه لم تنطق بها . ويرد هيبوليتوس أن أباه كان لابد قاتله لشدة غضبه . ويجيب ثيسوس أن الآلهـة قد أذهبت عقله . ويود هيبوليتوس أن لو كان فى قدرة البشر إيذاء الآلهة (سطر ١٤١٥) .

εἴθ' ἦν ἀραῖον δαίμοσι βροτῶν γένος.

ووضع مثل هــذه العبارة أمر غريب قد يدل إما على أن يوربيديس كان يتعمــد الطعن فى الآلهــة أو أن الإنسان فى أزماته قـد ينطق ضد الآلهة بمـا لا ينبغى .

وتصح أرتيميس ترك مثل هذه الأقوال وتعد هيبوليتوس أنها ستأخذ ثأره من أى رجل حبيب إلى قلب أفروديتى .

ويعنى هــذا أن إنسانا آخر هو الذى سيحتمل العقوبة ، فلا مفر من سهام أرتيميس . وهذه سياسة إلهية خرقاء .

وتعلن أرتيميس أنها جزاء لهذه النكبات ستأمر أن يقدم إلى هيبوليتوس بعد وفاته أعظم أنواع التبجيل . ففى بلدة تروزين قص العذارى شعرهن قبل زفافهن إكراما لك [1] ، وستتقبل طوال الأجيال دموعا غزيرة حزينــة . وسيلهم مصيرك دائمـا أناشيد الفتيات وستبقى قصة حب فايدرا لك خالدة .

ثم تتجه أرتيميس إلى ثيسوس مخاطبة إياه بابن أيجوس τέκνον Αἰγέως آمرة اياه أن يحتضن إبنــه وأن يضمه إلى صدره فلم يكن خطأك عن قصــد . ومن

(١) روز ، الديانة اليونانية القديمة ، ص ٣٣ وما بعدها .

الطبيعى أن يخطئ البشر إن أراد الآلهة ذلك ، ثم تتجه إلى هيبوليتوس آمرة إياه أن يعفو عن والده لأنه قد أدرك القضاء الذى أهلكه .

وتودع هيبوليتوس قائلة إنه لا يجوز لها أن تنظر إلى المـوت ولا أن ترى شخصا يلفظ أنفاسـه الأخيرة . وهـذه عين الفكرة التى نجـدها فى بداية قصة الكستيس إذ يقول أبولون إنه سيغادر دار أدميتوس لئـلا يدنسه الموت إذ أنه يرى الموت θάνατος يقترب من ضحيته (الكستيس ، ٢٢ — ٢٣) :

ἐγὼ δὲ, μὴ μίασμά μ' ἐν δόμοις κίχῃ,
λείπω μελάθρων τῶνδε φιλτάτην στέγην·

وتشـير الجوقة فى قصـة الكستيس ٩٨ — ١٠٤ إلى الطقوس المعتادة من وضـع إناء أمام الدار مملوء بمـاء من ينبوع . وقص الشعر ، وضرب الخـدود بالأكف .

ويودع هيبوليتوس الإلهـة أرتيميس قائلا إنه يصفح عن والده كأمرها . فكثيرا ما أطاعها فى الأيام الخالية .

وتبدأ سـكرات الموت تأخذ بجسم هيبوليتوس فتظلم الدنيا فى عينيه وينادى اباه أن يأخذه بين ذراعيه وأن يرفع جسده إلى أعلى .

ويتساءل الأب هل تتركنى ويداى ملوثتان ؟ ويجيب هيبوليتوس : كلا أنى أبرؤك من الذنب عن هذا الموت . ويسأل ثيسوس : هل تبرؤنى من جريمة القتل ؟ ويرد هيبوليتوس بأنه يشهد الإلهة أرتيميس ذات القوس على ذلك . يثنى ثيسوس على ابنه الذى يظهر نحوه ذروة النبل ، قائلا إنه يبكى فيه البر والتقوى . ويكرر هيبوليتوس وداع أبيه . ويصرخ ثيسوس كالمعتاد : لا تتركنى وقاوم .

ويرد هيبوليتوس أنه انتهى ويطلب من أبيه أن يغطى وجهه بردائه[1] ويسقط ميتا . ويصرخ ثيسوس : أى مدينة أثينة المجيدة ، ويا أرض بلاس ! أى رجل ستفقدان . وإن أنسى ما حييت مآسيك ، يا كوبريس .

ويحمل الخدم جثة هيبوليتوس إلى داخل القصر .

وتنطق الجوقة بالرثاء الأخير فى ختام القصة : إن المواطنين جميعا يشاركون فى هذا الأسى الذى حل بهم دون انتظار . ستنهمر الدموع الغزيرة لفقدك . فشهرة الرجال العظام تخلد أحزانهم[2] .

ومن الممكن اعتبار الأبيات الأخيرة إشارة إلى موت بركليس فى عام ٤٢٩ ق . م[3] أى قبل عرض قصة هيبوليتوس بعام .

---

(١) يوريبيدس ، هيبوليتوس ١٤٥٨ :

κρύψον δέ μου πρόσωπον
ὡς τάχος πέπλοις.

تغطية الوجه عند الموت

سوفوكليس ، أياس ٩١٥ — ٩١٦ :

οὔτοι θεατός· ἀλλά νυν περιπτυχεῖ
φάρει καλύψω τῷδε παμπήδην.

(٢) يوريبيدس ، هيبولتوس ١٤٦٢ — ١٤٦٦ :

κοινὸν τόδ' ἄχος πᾶσι πολίταις
ἦλθεν ἀέλπτως.
πολλῶν δακρύων ἔσται πίτυλος·
τῶν γὰρ μεγάλων ἀξιοπενθεῖς
φῆμαι μᾶλλον κατέχουσιν.

(٣) Tragedies d' Euripide trad. par M. Artaud Paris 1957 P. 306 N. 2.

الفصـل الرابـع

هيبوليتوس عند فرجيل

فى الكتاب السابع من الإنيادة يستعرض فرجيل أبطال إيطاليا (سطر ٦٤٠ وما بعـده) ، ومن بين هـؤلاء يذكر فيربيـوس بن هيبوليتـوس من أريسيا Aricia . لقد نشأ فى أدغال إيجيريا Egeria حول الشواطئ الرطبة حيث يقوم مذبح ديانا . فقد رددت الأساطير أن هيبوليتوس بعـد أن لقى حتفه بتدبير من زوجة أبيه . وبعد أن أطفأ غليل والده بدمه ، بعث ثانية إلى هذه الحياة الدنيا . أعادته إلى الحياة الأعشاب الشافية وحب ديانا . ولكن رئيس الآلهة القادر على كل شيء غضب لإعادة الموتى إلى الحياة ، ورمى من فعل ذلك بصاعقة من عنده . وكان هـذا الشافى هو أيسكولابيوس Aesculapius بن أبولون . ولكن تريفيا Trivia أخفت هيبوليتوس وأرسلته إلى إيجيريا وإلى غابتها ، ليعيش بقية حياته بين الغابات الإيطالية دون شهرة أو مجد . وغير أسمـه إلى فيربيوس . وهذا هو السبب فى أن الخيول فيها حرم عليها الاقتراب من معبد تريفيا ومن أدغالها المقدسة لأن الخيل وقد أفزعتها الوحوش البحرية حطمت العربة والشاب على الشاطىء . ومع ذلك فإن إبنه كان يقود خيوله ويسرع بعربته إلى الحرب .

كانت إيجيريا إلاهة الينابيع ذات أهمية قليلة فى أريكيا ، عبدت أولا كعروس nymph من عرائس الينابيـع بالقرب من غابة ديانا ، ثم أصبحت فيما بعـد

واحد من آلهة الولادة — وفي روما من المحتمل أنه كان بينها وبين أحد الينابيع في خارج باب كابينا Porta Capena صلة ، وكذلك كان بينها صلة وبين Camenae وهن عرائس الينابيع الرومانية .

أما فيربيوس فكان وثيق الصلة بديانا وايجيريا كروح من تلك الأرواح التي تعين على الولادة . ولكن العلماء لم يتفقوا بعد على تحديد طبيعته . وكان يحرم لمس تمثاله الذي يصوره كرجل تقدمت به السن .

وتاريخ تسويته بهيبوليتوس غير معروف . ولكن من المحقق أن ذلك جاء بعد تسوية ديانا بأرتيميس . وساعد على ذلك تفسير اسم Uirbius بمن عاش مرتين ، كما أن نفور كليهما من الخيل أعان على تسويتهما .

وقد ذكرت قصة إعادة هيبوليتوس إلى الحياة في قصيدة نوباكتيا Naupactia وهي قصيدة تنسب إلى مدرسة هسيود ، وترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد .

قصة فايدرا لسينكا

ولد لوكيوس أنايوس سينكا (الحكيم) فى قرطبة من أعمال أسبانيا وهو ابن ماركوس أنايوس (الخطيب rhetor) قبل أو بعد ميلاد المسيح بفترة وجيزة. وحمل سينكا وهو طفل إلى روما فنشأ فى عاصمة الامبراطورية الرومانية. وأصبح عضوا فى مجلس الشيوخ فى عصر الامبراطور كاليجولا . ونفى إلى جزيرة كورسيكا فى سنة ٤١ ب . م ولكنه استدعى فى سنة ٤٩ ب . م . ليتولى تربية دومتيوس ابن أجربينا Agrippina زوجة كاوديوس الجديدة بعد مقتل ميسالينا وحظى سينكا بنفوذ كبير فى إدارة شئون البلاد فى أول عهد الامبراطور نيرون . ولكن نيرون طمع فى ثروته الطائلة وانتهز فرصة اتهام سينكا بالاشتراك فى مؤامرة بيسو فأمر مربيه ووزيره بالانتحار فى سنة ٦٥ ميلادية .

اعتنق سينكا المذهب الرواقى وألف فيه كثيرا من المقالات والرسائل . كما ينسب إليه تسع مسرحيات استقاها من المصادر اليونانية ، ولا سيما من قصص يوربيدس ، ومن هذه القصص مسرحية هيبوليتوس أو فايدرا التى حذا فيها حذو يوربيديس .

وتحمل قصص سينكا جميع عيوب العصر الذى عاش فيه والذى طغى فيه حب الأساليب الريطورية . ثم إن هذه القصص لم تكتب لتمثل أمام جمهور من

النظارة، وإنما دبجت لتقرأ مع نفر قليل من خاصة الأصدقاء . وهذا شبيه بما عرف فى العصر الفضى باسم declamatio ونجد إشارة إلى هذا النوع من القصص فى كتاب تاكيتوس المسمى حوار عن الخطباء dialogus de oratoribus، كما أن سينكا احتذى حذو نماذجه بحرية كاملة . وسيظهر فى مقارنة قصة سينكا مع مسرحية يوربيديس البون الشاسع بينهما .

ومن الآراء التى ذاعت وانتشرت ويجب توجيه النظر إليها أن سينكا استقى مسرحيته وقصته من مسرحية هيبوليتوس الأولى التى ضاعت ولم يبق منها إلا شذرات . ومما لا يحتاج إلى نقاش اتفاق القصتين فى إعلان فايدرا نفسها لحبها لهيبوليتوس . ولما كانت قصة يوربيديس الأولى قد فقدت فلسنا نستطيع عند الاختلاف بين قصة هيبوليتوس الثانية ليوربيديس أن نقول أن سينكا قد ابتدع هذه المناظر والمواقف أو أنه مدين بها ليوربيديس .

وتبدأ قصة سينكا على خلاف قصة يوربيديس الثانية بظهور هيبوليتوس فى الصباح وهو يعد العدة لحملة من حملات الصيد . ولكن أفروديتى فى قصة هيبوليتوس التى وصلت إلينا هى التى تلقى المقدمة . ويستغرق المنظر الأول فى قصة فايدرا لسينكا أربعة وثمانين بيتا . وهذا تفصيل ممل .

تظهر بعده فايدرا دون تقدمة لتعلن سخطها على زوجها الذى تركها . وذلك الجزء يتفق وما يقول بلوتارك من أن فايدرا فى قصة هيبوليتوس الأولى بررت حبها لابن زوجها بهجر ثيسوس لها . وتستطرد فايدرا لتذكر حبها لهيبوليتوس الذى استولى على قلبها وشغلها عن كل شيء آخر . وكل سرورها هو أن تتصور نفسها وهى تطارد الوحش فى الغابات وأن تلقى بالحراب والرماح (سطر ١١٠ — ١١١).

iuvrat excitatas consequi cursu feras

et rigida molli gaesa iaculari manu .

وهذان البيتان يشبهان ما تقول فايدرا فى قصة هيبوليتوس الثانية (سطر ٢١٥ وما بعده) ولكن شتان بين فايدرا التى أضناها المرض وأذهلها الحب فى قصة يور بيديس و بين فايدرا فى قصة سينكا . فالأولى مريضة حقا تهذى بما لاتدرى وتحاول أن تخفى آلامها . والثانية تستطرد . وتذكر فايدرا فى قصة سينكا سببا آخر لهذا الحب الذى ابتليت به : إن أفروديتى تثأر لنفسها من سلالة الشمس الذى فضح أمرها وحبها لمارس . فلم تجد واحدة من أسرة مينوس حبا إلا ومعه دنس nefas . ويستغرق حديث فايدرا من سطر ٨٥ إلى سطر ١٢٨ .

وتلعب المربية nutrix دور الناصحة المشفقة . ان الحب ككل الأمراض إذا وجد مقاومة فى البداية سهل علاجه ولكن إذا استسلم المرء لحلاوته استفحل أمره وأصبح داء عضالا . انها تعرف كبرياء الملوك والأمراء أما عن نفسها فهى على استعداد للرضوخ لكل ما تأتى به الأقدار . وحتى إذا كان ثيسوس سيبقى فى الدار الآخرة ولن يرى الضوء مرة أخرى فهناك مينوس وهناك الشمس ، وهناك زوس ، رب الآلهة والناس . وحتى إذا أغضينا عن كل ذلك فهل ينجو من يرتكب جرما من عذاب الضمير والخوف الذى يملأ القلب ؟ وترد فايدرا أنها تعرف صواب أقوال المربية ولكن ثورة الحب تدفعها إلى السير فى الطريق الأسوأ peiora (سطر ١٧٨ — ١٧٩)

sed furor cogit sequi

والعقل عاجز عن مقاومة هذه العواصف (سطر ١٨٤) :

quid ratio possit ?

ولقد أخضع الحب كبار الآلهة فلم ينـج منه زوس ولا مارس إله الحرب ولا إله النـار ولا أبوللون نفسه .

وترد المربية أن شهوات النفوس هى التى خلقت من الحب قوة إلهية . والثراء والسلطان هما دعامة الضلال . فالفقراء أقرب إلى العفة من الأغنياء . ويجب على فايدرا أن تخشى زوجها الذى قد يعود .

وتجيب فايدرا أن الحب لا غالب له فى قلبها ، وأنهـا لا تخشى عودة زوجها فلا رجوع من الدار السفلى .

وتتفق المربية مع فايدرا فى أنه لا عودة بعد الموت ولكن ثيسوس قد يجـد من الوسائل ما لا يستطيع أحد سواه .

تمنى فايدرا نفسها بأن ثيسوس ربمـا قابل حبها بالصفـح والغفران (سطر ٢٢٥) .

Ueniam ille amori forsitan nostro dabit

وتبين المربية لفايدرا أن هذه أمنية فاشلة . فلو فرضنا جدلا أن قلب ثيسوس القاسى الذى أهلك زوجة وفية قد خضع واستكان فمن الذى يخضع ذلك الشاب ابن الأمازونية الذى يكره النساء ويفر من الزواج ؟

وتعلن فايدرا عزمها على أن تلحق بهيبوليتوس ولو فر إلى أقصى الأرض ، وتظن المربية أن من المحال أن تستطيع فايدرا استمالة هيبوليتوس الذى من الممكن أنه كره جنس النساء لبغضه لفايدرا .

وترد فايدرا أن الحب قاهر الوحوش .

وتجيب المربية أنه سيفر من فايدرا ، وترد فايدرا أنها ستتبعه ، ويستمر الحوار فى جمل قصيرة وردود مقتضبة من سطر ٢٤١ . ويظهر من هذا النقاش السريع أن لا أمل فى أن تثوب فايدرا إلى رشدها .

وتستحلفها المربية بكل عزيز وغال أن توقف هذا الحب الآثم . فالرغبة فى الشفاء نصف العلاج .

وتعلن فايدرا أنها قبلت نصيحة المربية وأنها لن تسمح لشرفها أن يمسه دنس وأنها ستلحق بزوجها فى الدار الآخرة .

وتضرع المربية إلى فايدرا أن تضع حدا لهذه الأفكار الضالة . فالمربية تؤمن بأن فايدرا جديرة بالحياة لأن فايدرا نفسها صممت على الموت .

وتعلن فايدرا عزمها الأكيد على الموت . ولكنها لم تختر بعد طريقة الانتحار .

وتضرع إليها المربية أن توقف هذه الأفكار الجنونية . فإن من مات لن يعود .

وتتمسك فايدرا بفكرة الانتحار لأنه السبيل الوحيد إلى انقاذ شرفها .

وترى المربية أنها إذا صدقت عزيمة سيدتها على الموت أصبح من واجبها أن تحاول استمالة ذلك الشاب العنيد (سطر ٢٧٢ — ٢٧٣) :

meus iste labor est aggredi iuvenem ferum

mentemque saevam flectere immitis viri

وتتغنى الجوقة فى أنشودة جميلة بثقة الحب وسلطانه . ويظهر فى هذا النشيد حب سينكا للأساطير التى تروى عن زوس ومغامرات هرقل الذى أذله

الحب . يسيطر الحب على جميع البقاع وجميع الأجواء ويخضع الحب حتى كراهية زوجة الأب (سطر ٣٥٦) .

vincit saeuas cura novercos

وتسأل الجوقة المربية عندما تخرج من القصر عن حال سيدتها وتطيل المربية فى وصف الحب وآلامه وعوارض القلق الذى استولى على سيدتها، وينقل سينكا كما هو واضح الكثير فى حديث المربية عن يوربيديس .

وعندما تفتح أبواب القصر تظهر فايدرا مستلقية على أريكة محلاة بالذهب ، وقد أضناها الحب وهى تنفر من زينتها ، وتتمنى أن تمسك بحربة وأن تطارد الوحوش فى الغابات (سطر ٤٠٣) :

talis in silvas ferar

وحديث فايدرا هنا يحاذى قصة هيبوليتوس الثانية ليوربيديس محاذاة تامة .

وهنا نقطة تثير العجب : كيف تظهر فايدرا فى أول قصة فايدرا لسينكا فى عنفوان قوتها ثم يصيبها الضنى وتظهر عليها عوارض الاضطراب والقلق إلى هذا الحد .

وقد أحسن يوربيديس إذ جعل مثل هذا المنظر فى بداية القصة .

وتنصحها الجوقة أن تترك الشكوى فالتألم ضار بالبؤساء وعلى فايدرا أن تقدم القرابين إلى الإلهة العذراء التى تحمى الريف .

وتضرع المربية ، لا فايدرا — إلى إلهة القمر، وهى هيكاتى المثلثة Hecate triformis أن تعينهم على استمالة قلب هيبوليتوس وأن تلق الحب فى فؤاده فيمنحهم أذنا صاغية det facilis aures

وتشير المربية إلى السحرة فى تساليا الذين يزعمون أنهم ينزلون القمر luna من عليائها بسحرهم ، كما تشير إلى حب الاهة القمر للراعى انديميون Endymion . وفى هذه اللحظة ترى المربية هيبوليتوس مقبلا ليقدم القرابين للآلهة فتقول لنفسها سرا و بصوت خافت لا يسمعه هيبوليتوس : هـذا هو الرجل نفسه . لم تترددين ؟ إن الوقت والمكان ملائمـان . استخدمى حيلك . لم أرتعد ؟ إنه ليس من اليسير أن يجرأ الإنسان على ارتكاب جريمة بأمر من إنسان آخر . ولكن كل من يقوم بذلك بأمر من غيره ، فيجب عليه أن يطرد كل شرف من قلبه . فالحياء خادم ردئ لأوامر الملوك (سطر ٤٣٠) :

malus est minister regii imperii pudor .

وهذا القول يعبر عن الحال السائد فى زمان سينكا . وهو وقت اشتهر بالطغيان الذى استعان بأعوان لا يخشون لومة لائم .

يوجه هيبوليتوس الكلام إلى المربيـة متسائلا من سبب وجودها فى هـذا المكان ، فهى امرأة تقدم بها السن . و يصفها بأنها مربية وفية fida nutrix ، و يسأل عن سبب تجهمها وظهور الحزن على وجهها و يسأل عن سـلامة فايدرا ، وكذلك ولديها .

وتحاول المربيـة استمالة قلب هيبوليتوس بإسداء النصح إليـه أن يحيا حياة طبيعية ، وأن يستمتع بمـا له من سعادة وهنـاء . و يتسم حديث المربية بسمة ظاهرة من الرواقية :

(١) احتمال ما يأتى به القدر (٤٤٠) :

quem fata cogunt, ille cum uenia est miser.

(٢) قسم الإله لكل نوعا من الأخلاق والواجبات (٤٥١ — ٤٥٢) :

propria descripsit deus

officia et aevum per suos duxit gradus.

(٣) ان الحب هو سبب عمار العالم ليحل جيل جديد محل من مات . هذا تدبير منظم الكون ، رب الآلهة والناس . ولولا ذلك لفنى العالم .

وترنو المربية إلى أن مخالفة هذه النظم الإلهية لا يأتى بخير .

(٤) أسمى المبادئ (الرواقيــة) هو أن يعيش الإنسان طبقا لقوانين الطبيعة (سطر ٤٨١) : proinde vitae sequere naturam ducem

و يرد هيبوليتوس أن الحيــاة التى يحيى هى أفضل أنواع الحياة بعيــدا عن النظم فى المدن وما تحوى من فظائع . و يستطرد هيبوليتوس فى وصف ما أغرم به شعراء الرومان من تصوير للعصر الذهبى عصر ساتورنس Saturnus .

ومن أشهر رعويات فرجيل الرعوية الرابعة (٤٠ ق . م) التى ذاعت تحت اسم الرعوية المسيانية messianic التى تتنبأ بعودة العصر الذهبى .

و يستطرد هيبوليتوس لينسب إلى المــرأة كل أســباب الشرور والفجور . ضاربا المثل بميديا ، زوجة أيجــوس Aegeus الذى اقترنت به بعد أن قتلت ابنيها من ياسون ، وفرت إلى أثينة وحاولت أن تدس السم لثسوس عندما جاء إلى دار أبيــه لأول مرة . وترد المربيــة بأن من الظلم توجيه اللوم إلى جميع النسوة بسبب جرائم بعض النساء .

ويندفع هيبوليتوس فى ثورة عارمة على جنس النساء : انه يخشاهن كلهن ، وينفر منهن جميعا ويصب اللعنات عليهن كلهن سواء كان ذلك فكرا صائبا أو غريزة وجبلة أو جنونا قاسيا (سطر ٥٦٧) :

Sit ratio, sit natura, sit dirus furor.

وتذكره المربية أن الحب قد يقهر الأفئدة العنيدة ، وتضرب له مثلا بأمه قائلة إنه حتى الأمازونيات لا يهربن البتة من الحب وإن قتلن أبناءهن من الذكور .

ويبلغ بهيبوليتوس العنت أن يقول إن عزاءه الوحيد لفقد أمه أنه يستطيع أن يبغض النساء جميعا .

وبهذا الحديث يتخطى هيبوليتوس حدود البشر ، ويقع فى الخطأ .

وتعلق المربية سرا على ذلك بأن قلب هيبوليتوس أقسى من الصخر ، وأن من البين أنه يحتقر كلامها .

وترى المربية فايدرا تخرج من القصر مسرعة وتسقط فايدرا فى إغماءة .

وتخشى المربية نتيجة ذلك . فربما قادها الاضطراب الذهنى إلى ما لا تحمد عقباه .

ويسرع هيبوليتوس إلى رفع زوجة أبيه .

وتنتهز المربية هذه الفرصة لتحث فايدرا على التيقظ . حبيبها هيبوليتوس يأخذها فى أحضانه (سطر ٥٨٨) :

tuus en, alumna, temet Hippolytus tenet.

وتعود فايدرا إلى وعيهـا نادبة رجـوعها إلى الآلام وإلى النـار المشتعلة فى قلبها . ويتساءل هيبوليتوس عن سبب هذا القول .

وتحـدث فايدرا نفسهـا على البوح بحبهـا لهيبوليتوس طامعة أن يتزوجهـا هيبوليتوس بعد موت أبيـه . لقد أحبت حبا شائنا . amauimus nefanda وقد مات وقت الحياء Serus est nobis pudor وقد يقلب النجاح الجـريمة الى أمر نبيل .

وتطلب إلى هيبوليتوس أن تخلو به فترة قصيرة .

ويمنحها هيبوليتوس رغبتها .

ولكنها لا تستطيع أن تفصح بسهولة عما تريد (سطر ٦٠٣) .

Uis magna uocem mittit et maior tenet.

ويدرك هيبوليتوس أنها تريد أن تقول شيئا ما ولكنها لا تستطيع النطق به .

وتجيبـه فايدرا أن المتاعب القليلة يسهل التحدث عنهـا ، ولكن المتاعب الضخمة تذهل العقول .

ويطلب هيبوليتوس أن تسر إليه بمتاعبها مخاطبا إياها (يا أماه !) .

واستعماله هذا اللفظ دليل على عبقرية دراماتكية فذة .

وترد فايدرا أن اسم الأم أعلى بكثير مما تستحق ، وأن اسم الأخت أو بالأحرى الأمة أكثر ملاءمة لها . إنها على استعداد أن تطيع أوامره فى كل شيء .

وهى تطلب إليه أن يتولى الملك . فليس فى مقدور امرأة أن تحمى الدولة .

وعندما تطلب منه فايدرا أن يحنو عليها كأرملة يسارع هيبوليتوس إلى رفض هذا المقال متمنيا رجوع والده سالما فى التو .

ولكن فايدرا تقول إن الموتى لا يرجعون، ولن يسمح إله الدار الأخرى باطلاق سراح لص فراشه ، إلا إذا كان بلوتون يغضى عن الحب amori placidus

ويتمنى هيبوليتوس أن تشفق الآلهة على والده وأن تعيده إلى سماء الدنيا .

ويعد فايدرا برعايتها ورعاية أولادها وأن يملأ فيما يمسها مكان أبيه (سطر ٦٣٣):

ac tibi parentis ipse supplebo locum

ولكن هذا الكلام لا يخدع فايدرا فتنادى سرا على إله الحب Amor الخداع وعلى آمال العشاق الزائفة .

وتوجه كلامها إلى هيبوليتوس طالبة الرحمة miserere والإصغاء إلى ضراعتها التى لا تقوى على البوح بها .

ويدرك هيبوليتوس أن فى الأمر شيئا : فما هذا الشر ؟

وتدرك فايدرا أنه شيء لا يخطر على بال زوجة الأب .

ويطلب اليها هيبوليتوس أن تقول بصراحة ما تعنى effare aperte وأن تترك ذلك الأسلوب الملتوى .

فتصرح فايدرا أنها تكتوى بنار الحب التى تشتعل فى أحشائها كما تسرى النار فى الهشيم ، ويظن هيبوليتوس أن فايدرا تشير إلى حبها لأبيه .

وتوافق فايدرا على أنها تحب وجه ثيسوس الجميل عندما كان شابا جاء إلى كريت فأحبته أختها أريادنى وأعطته الخيط الذى أنقذه من قصر التيه بعد أن

قتل المينوتور . لقد كان شبيها بهيبوليتوس فى كل شىء، ولكن هيبوليتوس ورث الصرامة عن أمه الأمازونية .

وتوجه فايدرا ضراعتها إلى أختها التى رفعت إلى السماء وأصبحت نجمة مضيئة أن تعينها فى حبها . فقــد خلب لب أرديانى الأب ، وأطار الابن عقــل أختها الصغرى te genitor, at me natus

وتركع فايدرا عند قدمى هيبوليتوس .

إنها طاهرة بريئة لم تتغير إلا من أجله وحده tibi mutor uni . إنها ابنة ملك . إنهــا تتضرع إليــه واثقة أن هذا اليوم يضع حدا لآلامها أو حياتها وقلبها يصرخ : ارحم من أحبت : miserere amantis

وعندما نتذكر أن فايدرا كانت شابة صغيرة فى العشرين من عمرها ارتبطت برجل تقدم به السن له ابن فى مثل سنها ، لابد أن تأخذنا الشفقة على سليلة مينوس التى أذلهــا الحب .

ولكن هيبوليتوس يقابل اعتراف فايدرا بثورة عارمة من السباب ، يذكرها بأمها وحبها الشائن ، مناديا زوس ليرسل الصواعق لحريق هذا العالم كله ، مناديا الشمس التى تطلع على كل شىء لترى ما يصنع أحفاده ، ثم يتجه إلى فايدرا منددا بجريمتها التى بزت جميع جرائم النساء (سطر ٦٨٧)

scelere vincens omne femineum genus

وإن رحم أمها الدنس هو الذى حملها (٦٩٣) : illie te venter tulit

وينادى أباه قائلا إن ثيسوس كان أسعد حظا على الرغم أن ميديا كانت زوجة أبيه ، وحاولت دس السم له .

وترد فايدرا وهى ما زالت راكعة أمام هيبوليتوس (سطر ٧٠٣) : أنها فى موقف الضارعة iterum, superbe, genibus advolvor tuis

إنها تعرف المصائب التى حلت بأهلها ولكنها فقدت السيطرة على مشاعرها (سطر ٦٩٩) sed mei non sum potens

وتكرر ما سبق أن أعلنته أنها على استعداد أن تتبعه إلى أقصى الأرض .

وكلمة superbus فى سطر ٧٠٣ ، هى التى تدمغ هيبوليتوس بالغطرسة وترميه بتعدى الحدود ὕβρις وهى الخطأ amartia الذى يجره إلى حتفه .

وتلق فايدرا بنفسها فى أحضانه وتلمس جسده وربما لمست يده أو ركبته وينفر منها هيبوليتوس مشمئزا من أن يدها الدنسة قد لمست جسده الطاهر وقد بلغ بها الجرأة أن تلق بنفسها فى أحضانه ? etiam in amplexus ruit

ويهددها بالقتل بخنجره ولكنه لا يسل سيفه و يلوى رقبتها ممسكا بشعرها :

stringatur ensis

en impudicum crine contorto caput,

laeva reflexi.

ولا تهرب فايدرا من هذا التهديد بل أنها تطالب إلى هيبوليتوس أن يقتلها بيده . إن عمله هذا سيشفيها من جنونها (سطر ٧١١) :

إن هذا أكثر مما تمنى sanas furentem. maius hoc voto meo est

إنها ستموت وشرفها لم يمس و إنها ستموت على يديه (سطر ٧١٢) :

salvo ut pudore manibus inmoriar tuis

وتمسك فايدرا بالسيف .

و يظهر من سطر ٧١٣ وسطر ٧١٤ ، أن السيف كان لا يزال فى غمده لأن هيبوليتوس يأبى أن يقتلها بيده ، لئلا تبلغ ما تمنى . و يلقى بسيفه الذى دنسته من جنبه الطاهر . فالمحيط نفسه لا يمكن أن يطهر هذا السيف الذى لمسته يدها . وهـذا طبعا منتهى العجرفة فى معاملة امرأة فى مر كز أمه ، كان عليه أن يرفض حبها ولكن كان عليه أيضا أن يقول لهـا قولا كريمـا .

و يندفع هيبوليتوس خارجا من القصر مناديا غاباته وحيواناته المتوحشة .

o silvae, o ferae !

وتبقى فايدرا فى شبه إغماء ملقاة على الثرى .

وتدرك المربية ما حدث وأن أمر سيدتها قد كشف :

deprensa culpa est

وأنه لا سبيل إلى ستر هذه المعرة . وتصمم وهى امرأة عملية على أن الجريمة تستر بالجريمة ، وأن الهجوم أسلم (سطر ٧٢١ — ٧٢٢)

scelere velandum est scelus

tutissimum est inferre, cum timeas, gradum.

وما دام الأمر سرا ، فلن يكون هناك شهود عيان .

وتصرخ المربية بأعلى صوتها :

أى بلدة أثينة . العون ، العون ، النجدة أيها الخدم الأوفياء . إن هيبوليتوس يحاول بالقوة ارتكاب جريمة شنعاء ضد حرم محرم stuprum مهددا إياها بالقتل .

لقد فر هاربا تاركا سيفه وهو دليل على الجريمة scoleris tenemus piguus ·

ثم تتجه إلى الخدم طالبة منهم إنعاش سيدتهم hanc maestam prius recreate

وترك شعرها المهدل كقرينة على عظم الجرم . وتحث الخدم على حملها إلى

مدينة أثينة ليراها الجميع perferte in urbem

ومن المحتمل أن سينكا هنا تذكر قصة لوكريتيا Lucretia واعتداء

سكستوس تاركو ينوس عليها التى دونها ليفى، تاريخ رومه ، الكتاب الأول ،

الفصل الثامن والخمسون نبذ ٥٧ — ٥٨ . انظر طبعة سيلى Seeley اكسفورد

١٨٨١ ص ١٩٥ و ما بعدها .

والقرينة الدالة على ذلك أن المربية هنا تقتبس من ليفى . وتضيف المربية

أن العقل هو الذى يجعل من العمل أمرا شائنا لا الظروف ، سطر ٧٣٥ :

mens impudicam facere, non casus, solet.

وهذا قول مقبول نجد عليه أمثلة فى جميع بقاع العالم .

و يترك المسرح خاليا . وتتغنى الجوقة بنشيد يمتد من سطر ٧٣٦ إلى سطر ٨٢٨

أى ما يقرب من مائة بيت . وكما فى قصة هيبوليتوس الثانية ليوربيديس تأخذ

الجوقة على الرغم من أنها تتكون من نساء جانب هيبوليتوس فتتغنى بجماله ولكنها

لا تشير إلى فايدرا إلا فى الأبيات الأخيرة من النشيد. ثم ترى الجوقة رجلا مقبلا

يظهر عليه وعثاء السفر و يتبين عندما يقترب أنه ثيسوس .

وتمتلئ هذه الأنشودة بالإشارات إلى الأساطير اليونانية . تقارن الجوقة بين

جمال باكوس وجمال هيبوليتوس . ولا تنسى الجوقة أن إلهة القمر قد أحبت

انديميون ، وأن اريادنى فضلت ثيسوس على بروميوس .

ولكن الجمال عرض زائل وسوف يزول سريعا كما تذبل الزهور وعلى العاقل أن يستمتع بشبابه res est: forma fugax

ومهما اختفى الجمال فى الغابات أو الجبال فلم يسلم من المطاردة .

وتكثر الجوقة من مقارنة هيبوليتوس بالإله مارس وإله الشمس و بالبطل هرقل .

ولكن الجوقة تتذكر أن الجمال بين الرجال قد يكون مجلبة للشر (سطر ٨٢٠ — ٨٢١) .

raris forma viris (saecula perspice)
impunita fuit.

ولا حاجة بالمرء أن يستعرض التاريخ والأساطير ، وقصة حب ميسالينا زوجة الأمبراطور كلوديوس حدثت تحت سمع سينكا و بصره .

وتعلق الجوقة على ما يدبر للشاب البرىء فالنساء كيدهن عظيم .

و يدخل ثيسوس .

ذاكرا أنه قد مضى عليه أربعة أعوام فى الدار الآخرة إلى أن انقذه هرقل عندما هبط إلى الدار الآخرة ليحمل الكلب Kerberus إلى سماء الدنيا .

و يصغى ثيسوس إلى البكاء والعويل الذى ينبعث من داره ولا يدرى السبب ولكنه استقبال يليق بضيف الجحيم (٨٥٣) :

auspicia digna prorsus inferno hospite

وترد المربية بأن فايدرا عقدت النية على الموت ، فهى ترفض رجاءهم ، و يسأل ثيسوس عن السبب ولا سيما بعد عودته .

وترد المربية أن عودته لتحفزها على الموت العاجل .

ويحار ثيسوس فى مغزى كلام المربية فيأمرها بالإفصاح عما تريد .

وتجيب المربية أن فايدرا ترفض البوح بسرها وستأخذه معها إلى قبرها وهى ترجو من ثيسوس الإسراع فى ولوج القصر . فالأمر لا يحتمل التأخير .

ويأمر ثيسوس بفتح الأبواب . وعندما تفتح يرى ثيسوس زوجته فيخاطبها بشريكة فراشة socia thalami ويسألها هل هذه هى الطريقة المثلى فى استقبال زوجها الغائب . ويطلب إليها أن تخبره عما يدفعها إلى الموت .

ولكن فايدرا تستحلفه بكل عزيز لديه أن يتركها تموت .

ويسأل ثيسوس مرة أخرى عن السبب الحافز إلى الموت وترد فايدرا

بأنه إذا ذكر السبب ضاعت الثمرة fructus perit

ويؤكد لها ثيسوس أنه لن تسمعه إلا أذنه وحده .

وترد فايدرا أن المرأة العفيفة تخشى زوجها وحده .

ويكرر ثيسوس أنه لن يبوح بسرها .

وتقول فايدرا إن على من يطلب إلى شخص آخر أن يحفظ سره أن يحفظه هو أولا .

ويذكر لها ثيسوس أنه سيبعد عنها كل آلات الهلاك .

وترد فايدرا أن الموت سيجد طريقه إلى كل من يريد أن يموت .

ويسأل ثيسوس أى جريمة سيكفر عنها الموت .

وترد فايدرا : أن تعيش . quod vivo

ويسأل ثيسوس : كيف لا تحرك دموعه مشاعرها ؟ .

وترد فايدرا : أن أفضل الموت هو ما يبكيه الأهل والأصدقاء، سطر ٨٨١ :

mors optima est perire lacrimandum suis

ويهدد ثيسوس أن يقتلع السر من المربية بالعنف .

ومن الممكن أن نلتمس العذر لثيسوس إذ لا يجد من يطلعه على الخبر ، ولا سيما إذا تذكرنا أن العبد لا تقبل شهادته إلا بالتعذيب .

وتعلن فايدرا أنها ستتحدث .

ويسأل ثيسوس لم تشيح فايدرا بوجهها الحزين وتخفى بثوبها دموعها المنهمرة على خدها .

وترد فايدرا وهى تنادى زوس وآلهة الشمس ليكونوا شاهدين على ما تقول إنه اعتدى عليها بعد أن هددها بالقتل . ولكن روحها لم تدنس واحتمل جسدها العنف . وهذا الدنس الذى أصابها لا يغسله إلا دمها .

ويسأل ثيسوس عن ذاك الذى تجرأ على الإساءة إلى شرفه .

وترد فايدرا أنه أبعد الناس عن فكر ثيسوس . وعندما يلح ثيسوس فى معرفة اسمه تريه فايدرا السيف الذى تركه المعتدى على عفافها عندما هرب خوفا من المواطنين .

ويتوجع ثيسوس لفجيعته ويتعرف على السيف بمقبضه العاجى الذى يحمل إشارات البيت الحاكم فى أثينة . ويسأل اين ذهب هيبوليتوس ؟

وترد فايدرا أن الخدم رأوه وهو يهرول مسرعا .

وينادى ثيسوس الورع المقدس وزوس مدبر الكون ونبتون الذى يحكم عالم البحار متساءلا من أين أتى الدنس إلى أسرته . ويرجع ثيسوس ذلك العامل إلى الوراثة . فأم هيبوليتوس أمازونية . وهن ينفرن من الزواج الطاهر ولا يأبين غيره . إن الحيوانات ترفض مثل هذا العمل وتحافظ بغريزتها على قوانين الطبيعة . إن هيبوليتوس منافق له وجه متجهم وصرامة زائفة ، ورداء خشن ، مقلدا عادات القدامى ، وأخلاق الأقدمين . ياهذه الحياة الخداعة ، إنه يخفى شعوره الحقيق ويستر روحا شريرة بوجه وسيم . فالحياء يغطى الوقاحة والهدوء والورع يستران الآثام الشنيعة .

إن المخادعين يؤيدون الحق ، ومن لا حزم عندهم يدعون الشدة .

أيها القاطن فى الغابات ، أيها الإنسان المتوحش العنيف الذى لم يمس هل أبقيت نفسك لى ؟ راق لك أن تبدأ فى إثبات رجولتك بفراشى ، و بمثل هذه الجريمة الشنعاء ؟ الآن الآن أوجه الشكر للآلهة العظام أن انتيبوبى سقطت برمية من يدى إذ لم أترك لك والدتك عندما هبطت إلى الدار الآخرة .

مهما ذهبت شريدا طريدا إلى أرض بعيدة لا يعرفك فيها أحد ، ومهما فرقت المحيطات بينى و بينك ، ولو أنك سكنت أرضا تقابل أقدامنا فى أقصى القطب الشمالى ، فلن تنجو من عقابى . سأطاردك فى كل مكان تلجأ إليه ولو ذهبت إلى إلى أقطار بعيدة لا سبيل إلى الوصول إليها ، فسأصل إليك . انك تعلم من أين عدت . وسأريك بدعائى إن لم استطع أن ارميك بسلاحى ، ان أبى سيد البحار منحنى ثلاث دعوات يستجيب الإله لها وقد أشهد نهرستيكس Styx على ذلك .

(مخاطبا نبتـون) : نفـذ الآن ياسـيد البحار منحتك الحـزينة . لاتدع هيبوليتوس يرى النور بعد هذا اليوم وليذهب إلى الأرواح الغاضبة عليه ، قدم يا أبتاه هذا العون الكريه . أنى لم أكن أضيع منحتك لو لم تقع على هذه الشرور العظيمة، إنى لم أوجه إليك دعواتى وأنا فى أعماق الجحيم Tartarus ولدى ديس Dis الذى يبعث الفزع إلى النفوس وأمام تهـديد العالم السفلى . احفظ عهدك الموثق . أتتلكأ يا أبى ؟ لم لاتزال الأمواج هادئة ساكنة ؟ غط وجه الليل بغمام تدفعة الرياح . وابعد النجوم عن السماء، صب البحار صبا وحرك جميع الكائنات البحرية وادع الطوفان الضخم من المحيط نفسه .

ومن البـديهى الذى لايحتاج الى ذكر أن حديث ثيسوس هذا قطعة رائعة من البلاغة الرطورية .

وتنشد الجوقة نشيدا امتلأ بمعالم الفلك الرواقى ، لينتهى بإشارات إلى تحكم الحظ الأعلى فى مصائر الناس . فالأخيار يطحنهم الفقر،والأشرار ينعمون بالغنى . وهذا يذكرنا بقصة أرستوفانيس إله الثراء .

ولكن هـذا الرأى مضاد للذهب الرواقى الذى يؤمن بالجـبرية والذى جعل من العالم إلها : deus est mundus

وتعلن الجوقة قدوم رسول يبلل الدمع الحزين وجهه .

يدخل الرسول . يندب الرسول حظه والقدر الذى اختاره ليحمل مثل هذه الرسالة التى لاينبغى أن ينطق بها .

ويطلب ثيسوس إلى الرسول أن يدلى برسالته بلا خوف ولا وجل ، فقلب ثيسوس على استعداد لتحمل المصائب .

ويجيب الرسول أن لسانه يأبى النطق بهذه المصائب التى تدفعه إلى الأسى .

ويأمره ثيسوس أن يفصح عن هذه المتاعب الجديدة التى تنزل بدار محطمة .

ويرد الرسول متفجعا بأن موتا حزينا قد حل بهيبوليتوس .

ويعلق ثيسوس أنه كأب يعلم منذ مدة موت ابنه . لقد لقى المعتدى جزاءه ، لكنه يطلب إلى الرسول أن يقص عليه تفاصيل نهايته .

وينطلق الرسول كعادة الرسل فى سرد كل كبيرة وصغيرة فى مائة وأربعة عشر بيتا ، من سطر ١٠٠٠ إلى سطر ١١١٤ . ويشبه سينكا الثور الذى خرج من الماء وأخاف خيل العربة بالحوت physeter . ويسرف سينكا فى وصف البلاء الذى حل بجسد هيبوليتوس وتقطيع أوصاله ، وجمع أتباعه لتلك الأجزاء التى تودع فى النار الجنائزية .

وهنا فرق واضح بين مشاعر الرومان الذين أحبوا الحروب واعتادوا رؤية الدماء فقست قلوبهم و بين المشاعر اليونانية الرقيقة . فهناك فى قصة هيبوليتوس الثانية لبوربيديس يصل هيبوليتوس إلى دار أبيه جريحا . ولكنه يستطيع التحدث إلى أبيه و إلى الإلهة أرتيميس .

ويبكى ثيسوس فقد ولده الذى كان يتمنى موته . فصلة الرحم قوة قوية وعروة لا انفصام لها .

ويعلق الرسول على حزن ثيسوس بأنه ليس من الصواب أن يبكى المرء على شىء كان يرغب فيه .

ويوافق ثيسوس جزئيا على هـذا الرأى قائلا إنه أعظم شر يبتلى به الإنسان (سطر ٢٠ : ١) .

Si abominanda casus optanda effecit

ويتسأل الرسـول كيف ينهمر الدمع من ثيسوس إذا كان قلبه لا يزال يحقد على ابنه . ويرد ثيسوس أنه لا يبـكى فقط ابنه ولكنه يحزن لأنه كان السبب فى هلاكه (سطر ٢١٢٢) :

quod interemi, non quod amisi, fleo

وتترنم الجوقة بأنشـودة عن مصائر النـاس وتقلب أحوالهـم مشيرة إلى أن حياة الفقراء أسعد بكثير عن معيشة الأغنياء . فقمم الجبال تغطيها الثلوج وتصيبها الصواعق وتضربها الرياح الهائجة ولكن الوادى المنخفض قل أن يصيبه الأذى . لأن كبير الآلهـة يحقـد على المرتفعات التى تقرب من السماء (سطر ١١٣٦ — ١١٣٧) :

meuens caelo

Iuppiter alto vicina petit

ان الساعات المتقلبة تظهر على أجنحة غامضة ولاثبات للحـظ . لقـد فرح ثيسوس برجوعه إلى عالم النور وتركه عالم الظلماء ولكنه الآن يندب حظا أظلم من دار الجحيم .

أى يلاس التى يبجلها أهـل أثينة هل عاد حبيبـك ثيسوس إلى دنيا الضوء وترك عالم الآخرة لتحل به الأحزان والآلام .

وتعلن الجوقة عويل فايدرا وخروجها من القصر ممسكة بسيف مسلول .

وتدخل فايدرا .

ويتساءل ثيسوس عن سبب بكائها وعويلها على هذا الجسد البغيض

Corpus invisum

وتصرخ فايدرا طالبة من إله البحر أن ينتقم منهـا وأن يرسل ماءها ووحوشه وكل ما تخفى مياهه .

وتتجـه إلى ثيسوس فتصفه بالقسوة على أهله وعشيرته . وقد أهلك زوجته وها هو يهلك ابنه من أجل زوجته الثانية (سطر ١١٦٧) :

amore semper coniugum aut odio nocens

ثم تلتفت إلى أشلاء هيبوليتوس قائلة :

أهـكذا أرى وجهك ؟ أهـذا من صنع يدى ؟ أى مارد متوحش قد مزق أحشاءك ؟ وبلى أين ذهب جمال وجهك، ونور عينـك وقد كان يحمى المضئ ؟ أمزق فى قبضة الموت ؟ عد إلى الحياة قليلا ، واستمع إلى ما أقول . ولن أقول ما هو شائن . سأضرس هذا السيف فى قلبى الشرير، جزاء وفاقا ، وأخلص من الحياة ومن الجريمـة . وعندئذ سأتبعك فى مياه الجحيم ونيرانه . خذ هذه الخصلة من شعرى لقد . . لقد حرمنا الحظ من الاتحاد فى الدنيا فلنتحد فى الممـات .

ثم تناجى نفسها .

موتا الآن . إن كنت شريفة فمن أجل زوجك . وإن لم تكونى طاهرة فمن أجل حبك . أأتوجه إلى فراش زواجى بعد ارتكاب هذه الجريمة البشعة ؟ لم تبق سوى هذه الجريمـة أن استمتع بزوجى كأنى طاهرة . أيهـا الموت أنت السلوى الوحيدة لهذا الحب الآثم . أيها الموت أنت أعظم ما يشرف به الحياء الذى مسه الأذى .

انصتوا إلى يا اهل أثينة وأنت أيها الأب التى زادت قسوتك عن قسوة زوجة الأب . لقد كذبت عليك وألصقت ذاك الهوى الذى استعر فى قلبى بهيبوليتوس . ولقد ذهب انتقامك عبثا . لقد هلك هذا الشاب الطاهر بسبب جريمة دنسة . إنه يموت عفيفا بريئا .

ثم تخاطب جثة هيبوليتوس .

لقد عاد إليك شرفك . إن صدرى الدنس معد لاستقبال سيف العدالة وبدمى سأقدم إليك ما ينبغى أن يقدم للموتى .

ثم تخاطب ثيسوس قائلة :

ماذا يجب عليك كأب قتل ابنه ؟ خذها من زوجة الأب : اتخذ من الجحيم مخبــأ .

تلق فايدرا بنفسها على السيف وتموت .

و يندب ثيسوس حظه متمنيا الموت ، داعيا الجحيم ووحوش البحر وإله البحر أن يرسل إليه أقسى موت فهو لا يستحق المـوت السهل لأنه أهــلك فلذة كبده بموت لم يسمع به أحد . لقد ملأت الأرض والسماء والبحار ، وهى أقسام العالم الثلاثة بالآثام . فقد ارتكبت جريمتين وأهلكت روحين وسأشعل النيران الجنائزية لابنى ولزوجتى . أى هرقل أعد إلى إله الموتى ، ديس Dis منحته . ارجعنى ثانية إلى الأرواح التى هربت منها . إنى أدعو بعد أن ارتكبت الإثم أن أموت وقد تركت الموت من ورائى .

و يعدد ثيسوس طرق الموت التى عرفها فى مغامراته السابقة .

ويتذكر ثيسوس تلك العقوبات التي ينزلها فليجيثون Phlegethon بالمجرمين فى الجحيم .

كما يشير إلى عقاب سيسفوس Sisyphus بن أيولاس الذى يدحرج صخرة إلى قمة عالية لتعود ثانية إلى السفح ، كما يذكر عقاب تانتالوس Tantalus بالعطش الدائم والماء قريب من شفتيه . كما يشير إلى الصقر الذى ينهش كبد تيتيوس Tityus ولكن الكبد يتجدد كل مرة . كما يتمنى أن يعاقب مثل اكسيون Ixion والد صديقه Pirithous بأن تحطم أعضاؤه على عجلة لا تكف عن الدوران . وأخيرا ينادى على الفوضى Chaos ليضمه إليه . ويؤكد لإله الموتى أنه سينزل إلى الدار الآخرة هذه المرة دون قصد سيء .

وتنصحه الجوقة فى أن يسرع فى إتمام الطقوس الجنائزية لابنه فأمامه وقت طويل للبكاء والعويل .

ويأمر ثيسوس الخدم أن يأتوا بأشلاء هيبوليتوس . أهذا هو هيبوليتوس ؟ إن الإثم جريمته ، وهو لم يرتكب جريمته وحيدا بل طلب العون من أبيه إله البحار ، انه ليحتضن أعضاء ابنه المهشمة ويضمها إلى صدره .

وتنصح الجوقة بترتيب الأعضاء ترتيبا طبيعيا ، ولكنها تلاحظ أن جزءا كبيرا من جسده غير موجود .

ويحاول ثيسوس أن يوقف دموعه وأن يثبت يديه وهو يرتب أعضاء ابنه . ويجد بين الأجزاء جزءا قد تشوه فلا يستطيع معرفته فيضعه فى مكان خال .

ثم يضع بعض الهدايا على جسد ابنه وهى الهدايا الأخيرة من الأب الحزين (سطر ١٢٧٣) :

en haec suprema dona genitoris cape

ويأمر ثيسوس بفتح أبواب القصر لجميع أهل أثينة لكى ينـدبوا موت هيبوليتوس بالصراخ والعويل .

كما يأمر الخدم أن يبحثوا فى الحقول عن أى عضو لم يعثروا عليه بعد .

ثم يشير إلى جثة فايدرا بازدراء طالبا إلى الخدم دفنها فى أعماق الثرى راجيا أن تثقل الأرض على رأسها النجسة .

وهذا المنظر لو مثل - وكانت القصص فى العصر النضى تقرأ عادة ولا تمثل ، تقطعت له الأكباد ، ولم يستطع أحد من النظارة احتمال منظر تجميع الأشـلاء المهشمة . وقد حرم شعراء التراجيديا على أنفسهم وأفرهم على ذلك أرسـطو وهو عدم عرض المناظر التى تقشعر لها الأبدان على المسرح .

كما أن تحقير جثة فايدرا مخالف للقاعدة المعروفة : اذكروا حسنات موتاكم :

de mortuis nihil nisi bonum

ومما تجدر الإشارة إليه أن قصة فايدرا لسينكا خلت من تدخل الآلهة و إن امتلأت بالإشارة إلى الأساطير اليونانية المشهورة وغير المشهورة . وربما كان ذلك أثرا من آثار مدرسة الاسكندرية ، وقد وصف روز ، الأدب اللاتينى ، ص ٥٧٣ ، ما يدور فى قصة سينكا بالخلاعة .

ولكن سينكا نسى أن فايدرا كانت شابة صغيرة لم يتجاوز عمرها العشرين ، اقترنت برجل له ابن فى مثل سنها . و يلح سينكا على جمال هيبوليتوس . والجمال له جاذبية فى سن الشباب .

ويصف روز هيبوليتوس بأنه لم يكن خفيفا عن روية، ولكنه كارهاه للنساء وأنه سعيد بأن أمه قد ماتت ، فأتيحت له الفرصة أن يكره النساء جميعا .

وقد بنى روز رأيه على المقارنة بين قصة يوربيديس الثانية وقصة سينكا ، مع أن روز يرى أن سينكا ربما يكون قد تأثر إلى حد ما بقصة هيبوليتوس الأولى . ولا شك أن سينكا أخذ عن قصة هيبوليتوس الملثم καλυπτόμενος اعتراف فايدرا نفسها لهيبوليتوس بحبها له .

ثم إن سينكا يكرر إيمان فايدرا بعدم استطاعة ثيسوس أن يعود ثانية من الدار الأخرى . وهذا يغير كثيرا من الوضع ، ويعطيها الأمل مهما كان ضعيفا — في الاقتران بحبها ، ولم يكن هناك اعتراض في العصور الخالية على توارث الزوجات ، والزواج بن الأسيرات . وقصة أندروماخا ليوربيديس بنيت على زواج نيوبتوليموس بن أخيل من أندروماخا أرملة هيكتور ، بطل طروادة . بل إن الكتاب الأول من الياذة هوميرس بذكر هذه العادة . وما غضب أخيل إلا لانتزاع جائزته منه لإعطائها لأجامنون الذى رفض افتداء ابنة كاهن أبولون وجلب وباء الطاعون الذى أرسله أبولون على الجيش والأساطيل اليونانية .

ويثنى فرنك جاستوس ميلر Frank Justos Miller فى مقدمته لترجمته فى مجموعة لويب Loeb لندن ١٩١٧ على الأبيات ٤٨٢ وما بعدها وما احتوت من وصف لجمال الطبيعة وطيب الحياة بعيدا عن المدن المكتظة .

كما يمدح ميلر الأبيات ١٩٥ وما بعدها التى يضعها سينكا على لسان المربية وهى تحاول أن ترد فايدرا عن غيها .

وكذلك يمدح ميلر الأبيات ٦٧١ وما بعدها وفيها يعلن هيبوليتوس ثورته العفيفة على الرجس الذى ترتكبه النساء تحت سمع الآلهة و بصرها .

ويشير ليون هيرمان Leon Herrmann فى مقدمته لترجمة قصة فايدرا لسينكا طبعة Budé ص ١٧٦ — ١٧٧ أن شخصية فايدرا تستولى على انتباهنا فى جميع القصة إلى حد أن شخصية هيبوليتوس وثيسوس تتضاءل أمام شخصيتها . وهو يثنى على أناشيد الجوقة ولا سيما الأنشودة الثانية . وهو يشير إلى أن راسين تأثر بالمنظر الذى تعترف فيه فايدرا بحبها لهيبوليبوس فى قصة سينكا .

ولكن كلا من ميلر وهيرمان يشيران إلى تأثير الريطورية على قصص سينكا إذ كان هذا التأثير عاما فى العصر الفضى .

الفصل الخـامس

مقارنة بين قصتي يوربيديس وقصة فايدرا لراسين

نبدأ هـذه المقارنة بما يقول راسين نفسه فى مقـدمته لقصة فايدرا عندما عرضها لأول مرة فى سنة ١٦٧٧ ميلادية. انه يعترف أنه استقاها من يوربيديس، وأن أجمل ما فى قصته مدين ليوربيـديس ، وإن كان قد سار فى سرد حوادثها على نهج يخالف ما سار عليه يوربيديس ، وينسب راسين نجاح قصة هيبوليتوس ليوربيديس إلى أنها اتفقت مع ما يقول أرسطو، فن الشعر ١٣ ، عن بطل القصة، وعن هدف القصص التراجيدية وهو إثارة الشفقة والخوف :

Pity and fear = Compassion et terıeur

ففايدرا ليست بريئة كل البراءة ، ولا مخطئة الخطأ كله . لقد رماها الآلهة، وابتلاها قدرها بحب آثم هى أول من يرتجف منه . وهى تحاول الموت دون أن تبوح بهذا الحب . وعندما تضطر إلى البوح به ، تفعل ذلك فى اضطراب يدل على أنهـا ضحية للآلهـة وأن الأمر ليس لإرادتها دخل فيه . ويذكر راسين أنه حاول أن يخفف من ظهورها بمظهر الكريهة البغيضة كما فعل القدامى les anciens.

وهو يقصد بالقدامى : يوربيديس وسينكا اللذان جعلاها تتهم هيبوليتوس عامدة متعمدة . ويقول راسين إن هذا المسلك الشائن لا يلائم أميرة فاضلة نبيلة

فوضع اتهـام هيبولينوس على لسان المربية وإن كانت المربية لم تفعل ذلك إلا لإنقاذ حياة سيدتها وشرفها . ولا تشترك فايدرا فى هـذا الأمر إلا لأنها فقدت السيطرة على نفسها . وبعد فترة تعترف بالحقيقة وتبرئ هيبوليتوس .

أما هيبوليتوس فهو متهم فى قصة يوربيديس وقصة سينكا بأنه اعتدى فعلا على زوجة أبيه (سينكا ، فايدرا ، ٨٩٢ Vim Corpus tulit

ولكنه عند راسين لا يتهـم الا بمحاولة ذلك . ويقول راسين إنه أراد أن يقى ثيسوس ويجعله أكثر قبولا عند النظارة .

أما فيما يمس شخصية هيبوليتوس فيقول راسين انه لاحظ أن القدماء أخذوا على يوربيدس أنه جعل منه فيلسوفا مبرءاً من كل العيوب، ممـا جعل موت هذا الشاب يثـير اشمئزازا أكثر من إثارته للشفقة . ولهذا أسند إليـه راسين بعض الضعف الإنسانى الذى يثير غضب أبيـه ، ولكنه لا يفقـده شـيئا من العظمة الأخلاقية . أنه يحافظ على شرف فايدرا، ولو أدى ذلك إلى القضاء عليه . ويعنى راسين بهذا الضعف الإنسانى حبه لأريسى Aricie وهى من سلالة معادية لأبيه .

وأريسى Aricie هـذه ليست من اختراع راسين ولكنه وجدها فى انيـادة فيرجيل الذى يقول إن هيبوليتوس تزوجها بعد أن عاد إلى الحياة . ويقول راسين أنه قرأ فى بعض المؤلفين القدامى أن هيبوليوس تزوج من فتـاة أثينية من الطبقة العليا ، وأنها جاءت معه إلى إيطاليا ، وأن بلدة أريسيا قد سميت باسمها .

ويقرر راسـين إنه يذكر كل ذلك لأنه يريد أن يسير وراء الأسطورة دون أن يحيد عنها . ولذلك سار فى إثر بلوتارك فى سيرة ثيسوس . ويروى بلوتارك ،

فى سيرة ثيسوس ١٣، أن ثيسوس ذهب مع بيرثوس Pirithoüs إلى إبير Epire لاختطاف زوجة ملك إبير الذى أمسك بهما ، وقتل بيرثوس Pirithoüs وسجن ثيسوس . وغيبة ثيسوس وانتشار الإشاعة أنه مات، مكّنت فايدرا من البوح بحبها لهيبوليتوس . ولم تكن لتفعل ذلك ، لو أنها ظنت أن زوجها لازال حيا . وهذا الاعتراف كان من أعظم الكوارث التى حلت بها .

ويعلن راسين أن قصة فايدرا أفضل قصصه :

La meilleure de mes tragédies

وأنه يترك الحكم لها أو عليها للزمن وللقراء . وهو يؤكد أنه حاول إعلاء شأن الفضيلة واظهارها فى قصة فايدرا أكثر مما حاول فى أى قصة اخرى . فأقل الهفوات تلق جزاء صارما . وأى تفكير فى الإثم يعادل ارتكاب الإثم نفسه . والضعف أمام الحب يعتبر ضعفا حقيقيا . وليس هناك إشارة إلى الهوى إلا لإظهار ماسببه من اضطراب ، ولا ذكر للعيوب إلا لبيان أثرها الضار بالأخلاق . وهذا فى الحقيقة هو الهدف من الكتابة للجماهير ، وهذا ما وضعه الشعراء الأقدمون نصب أعينهم . لقد كان المسرح مدرسة، لاتقل عن مدارس الفلاسفة فى تلقين الفضيلة . وهذا ما دعا أرسطو إلى وضع قواعد التراجيديا ، وما حدا بسقراط أن يناقش قصص يوربيديس . ويأمل راسين أن تكون قصصه كقصص الأقدمين فى البحث عن الفضيلة ، والابتعاد من الرذيلة . ودفاع راسين هنا موجه ضد هجوم أتباع المذهب الجاسينيتى على المسرح .

ومن أوجه التشابه بين راسين ويوربيديس أنهما وضعا قصتيهما فى بلدة تروزين ، أما سينكا فقد وضع قصته فى أثينة .

ومن أوجه الاختلاف أن راسين أضاف شخصين إلى المسرحية لا وجود لهما عند يوربيديس أو سينكا. وهما مربى هيبوليتوس المسمى ثيرامين Theramêne وأريس Aricie التى أحبها هيبوليتوس ، وهى أميرة من أقارب ثيسوس ، ومن أسرة معـادية . كما أن راسين قد أعطى مربية nutrix = nourrice فايدرا اسما ، إذ أطلق عليها اسم أوينونى Oenone وفى كل من سينكا ويوربيديس لا اسم لهـا .

وفى المنظر الأول ترى هيبوليتوس يعلن إلى مربيـه (تيرامين) أنه عازم على الرحيل للبحث عن أبيه الذى تغيب منذ ستة أشهر — وهذا المنظر يذكرنا بعزم تليماك بن أوديسوس على البحث عن أبيه الذى تاه فى البحر الأبيض عشر سنين .

ولكن تيرامين يؤكد له أنه بحث عن ثيسوس فى كل مكان دون جدوى .

ويتساءل تيرامين هل يريد ثيسوس أن يعرف أحد مكانه . فربما كان هادئا مغتبطا فى أحضان حب آخر (سطر ٢١) :

Ce héros n'attend point qu'une amante abusée . . ,

ويوقف هيبوليوس مربيه عنـد حده . فكلمة abusée لا تليق بثيسوس . لقد هجر أفعال الشباب ، ولم تعد فايدرا تخشى أى منافسة . وعلى أى حال فواجب هيبوليتوس أن يبحث عن أبيه . ثم انه يريد أن يهرب من هـذه الأماكن التى لا يطيق البقاء فيها .

ويتساءل تيرامين عن السبب الذى جعل تروزين بغيضة فى أعين هيبوليتوس ، وكان يفضلها على أثينة ، وعلى البلاط .

ويرد هيبوليتوس أن سعادته قد انتهت منذ أن أرسل الآلهة إلى تروزين فايدرا ابنة مينوس من باسيفاى Pasiphae .

ويعلن تيرامين أنه يفهم هذا السر ، فوجود فايدرا فى تروزين ، وهى التى أرسلته بعيدا إلى تروزين ، غصة وشجى فى نظر هيبوليتوس . ولكن تيرامين يؤكد لهيبوليتوس أن كراهية فايدرا لابن زوجها إما أنها ضعفت أو انتهت ، ثم ماذا تستطيع امرأة على شفا الموت ، وهى تبحث عن الموت (سطر ٤٤) :

Une femme mourante et qui cherche à mourir.

أن تدبر من مؤامرات ضد هيبوليتوس . إن شرا قد نزل بها . وهى لاتبوح لأحد بسرها .

ومن سطر ٣٥ وما بعده يتبين أن الضنى الذى حل بالملكة كان معروفا ، وإن لم يعرف سببه .

ويعترف هيبوليتوس أنه يهرب من «عدوة» أخرى une autre ennemie فهى أريس سليلة أسرة معادية .

ويعجب تيرامين أن هيبوليتوس يكره هذه الفتاة الجميلة البريئة من كل ذنب ارتكبه إخوتها .

ويرد هيبوليوس أنه لو كان يكرهها لما هرب منها .

ويتساءل تيرامين هل أخضعت إلهة الحب فى النهاية هذا الشاب المتكبر الذى طالما احتقرها وصغر خده لقوانين الحب . لقد لقى ثيسوس ما يبرر مغامراته الغرامية .

ويجيب هيبوليتوس انه أعرف به وبأخلاقه وكبريائه وهو من رباه صغيرا، وتفانى فى رعايته كبيرا ، وأنه كان يصغى بشوق إلى مربيه عندما يقص عليه أخبار أبيه وأعماله البطولية. وإن كان لا يرغب فى سماع مغامرات والده واختطاف هيلانة وبيربى Peribée وحبه لأرديانى . ثم لفايدرا بعدها ولكن تيسوس له من أعمال البطولة ما يغطى على هذه العيوب . ولكن هيبوليتوس لم يفعل شيئا كأبيه . وحبه لأريس سيقابل بالسخط من أبيه الذى حرم عليها الزواج لتندثر هذه الأسرة المعادية .

ويقوم تيرامين بدور الناصح لهيبوليتوس كما تفعل المربية فى قصة سينكا : ان الحب لا غالب له ، وان معارضة أبيه ستزيد من جاذبية أريس و إشعال حب هيبوليتوس لها. وأمامه المثل الأعلى وهو حب أمه أنتيوبى Antiope لأبيه تيسوس . وما هيبوليتوس إلا ثمرة هذا الحب . وينصحه المربى بالاعتراف بهذا الحب الدفين ، وستتغير كل شيء (سطر ١٢٨) :

Avouez — le, tout change.

ويقول المربى لهيبوليتوس ان الكل قد لاحظوا آثار هذا الحب ...

ويقطع هيبوليتوس هذا الحديث بإعلانه أنه سيرحل للبحث عن أبيه .

ويسأل المربى : ألا يريد وداع الملكة قبل رحيله .

ويرد هيبوليتوس أن هذا هو واجبه . ومن الممكن أن يخبرها المربى برغبته .

ويرى هيبوليتوس مربية فايدرا مكتئبة . فيعجب أى أذى لحق بالمربية .

ولا ترى المربية متاعب تعدل مصيبتها : فالملكة تموت بين ذراعيها من شر لا تبوح به . ثم ترى الملكة مقبلة .

ويقول هيبوليتوس: هذا يكفى. سأغادر المكان لئلا ترى الملكة من تبغض.

يخرج هيبوليتوس دون أن تراه الملكة.

وتأمر الملكة المربية بالتوقف عن السير، لأن الملكة لا تقوى على حمل جسدها من الإعياء.

وتجلس الملكة. وتنادى المربية الآلهة متضرعة أن يقبلوا دعاءها وأن يرضوا عنها.

وتشكو الملكة من زينتها. وتصفيف شعرها. فكل شيء يتعبها ويثقل عليها ويؤذيها (سطر ١٦١):

Tout m'afflige et me nuit, et conspire a me nuire.

وهذه الأبيات تردد ما نجد عند يوربيدس وعند سينكا الذى أخذها عنه الشاعر الفرنسى (يوربيدس، هيبوليتوس، ٢٠١—٢٠٢) (سينكا، فايدرا، ٣٨٧ وما بعده).

ويأتى رد المربية هنا كرها فى القصة اليونانية. إن القلق يستولى على سيدتها فهى تلح فى طلب شيء ترفضه توا.

وتنادى فايدرا إله الشمس الذى أنجب أمها. إنه يستحى من المتاعب التى حلت بها. وأنها لتخرج لتراه لآخر مرة فى حياتها.

وتعتب عليها المربية تمسكها بفكرة الموت، وهجرها للحياة.

وتتمنى فايدرا أن تجلس فى ظـلال الغابات ، وأن تراقب عربة تسرع مثيرة للغبار . وهذا الجزء يذكرنا بما نجد عند يوربيديس وسينكا[1] . ويزداد عجب المربية وتصحو فايدرا من هذا الذهول . وتدرك مغزى ما كانت تقول ويؤذيها أن ترى مربيتها آلامها التى تجلب لها العار والشقاء . وها هى تبكى وقد امتلأت عيناها بالدموع .

وتقول لها المربية إنها يجب أن تخجل من هـذا الصمت والكتمان الذى يهلكها وأن النوم لم يزرها هـذه الليالى الثلاث . وأنها صامت عن الطعام هذه الأيام الثلاثة وأنها بذلك تخون واجبها نحو الآلهة ونحو زوجها الذى ارتبطت به بعهد وميثاق ، وتخون أولادها . ولتعلم أن ذاك اليـوم الذى يقضى على حياتها سيلقى بأولادها فى قبضة ابن تلك المرأة الأجنبية الذى يكرهك ويبغض سلالتك . إنه هيبوليتوس التى ولدته الأمازونية .

ويسـير راسين هنا فى أثر حديث المربية عنـد يوربيديس . ولكن الأصل اليونانى أعظم تأثيرا ، وتصرخ فايدرا عند سماع اسم حبيبها .

ولكن المربيـة لاتدرك ذلك . بل تظن أن اسم هيبوليتوس أصاب سيدتها فى الصميم .

Ce reproche vous touche.

وتنوح فايدرا قائلة : أيها التعسة ، أى اسم خرج من فمك .

---

(١) يوربيدس ، هيبوليتوس ، ٢٠٨ — ٢٠٩ ، ٢٢١ ، ٢٣٠) : سينكا ، فايدرا ٣٩٧ ، ٤٠٣) .

وتظهر المربية سرورها. إن سماع فايدرا لهذا الاسم البغيض قد أثار غضب سيدتها، وتحثها على الحياة، وتنصحها بالإسراع فى تقوية هذا الجسم الذى أصابه الضنى من الجوع والأرق . وما دامت هناك حياة ، فهناك أمل .

ولكن فايدرا تأسف لأن حياتها وذنوبها قد طال عليها الأمد .

وتسأل المربيـة عن الذنب الذى ارتكبته فايدرا ، وعن الدم البرىء الذى سفحت .

وتؤكد فايدرا أن يديها طاهرتان من الدماء وتتمنى أن لو كان قلبها كذلك .

وتتساءل المربيـة عن ذلك الإثم الذى يقطع قلبها . وعن ذلك الذنب الذى يثقل على ضميرها .

وترد فايدرا أنهـا قالت لهـا ما فيه الكفاية . وتطلب منها أن تكف عن إلحاحها قائلة إنها تموت لئلا تبوح بشىء مدمر (سطر ٢٢٦) :

je meurs, pour ne point faire un aveu funeste.

وتقول المربية لفايدرا فى حنق : موتى محتفظة بسرك الرهيب . ولكن عند وفاتك الحتى لك عن يد أخرى تغمض جفنيك [١] . ومهما قصر أجلك فسأسبقك الى الدار الآخرة . وهناك ألف طريق تقود إليها ، وستختار آلامى أقصرها وأسرعها . هل خنت عهدك قط ؟ هل هذا هو جزائى ؟ لقد استقبلتك بين يدى عند ولادتك ، وهجرت وطنى وأطفالى وكل شىء آخر من أجلك .

---

(١) قارن : روز ، الديانة اليونانية القديمة ، ص ١٤٨ :

There is still the ceremonial closing of the eyes (it should be done by a kinswoman).

وتسأل فايدرا : أى ثمرة ستجنى المربية من عنفها وقسوتها وإلحاحها قائلة لها ستأخذك رعدة إن بحت لك بالسر .

وترد المربية : أى فزع أكثر من موتك بين ذراعى ؟

وتقول فايدرا : إن المربية إذا عرفت جريمتها التى تثقل عليها ، فإن فايدرا ستموت وقد أصبح أمرها أردأ .

وتلجأ المربية إلى الضراعة . ولمس الركبتين [1] متوسلة بدموعها التى سكبتها أن تريحها فايدرا من هذا الشك الذى يقتلها .

وتطلب منها فايدرا أن تقوم من جلستها الضارعة قائلة لها : إنها هى التى ترغب فى ذلك . وتسكت المربية لكى تتكلم سيدتها .

وتنوح فايدرا : أيتها السماء . ماذا أريد أن أقول لها ، ومن أين أبدأ ؟

ثم تنادى فايدرا إلهة الحب وماذا فعل الهوى بأمها .

وتطلب إليها المربية أن تسدل الصمت على هذا .

وتناجى فايدرا أختها أريادنى التى ماتت حيث تركها حبيبها .

---

(١) قارن : يوربيديس ، هيقبا ، ٢٤٥ . تسلل أوديسوس داخل طروادة . ولما كشف أمره ، لمس ركبتى هيقبا ضارعا ذليلا :

ἥψω δὲ γονάτων τῶν ἐμῶν ταπεινὸς ὤν.

ترجمة الأستاذ الدكتور عبد الله المدلى ، ص ٧٥

يوربيديس : ميديا ، ٧٠٩ — ٧١٠ : ميديا تتضرع إلى أيجوس ملك أثينة :

ἀλλ᾽ ἄντομαί σε τῆσδε πρὸς γενειάδος
γονάτων τε τῶν σῶν ἱκεσία

يوربيديس ، هيبولينوس ، ٣٢٦ :

καὶ σῶν γε γονάτων.

وتعلق المربية على ذلك متسائلة : ماذا تفعلـين ، يا مولاتى ؟ وأى ضيـق جعلك تقذفين فى أسرتك[1] .

وتقول فايدرا : إنهـا إرادة فينـوس . وإنهـا ستموت الأخيرة ، ولكنها أكثرهن بؤسا .

وتسأل المربية فى صراحة : أتحبين ؟

وتجيب فايدرا أنها تقاسى من خبل الحب .

وتسأل المربية : تحبين من ؟

ولا تستطيع فايدرا أن تنطق بالاسم : فتقول للربية إنها على وشك أن تستمع إلى الفزع كله . إنها تحب . . ولكنها ترتعد عند ذكر هذا الاسم . إنها تحب .

وتسأل المربية مرة أخرى : تحبين من ؟

وأخيرا تقول فايدرا للربية : إنك تعرفين ابن الأمازونية ، ذاك الأمير الذى طالما اضطهدته فايدرا .

ويقع الخبر كالصاعقة على أذن المربية التى تنطق باسم هيبوليتوس . وتعلق فايدرا أن المربية هى التى نطقت بالإسم ، لا هى[2] .

---

(١) يوريبيديس ، هيبوليتوس ، ٣٣٧ ،

῏Ω τλῆμον, οἷον, μῆτερ, ἠράσθης ἔρον,

σύ τ', ὦ τάλαιν' ὅμαιμε, Διονύσου δάμαρ,   الموضع نفسه ٣٣٩ ،

τέκνον, τί πάσχεις; συγγόνους κακορροθεῖς. : الموضع نفسـه ٣٤٠ :

(٢) يوريبيديس ، هيبوليتوس ، ٣١٠ : تنطق المربية أولا بالاسم وتصيـح فايدرا وبلى :

οἴμοι

وتتفجع المربية منادية على السماء العادلة قائلة إن دمها قد تجسد فى عروقها — يا للأمل المفقود، يا للجريمة . يا للجنس الذى يستحق الرثاء . أيتها الشواطىء التعسة أكان يجب الاقتراب من صخورك الخطرة .

وتقص فايدرا تاريخ حبها من البداية . إنها لم تكد تقترن بابن أيجوس حتى رأت فى أثينة عدوها المتكبر . ولما رأيته غطى الحياء وجهى، وعلاه الاصفرار وعميت عيناى وصمت لسانى واخترق جسدى الحر والبرد .

ومن السهل مقارنة قصيدة كاتلوس ٥١، ٦ وما بعده .

nam simul te,

Lesbia, aspexi, nihil est super mi

(vocis in ore)

lingua sed torpet, tenuis sub artus

flamma demanat, sonitu suopte

tintinant aures, gemina teguntur

lumina nocte.(١)

---

(١) سافو، ٢ (٢) ص ١٩٤ — ١٩٥ :

Anthologia Lyrica Ed. Hiller. Leipzig 1911.

سطر، ٥ :

τό μοι ἔμαν

καρδιὰν ἐν στήθεσιν ἐπτόασεν.

ὤς < σε > γὰρ Fίδω βροχέως < με >, φώνας,

οὖδὲν ἔτ' εἴκει.

ἀλλὰ παμ μὲν γλῶσσα Fέαγε, λέπτον δ'

αὔτικα χρῶ πῦρ ὑποδεδρόμακεν,

وتستطرد فايدرا قائلة إنها أدركت فى التو ملاحقة فينوس لهـا كأحد أفراد سلالة الشمس التى كشفت حبها للإله مارس[1] .

ولقد حاولت فايدرا صد هذا الحب ، باستعطاف فينوس فبنت لهـا معبدا وقدمت لها الضحايا ، وأحرقت على مذابحها البخور . وقد ذهب كل ذلك عبثا . كانت تبجل هيبوليتوس وهى تناجى الإلهـة . وكانت تراه فى كل مكان . لقد تجنبته فايدرا ، ولكنها يا للهول كانت تراه فى ملامح وجه أبيه .

وقد أخذ راسين فى هـذا الموضع من يوربيديس ، وسينكا ، وفرجيـل ، وهوراس .

فبناء فايدرا لمعبـد للإلهة أفروديتى ورد ذكره فى الأبيات ٢٩ — ٣٣ ، من قصة هيبوليتوس حامل الاكليـل ، ولكن نسبة هـذه الأبيات إلى يوربيديس يحيط بها الشك .

وأخذ راسين عن قصة سينكا الأبيات التى تبدأ من سطر ٦٤٦ وما بعدهـا حيث تقـول فايدرا انهـا حقا تحب ملامح ثيسوس Thesei vultus amo ، وهى تعنى أنها تحب الابن فى الأب .

= ὀππάτεσσι δ' οὐδὲν ὄρημ' ἐπιρρόμβεισι δ' ἄκουαι.

ἆ δέ μ' ἴδρως κακχέεται, τρόμος δὲ

πᾶσαν ἄγρει, χλωροτέρα δὲ ποίας

ἔμμι, τεθνάκην δ' ὀλίγω 'πιδεύης φαίνομαι ἄλλα.

(١) عن حب أفروديتى وأريس Ares انظر : روز « الأساطير اليونانيـة » ١٢٣ ، ١٥٧ هوميروس ، الأوديسية ، ٨ ، ٢٦٦ وما بعده : يتغنى Demodocus بحب أريس وافروديتى .

أما من فرجيل ، الانيادة ٤ ، ٦٢ — ٦٦ ، فقد نقل راسين تقــديم ديدو للضحايا وفحصها لأحشاء الذبائح دون جدوى .

واحتذى حذو هوراس ، الأناشيد ١، ١٩، ٩ .

وقارن سطر ١٦ :

in me tota ruens Venus
mactata veniet tenior hostia

وتقول فايدرا إنهــا تمكنت من نفيــه ، و إبعاده عنهــا ، و بذلك حظيت ببعض الراحة ، وعندئذ وجهت عنايتها إلى زوجها وأولادها . ولكن ثيسوس أحضرها إلى تروزين . وعندئذ اشتعل الحب فى قلبها بشدة أكبر . وكأن فينوس نفسها قد احتلت قلبها .

وقــد انتابها الفزع من هــذا الحب . وأبغضت جرائمها . وكرهت حياتهــا ورغبت فى الموت إنقاذا لشرفها .

وتقول فايدرا للمربية إنهــا اعترفت لهــا بكل شئ ، وهى غير نادمة على هذا الاعتراف ،لأنها لا تقوى على مقاومة تضرعات المربية ،وعسى أن تكف المربية عن لومها وأن تتركها تموت وقد اقتربت النهاية .

وفى المنظر الرابع تخبر بانوب Panope سيدتها بأن ثيسوس قد مات . وأن هذا الخبر لا يجهله أحد غير الملكة .

وقــد قلنا إن موت ثيسوس ، أو بالأحرى اعتقاد فايدرا أنه مات ، يغــير الوضع كله . فلا حرج عندئذ على فايدرا أن تعلن حبها لابن زوجها الذى يستطيع

الزواج منها ، ولم يكن هذا محرما فى العالم القديم[1] .

وتؤكد بانوب أن سفنا وصلت إلى الميناء تحمل هذا النبأ ، وأن هيبوليتوس ذهب ليستطلع الخبر .

وتستطرد بانوب قائلة إن الناس قد انقسموا إلى ثلاث فرق : احداها اتجهت إلى اختيار ابن فايدرا ملكا على أثينة ، والثانية مالت إلى تعيين هيبوليتوس ابن الأجنبية بما فى ذلك من مخالفة للقوانين ، وثالثة ترى اختيار أريس ، سليلة آل بالاس . وقد بدأ هيبوليتوس فى الاستعداد للرحيل . ولو حدث ذلك فربما انساق وراءه جمع غفير من الجماهير المتقلبة المتغيرة .

ولا تعلق فايدرا بشىء على هذا الموقف .

ولكن المربية تقول لبانوب إن الملكة ستعنى بالأمر .

وتخرج بانوب وتبقى فايدرا والمربية على المسرح .

وتقدم المربية لفايدرا نصيحة رشيدة ، تنصحها بأن تعيش وأن تعنى بابنها

---

(١) يقول نايت زواج الأرملة بابن زوجها كان مباحا فى أثينة فى عصر سوفوكليس ويوريبيديس ، ويستدل على ذلك بالبيت ١٢٢٢ فى قصة سوفوكليس ، عذارى تراخيس ، وبقصة أنتيوخوس وابنه .

R. C Knight, Racine et la Grèce, P. 340

وقارن سينكا ، فايدرا ، ٥٩٧ .

Forsan iugali crimen abscondam face.

وأن تؤمن له عرش أثينة . أما هيبوليتوس فسوف يرتقى عرش تروزين . وعلى كل فإن موت ثيسوس قد غير كل شيء . إن حب فايدرا كان آثمـا طالمـا بقى ثيسوس على قيد الحيـاة . أما موته فقد أنهى رابطة الزوجية بينه وبين فايدرا . ويحسن أن توجه فايدرا جهودها وجهود ابن زوجها فى محاربة عدوهما المشترك ، أريس .

ويتضح من ذلك أن المربية لاتدرى شيئا عن ميل هيبوليتوس إلى أريس .

ومن البين أيضا أن فايدرا لاتدرى شيئا عن الموضوع نفسه . وسيقع هـذا الخبر كالصاعقة على فايدرا عندما تعرفه .

وفى المنظر الأول من الفصل الثانى نجد أريس ومربيتها اسمين .

وقد جاءت اسمين تحمل إليها نبأ سارا مفاجئا : ان هيبوليتوس يريد مقابلتها لوداعها قبل رحيله .

وتكاد أريس لاتصدق أذنيها .

وترد أسمين أن هذه هى النتيجة الأولى لموت ثيسوس . وعلى أريس أن تستعد لاستقبال جميع القلوب التى أبعدها عنها ثيسوس . وتؤكد اسمين أن أريس الآن قد أصبحت سيدة مصيرها . وسترى فى القريب العاجل جميع بلاد اليونان خاضعة لهـا .

وتتردد أريس فى تصديق هـذا الخبر : إنهـا ستتحرر من الرق ، ولن يبقى لهـا أعداء .

وتؤكد لها اسمين أن الآلهة قد رضوا عنها ، وأن ثيسوس قد لحق بأخوة أريس .

وهذا البيت يدل على حب اسمين لأريس وعدم رضائها عن سلوك ثيسوس نحوها ونحو اخوتها . وتسأل أريس : كيف قضى ثيسوس نحبه ؟

وترد اسمين أن هناك شائعات لاتصدق أطلقت حول موته . فهناك من يقول إنه غرق بعد أن اختطف عشيقة جديدة .

وآخرون يذهبون إلى حد القول بأنه هبط مع بيرثوس Pirithoüs إلى الدار الآخرة . ولم يستطع أن يعود منها .

ولا تصدق أريس أن من الممكن أن يهبط أحد وهو حى إلى دار الموتى . ثم ما الذى جذبه إلى الذهاب إلى تلك الشواطئ المخيفة ؟

وتؤكد اسمين أن ثيسوس قد لقى حتفه ، وأن أريس هى الوحيدة التى ترتاب فى ذلك . وأن أثينة قد أعلنت الحداد . وأن تروزين قد أتاها النبأ وقد اختارت هيبوليتوس ملكا عليها ، إن فايدرا فى قصرها ترتعد خوفا على ابنها ، وتطلب النصح من أصدقائها الذين استولى عليهم القلق .

وتسأل أريس هل ستجد من هيبوليتوس رقة أكثر مما وجدت فى والده . وهل ستحمل أغلالا أقل ثقلا . وهل سيأسى لمصائبها .

وتؤكد اسمين أن هذا هو اعتقادها ،

وتوجه أريسى سؤالا هاما إلى اسمين : هل هيبوليتوس معروف عند اسمين ، هيبوليتوس الذى لا يتأثر بالحب . وما هو الدليل على أنه سيحنو عليها ؟ وسيبجل فيها وحدها جنس النساء الذى يكره .

انه سيفر من أى مكان توجد فيه .

وترد اسمين أنها تعرف كل ما يقال عن عدم تأثر هيبوليتوس بالحب ، ولكنها راقبته وهو مع أريس مراقبة دقيقة وليدة حب الاستطلاع ، ووجدت أن سلوكه نحو أريس لا يبرر ما يقال عنه . إن نظرات أريس أرسلت الاضطراب إلى روحه وأن عينيه اللذين ظهر عليهما الإعياء من الحب تتحولان عن أريس . إن لفظ الحب قد يجرح كبرياءه ، ولكن له عينا المحب ، إن لم يكن له لفظه ، واسمه .

وتحدث أريس حديثا طويلا تشرح فيه حياتها المريرة وموت ستة من اخوتها ، أحفاد الأرض وسلالة إرخثيوس Erechtheus ، وكيف حرمها ثيسوس من الزواج لئلا تنجب من يثأر لإخوتها . ولكنها من جانبها تحقر الحب الرخيص والقلوب المفتحة من كل جانب . أما هيبوليتوس فهو من طراز آخر ، له كل فضائل أبيه ، ولاشىء من عيوبه . والنصر كل النصر هو فى قهر هذا القلب الذى لم يعرف الحب ، بل ينفر منه . فانتزاع سلاح هرقل أهون من إخضاع هيبوليتوس .

وهذا يذكرنا بقول فرجيل عندما قيل له أنه يسرق أشعار هوميروس : إن انتزاع الهراوة من هرقل أسهل من أخذ بيت من هوميروس .

وترى اسمين هيبوليتوس مقبلا ، فتوجه التفات أريس نحوه .

ويخبر هيبوليتوس أريس أن والده قد توفى وأنه جاء لينقل إليها أنه قرر رفع هــذه الوصاية القاسية عنهــا . وأنه ألغى تلك القوانين التى كان يتضرر هو نفسه منهــا . كما يخبرها أنه أصبح ســيدا على تروزين التى يرثهــا خلفا لجــده بيثوس Pittheus

وتتقبل أريس كلام هيبوليتوس بسرور واضح ، قائلة له إن كرمه المفرط ورعايته لهــا يضعها فى موقف يخضعها لواجبات أشد من الأولى .

ويستمر هيبوليتوس ليشرح لأريس أن أهل أثينة لم يتفقوا بعد على من يخلف أباه ، وأنهم ينقسمون إلى ثلاثة أحزاب ، فطائفة تحبذ اختيار ابن فايدرا ملكا ، وطائفة أخرى تنحاز إليه ، وثالثة تطالب بإسناد الملك إليها .

وتعجب أريس من هذا .

لأن القانون لم يكن يسمح للنساء بوراثة العرش .

ويعترف هيبوليتوس بأنه محروم من عرش أثينة لأن أمه أجنبية . وإن الملك من حق أريس . وفى كريت مكان لابن فايدرا .

وترد أريس أنها تخشى أن يكون الأمر حلما لذيذا . لقد نزل لهــا هيبوليتوس عن حقه . ولو أنه تغاضى عن كراهيته لهــا لكان ذلك فضلا منه .

وتصيب أريس الهدف بتلك الكلمة : الكراهية[1] ،

---

[1] Elle lui arrache son secret par le défi du mot " inimitié " Knight, Racine et la Grèce, p. 351

ويرد هيبوليتوس : أنا أكرهك ، ياسيدتى ؟ من الذى قال ذلك ؟

ومن ذا الذى يستطيع أن يقاوم جاذبيتها ؟

وتعجب أريس من هذا .

ولو أنها كانت على علم بحب هيبوليتوس من اسمين .

ويستطرد هيبوليتوس : حيث أنه قد بدأ، فيتمنى أن يستمر . ويبوح لها بحبه . معترفا أنه ينفر من حب أى فتاة أخرى غيرها . فهى الوحيدة التى أسرت قلبه . وأنه يقاوم هـذا الحب منذ سـتة أشهر ولا يستطيع أن يهـرب منها . ولكنه يجدها فى كل مكان ليلا ونهـارا ، حتى فى الغابات . وأنهـا خابت لبه إلى حد أنه نسى هواياته الأخرى . ويعتـذر هيبوليتوس عن النهج الذى سلكه فى البوح بحبه . إنه يتكلم لغة لم يتعودها .

ويخبره تيرامين أن الملكة آتية لرؤيته .

ويتمعض هيبوليتوس لهذا اللقاء .

وتحثه أريس على العطف على دموع فايدرا فى مأساتها .

ويودع هيبوليتوس أريس .

وتشكره أريس قائلة له : إن هـذا الملك العريض الذى يهبها إياه ليس بأغلى شيء لديهـا . ويطلب هيبوليتوس من تيرامين أن يسرع فى إعداد العدة للرحيل وأن يأتى توا لينقذه من اللقاء البغيض .

وقد أحسن راسين فى وضع هذه المقدمة للقاء هيبوليتوس وفايدرا . فقد باح بحبه لأريس ، ووعدها بعرش أثينة ، ولم يخف كراهيته لأن يلقى زوجة أبيه .

وعندما تراه فايدرا . يصعد دمها كله إلى قلبها . وتقر بأنها نسيت عند رؤيته كل ما جاءت لتقول له .

وهذه خاصة معروفة من خواص العشاق ، تجد مثيلا لهـا فى الشعر العربى .

وأنسى الذى قد كنت فيه أتيتها   كما تنسى لب شاربها الخمر .

وتذكرها المربية بابنها وأنه لا أمل له غيرها .

وتبدأ فايدرا بالقول إنها سمعت برحيل هيبوليتوس وإنها جاءت لتضم دموعها الى آلامه . وهى تتوسل إليه أن يدافع عن ابنها الطفل الذى يهاجمه الأعداء من كل جانب . وما من حام يحميه غير هيبوليتوس . ولكنها تعترف أن قسوتها على ابن زوجها قد صدته عن ابنها .

ويننفى هيبوليتوس عن نفسه مثل هذا الشعور الدنئ .

وتستطرد فايدرا ذاكرة أنها أبعدته عنها وحرمت بقانون أن يذكر اسمه أمامها . ولكن هيبوليتوس لم يكن يستطيع أن يطلع على أعماق قلبها . وأنهـا فى الحقيقة تستحق الرأفة لا الكراهية .

ويرد هيبوليتوس أن هـذه قاعدة عامة : ان الزوجة الثانية محافظة منهـا على حقوق أبنائهـا تضطهد أبناء الزوجة الأخرى . وربمـا كانت أى امرأة أخرى أشد وأقسى من فايدرا فى معاملة هيبوليتوس .

وتعلق فايدرا أن هـذه القاعدة لاتنطبق عليهـا ، ولكن أمرا آخر هو الذى أقلق بالهـا وكاد يهلكها .

ولا يفقه هيبوليتوس شيئا ممـا تعنى فايدرا . وهـو يؤمل أن يعـود أبوه توا . وأن تستجيب الآلهـة إلى دعائهم . فنبتونوس إله البحر يحميـه هذا الإله لا يدعوه ثيسوس عبثا .

وهنا يقترب راسين ممـا يسمى بالتهكم ironie .

فنبتونوس (Poseidon, Neptune) سيستجيب لدعاء ثيسوس توا وسيهلك هيبوليتوس .

وتؤكد فايدرا أن المـوتى لا يرجعون . وأن الإنسان لا يرى شواطىء نهر أخرون مرتين ، ولكن ربمـا كان ثيسوس يحيا فى ولده هيبوليتوس . إنى أراه دائمـا أمام عينى . وأنى لأتحدث إليه . آه . ياقلبى . . . لقد ذهب لبى وإن جنونى الهائج يتضح رغم أنفى .

ويرى هيبوليتوس أن حبهـا العظيم لزوجها يجعله على الرغم من موته ماثـلا دائمـا أمام عينيها . وأن قلبها مملوء دائمـا بحبه .

وتعترف فايدرا أنهـا تحب ثيسوس ، وأن قلبها يشتعل بحبه ، ولكنه لا كما رأته الدار الآخرة عنـدما ذهب ليدنس فراش إله الجحيم . ولكنها تتصوره شابا جميلا جذابا لكل قلب . وفيا به حمية . وبعض التجهـم . كما يصور المصورون الآلهـة . وكما أراك الآن . لقـد كان له قوامك . كان له عينـك . وكان له أسلوبك فى الحديث . وقد غطى النيل وجهه حياء عندما عـبر البحار إلى وطنى

جزيرة كريت . جديرا بحب بنات مينوس . ماذا كنت تفعل آنئذ ؟ لماذا اجتمع أبطال اليونان دون أن يكون من بينهم هيبوليتوس ؟ ولماذا . وقد كنت صغيرا جدا لم تبحر على السفينة إلى شواطئنا ؟ لو حدث ذلك ، لكنت أنت المهلك للوحش فى جزيرة كريت ، مهما كان عدد الإلتواءات فى مخبئه . ولوضعت أختى فى يمينك ذلك الخيط الذى أنقذه من قصر التيه . كلا . إنى كنت أسبقها فى هذا . ولأوحى الى الحب بأفكارى . كنت أنا ، أيها الأمير ، التى أرشدتك ، لا الخيط فى قصر التيه . ولو فقدت رأسى هذه الجميلة . لم يكن الخيط يطمئن حبيبتك . بل لشاطرتك هذا الخطر الذى تعرضت له ، ولرغبت فى السير أمامك . ولهبطت فايدرا معك إلى قصر التيه لتهلك أوتنجو معك .

ويذهل هيبوليتوس وهو يستمع إلى اعترافها فيسألها هل نسيت أن تيسوس زوجها وأنه هو ابن تيسوس .

وتتساءل فايدرا : ما الذى جعله يظن أن ذاكرتها قد ضعفت . وودت لو أنها فقدت كل رعايتها لمجدها .

ويعتذر هيبوليتوس أنه فهم خطأ حديثها البرئ ، وأن خجله ليدفعه إلى الذهاب . فهو لا يحتمل رؤيتها بعد أن اتهمها زورا .

وتنفجر عواطف فايدرا بركانا : تعلن أنها تحبه ولكنها تبغض نفسها وهى تعلن هذا الحب .

إن الآلهة قد ألقت فى قلبها بهذا الحب . هؤلاء الآلهة القساة الذين لعبوا

بقلب إنسانة ضعيفة . لقد اضطهدت هيبوليتوس لبغضها، ولكنها لم تسل عنه . لقد ازداد نحيبها وانسكبت دموعها بلا فائدة . أيظن هيبوليتوس أن هذا الاعتراف الشائن وليد إرادتها ؟ (سطر ٦٩٤) :

Cet aveu si honteux, le crois — tu volentaire ?

لقد جئتك وأنا أرتعد فرقا من أجل ابنى الذى لا يمكننى أن أخونه ، ولكن قلبى الملىء بالحب خاننى ، فلم أكلمك إلا عن نفسك . انتقم منى . عاقبنى لهذا الحب الكريه . فأنت جدير بأبيك البطل ، وخلص العالم من هذا الوحش الذى يقلقك . يا للعار إن أرملة تيسوس تحب هيبوليتوس . وكلمة Veuve متعمدة من راسين . فليس فى حب هذه الأرملة لابن زوجها المتوفى عار كبير . اطعن هذا القلب الذى سيتقدم إليك لتخلصه من ذنبه . اضرب وإلا ، إذا كنت تعتقد أنى غير جديرة بذلك أو إذا كان بغضك يحرمنى من هذا العقاب الحلو أو إذا كان دمى من الدناءة بحيث لا تريد أن تغمس فيه يدك، أعرنى هذا الخنجر ، اعطنى إياه .

وتتدخل المربية ، قائلة لفايدرا إن الخدم قادمون ، وعليها أن تجنب هؤلاء الشهود . هيا ادخلى ، اهربى من عار محقق .

ويسأل تيرامين سيده هل هذه هى فايدرا التى تهرب أو تسحب . كما يسأل عن تلك الآلام التى تظهر على وجه هيبوليتوس . وأين ذهب خنجره . ولم حال لونه ؟

ويأمر هيبوليتوس ثيرامين بإعداد العدة للهرب قائلا إن دهشته قد بلغت أقصى مداها ، وانه لا يطيق أن ينظر إلى نفسه من الرعب .

وهو على وشك أن يفشى السر، ولكنه يتوقف مؤكدا أن هذا السر الرهيب سيبقى فى الكتمان العميق .

ويلاحظ أن هيبوليتوس فى قصة راسين لم يقسم على الكتمان ، بل لم تطلب منه فايدرا حفظ السر. ولكنه يرفض الإفضاء به حتى لثيرامين حفاظا على شرفها، وشرف أسرته .

ويرد تيرامين أنه إذا كان هيبوليتوس يريد الإبحار فكل شيء معد . غير أن أثينة قد أعلنت اختيارها لابن فايدرا ملكا عليها . وأصبحت فايدرا هى سيدة الموقف .

ويعجب هيبوليتوس لهذا الاختيار .

ويقول تيرامين إن رسولا من أثينة قد جاء ليضع مقاليد الحكم بين يدى فايدرا . فقد أصبح ابنها ملكا .

وينادى هيبوليتوس الآلهة الذين يعرفون من هى فايدرا متسائلا أهذا جزاء فضيلتها .

ويستمر تيرامين قائلا إن هناك شائعة خفية تردد أن ثيسوس لايزال حيا ، وأنه رؤى فى ايير Epire ، ولكن تيرامين الذى بحث عنه فى كل مكان يعلم . .

ويقول هيبوليتوس إن عليهم الإنصات إلى كل شيء وعدم إهمال أى نبأ .
يجب أن تفحص هذه الإشاعة للوصول إلى مصدرها .

فإن كانت غير جديرة بأن توقف رحيله فليرحل . ومهما كان الثمن غاليا ، فيجب أن نضع الصولجان فى يد تستأهل أن تحمله .

وتتوجع فايدرا متمنية أن يحمل ذلك الشرف إلى غيرها . وهى تؤنب المربية على رغبة المربية فى أن ترى أحدا . فهذا أفضل . لقد تكلمت فايدرا بأكثر مما ينبغى . لقد تجرأ جنونها أن يخرج ولقد قالت ما لا يجب أن يقال أبدا . بالسماء كيف انصت إلىّ ؟ بالكثرة ما أراد عدم سماع حديثى ، كأنه لا يطلب إلا تراجعا فوريا ، وكم زاد خجله فى عارى . لم تحاولين تصميمى المهلك ؟ وا أسفاه عندما كان خنجره على وشك ان يغرس فى أحشائى هل حال لونه من أجلى . هل حاول أن ينزع الخنجر من يدى؟ يكفيه أن تكون يدى قد مسته ولو مرة واحدة ليصبح هذا الخنجر دنسا فى عينه .

وترد المربية أن تفكير فايدرا على هذا النحو وسط نكباتها يغذى هذه النار لا أن يطفئها ، أليس من الأفضل ان تطلب سليلة مينوس موضوعات نبيلة تريح فيها نفسها .

احكمى وامسكى بأعنة الحكم فى يديك ضد عاق كل همه أن يهرب منك .

وتتعجب فايدرا من هذه الفكرة وهل تستطيع أن تحكم وأن تمسك بمقاليد الحكم وعقلها الضعيف قد فقد السيطرة على نفسه ، وقد هجر الإحساس سلطانه عليها وهى لا تستنشق الهواء إلا تحت نير العار وهى تموت .

وتنصحها المربية بالهرب وتجيب فايدرا أنها لا تستطيع هجر هيبوليتوس .
وتذكرها المربية أنها تجرأت على نفيه ألا تتجرأ الآن على تحاشيه .

وترد فايدرا أن الوقت قد فات ، وأنها تعدت حدود الحياء والحزم .
ولقد اعترفت بما يشينها أمام من قهرها ، وعلى الرغم منى قد زحف الأمل إلى
قلبى . إن المربية نفسها هى التى أعادت إليها قوتها المتهالكة وحياتى التى كانت
تتأرجح على شفتى ، ان نصائحك ورياءك استطاع أن يعيد إلى الحياة . لقد شجعنى
حديثك على أنى أستطيع أن أحبه .

وتتفجع المربية سائلة : فى نكبتك لكى أنقذك كان فى مقدورى أن أفعل
كل شىء حرام أو حلال . ولكن إن كان هذا القلق قد آذى قسط شعورك هل
تستطيعين أن تنسى احتقار هذا المتكبر . لشد ما تركتك عيونه القاسية تتضرعين
أمام قدميه . لقد جعلته كبرياؤه الوحشية بغيضا فى عينها . ليت فايدرا فى تلك
اللحظة كان لها عيناى .

وترد فايدرا أن هيبوليتوس يستطيع أن يترك هذه الكبرياء التى جرحت
المربية . لقد ربى فى الغابات فاكتسب قسوتها وصلابتها . ان هيبوليتوس
الذى قسا عوده لحياته تحت القوانين الوحشية كان يستمع لكلمات الحب لأول
مرة وربما كانت دهشته هى السبب فى صمته وربما كانت شكوانا أعنف
مما ينبغى .

وترد المربية أن على فايدرا أن تتذكر أن إمرأة غير متمدينة ربته فى أحشائها ،
وتعلق فايدرا أنها سواء أكانت من سكيثيا أم متبربرة فهى على أى حال قد
عرفت الحب .

وتعقب المربية أن بقلب هيبوليتوس كراهية قاتلة للنساء . وتقول فايدرا انه لن تكون لها منافسة . وفايدرا لا تعرف أن لها منافسة خطيرة من سلالة البيت المالك ، ويرغب هيبوليتوس فى اعتلائها عرش أبيها ويزيد هذا فى آلام فايدرا ويدفعها إلى اتهام هيبوليتوس .

وعلى ذلك فإن جميع نصائح المربية ليس لها وقت الآن .

وتطلب إليها فايدرا أن تعينها فى حبها الجنونى، لا أن تعينها على التعقل . إن هيبوليتوس قد أقفل قلبه ضد الحب، فلنبحث فى مهاجمته عن مواضع أكثر إحساسا . إن جاذبية السلطان ممكن أن تؤثر فيه . ولقد جذبته أثينة . وأنه لا يستطيع أن يخفى ذلك فمنذ فترة كانت سفنه على استعداد وكانت أشرعتها فى الهواء ترفرف .

اذهبى وابحثى من أجلى عن هذا الشاب الطموح يا أوينونى . اجعلى السلطان يتلألأ أمام عينيه وأنه سيضع على جبينه التاج المقدس فلست ارغب فى شىء غير أن أضمه إلىّ فلنتنازل له عن هذا السلطان الذى لا يمكننى أن أحافظ عليه . إنه سيدرب ابنى فى فن الحكم وربما سيصبح عونا لابنها فى مكان أبيه . وهذه من خدع النفوس المحبة ، إن الحبيب أو الزوج الثانى سيمنى بالأولاد . إنى أضع تحت سيطرته كلا من الأم والأبناء . وهى تحث المربية على أن تستعمل كل الطرق فى استمالته فربما وجد حديثك سبيلا إلى قلبه . عليك بالإلحاح والدموع والتشكى . قولى إن فايدرا فى دور الاحتضار، ولا تخجلى أن تلجئى إلى نبرات الضراعة . إنى أحتمل مسئولية كل ما تقولين . فليس لى أمل سواك ، إذهبى وإنى أنتظر عودتك لأدبر أمرى .

تخرج المربية وتبقى فايدرا وحدها على المسرح وهى تناجى آلهة الحب . أى فينوس القاسية انك ترين العار الذي وصلت إليه .

ألا تكفى هزيمتى ؟ لا يمكنك أن تدفعى قسوتك أكثر من ذلك . ألا ان انتصارك تام وجميع سهامك قد أصابت الهدف المرجو . أيتها القاسية إذا كنت ترغبين فى نصر جديد فهاجمى عدوا أكثر عصيانا لك . إن هيبوليتوس يهرب منك وهو يتحدى هجومك ولم يثن ركبته قط أمام مذابحك . أن اسمك يؤذى كما يظهر أذنه المتكبرة أيتها الإلهة اثأرى لنفسك : ان قضيتنا واحدة فليحب . ولكنك تعودين ادراجك يا إونون إنه يبغضنى . انه لم يصغ إليك البتة . وترد المربية ناصحة فايدرا بقتل فكرة هذا الحب الذى لا طائل تحته . تذكرى يا مولاتى فضائلك السالفة . إن الملك الذى ظننا أنه مات سوف يظهر سريعا أمام عينيك . إن ثيسوس قد جاء . ان ثيسوس فى هذه البقاع . ان الناس يتسابقون فى الجرى لرؤيته . لقد خرجت إطاعة لأمرك ، ولقد بحثت عن هيبوليتوس عندما لم تصل إلى مسمعى إلا الصيحات التى صعدت إلى عنان السماء . ويقع الخبر على فايدرا وقوعا غير منتظر . انها تقول ان زوجى قد أتى يا أوينون ؟ فى هذا كفاية . لقد اعترفت اعترافا غير لائق يحب سيؤذيه ما دام على قيد الحياة . لا أريد أن أسمع أكثر من ذلك .

وتعجب المربية متسائلة ما هذا ؟

وترد فايدرا لقد قلت لك فيما سبق ولكن هذا كان ضد رغباتك . إن دموعك قد تغلبت على ندمى العادل . لو مت هـذا الصباح لكنت جديرة بالرثاء . لقد اتبعت نصحك فأنا أموت الآن بلا شرف .

وهـذا الجزء من هـذا البيت Je meurs déshonorée يلخص شـعور فايدرا بذنبها كما أن تعبـيرها في سطر ٨٤١ flamme adultêre أشد وأقسى .

وتذهل المربية : ستموتين ؟

وتنادى فايدرا على السماء العادلة نادمة على ما حدث فى هـذا اليوم قائلة إن زوجها سيظهر أمامها ومعه ابنه الذي شهد هواها الآثم .

سيلاحظ كيف تجرأ فايدرا على النظر إلى أبيه وقلبها مفعم بالآهات التى لم يصغ إليها، وعينها الرطبـة بالدموع التى قاومها بعقوقه . وهل تظن المربية أن هيبوليتوس، وهو رقيق الحس فيما يمس شرف والده، يخفى عن أبيه هواى الذى اطلع عليه . هل يغضى عن خيانة فايدرا لأبيه ومليكه . أيستطيع ألا يبوح بالحقد الذى يمـلأ قلبه ضدى ؟ انه سيصمت عبـثا . لأن فايدرا تدرك خيانتها وهى ليست من ذلك الطراز الصلب من النساء اللاتى تذوقن سلاما هادئا عند ارتكاب جرائمهن وعرفن كيف يحملن وجها لا يحمر خجلا . إنى أدرك جنونى . أتذكره كله . انه يخيل إلى أن هذه الحيطان والأسقف ستنطق وأنها على استعداد لاتهامى وأنها تنتظر زوجى لكشف الغطاء عن عينيه . فلنمت . فالموت لا يزعج البؤساء . إن فايدرا لا تخشى شيئا غير الذكرى التى تتركها لأبنائها .

يا له من تراث فظيـع لأطفالها فى حزنهم . إن الانتساب إلى جوبتر سيزيد من حميتهم ولكن مهما كان الكبر الذى يوحى به هذا الدم الجميل الأصيل لجريمة أمهم عبء ثقيل . انى أرتعد من حديث صحيح ، يا أسفاه ، سيعيرهم يوما ما بأمهم المجرمة . إنى أرتعد من أن تقل هذا العبء البغيض لا يترك لكليهما القدرة على رفع الأعين .

وترد المربية أن هذا حق لا ريب فيه ، وأنها لتتوجع لهذا وذلك. ان خوف سيدتها أعدل من أى خشية فيما مضى. ولكن لم تعرضهم فايدرا لمثل هذا التهجم ؟ ولم تدلى بشهادتها ضد نفسها ؟

سيقول الناس إن فايدرا لجريمتها البشعة تهرب من وجه زوجها الذى خانته . سيكون هيبولهس سعيدا لأن موت فايدرا سيؤيد أقواله . تتساءل المربية بماذا يمكنها أن تجيب من يتهم فايدرا وسيكون موقفى أمامه من السهل الخامه .

وسأراه مبتهجا بنصره المخيف . وسيقص عارك على كل من يريد أن يصغى اليه . ويلى ليت نارا من السماء تحرقنى ! ولكن لا تخدعينى : هل لا زال عزيزا لديك ؟ بأى عين ترين هذا الأمير الجرئ ؟

وترد فايدرا أنها تراه كأنه وحش مخيف أمام عينيها .

وتنصح المربية بعدم ترك هيبوليتوس يحظى بانتصار تام . فهل تخشاه فايدرا؟ على فايدرا أن تتهمه قبل أن يتهمها بنفس الجريمة ، فمن الذى يكذب فايدرا . ان كل الأدلة ضده . ان خنجره الذى تركه من حسن الحظ لا يزال فى يدها . ان أباه قد عرف من قبل صراخك وأنه قد نفى بإلحاحك .

ولا ترضى فايدرا عن هذا الأمر الذى يسود البراءة .

وترد المربية أن حماسها ليس فى حاجة إلا لصمت سيدتها فايدرا فى شعورها ضد اضطهاد الأبرياء . ولو أن الأمر يمسها وحدها لتقبلت الموت ألف مرة . ولكن لما كانت سيدتها تموت بدون هذا الدواء فإن حياة سيدتها لا يعد لها شيء . وتؤكد المربية أنها ستتحدث . وسيملك الغيظ لب ثيسوس بعد أن تخبره فينتقم

من ابنه بنفيه . ان الأب حتى فى عقابه يبـقى أبا تكفى العقوبة الضئيلة لاطفاء غضبه . ولإنقاذ شرف فايدرا ينبغى أن يضحى بكل شيء حتى الفضيلة .

وترى المربية ثيسوس مقبلا فتعلن قدومه .

وتهمس فايدرا آه إنى أرى هيبوليتوس وأرى فى عينه الوقحة هلاكى مدونا . وتقول للمربية افعلى ما شئت . فإنى أترك نفسى بين يديك . ووسط هذه المتاعب التى تحيط بفايدرا ، لا تقوى على عمل شيء لنفسها .

يدخل المسرح ثيسوس وهيبوليتـوس وثيرامين وتبقى فايدرا والمربيـة على المسرح .

ويقول ثيسوس إن الحظ لا يقف ضـده الآن وإنه يلقى بنفسه بين ذراعى زوجته ...

ولكن فايدرا تقاطعه صائحة قف يا ثيسوس ولا تدنس مثل هذه البهجة . فهى لا تستحق ذلك . لقد اعتدى عليه .

وذلك الحظ الحاقد لم يترك فايدرا فى غيبة زوجها . ولما كانت فايدرا تظن أنها غير جديرة بأن ترضى ثيسوس أو أن تقترب منه ، فهى لا تفكر منذ اللحظة فى شيء سوى الاختفاء من أعين الناس .

تخـرج فايدرا ومربيتها ويبقى ثيسوس وهيبوليتوس وثـيرامين على المسرح . ويعجب ثيسوس لهذا الاستقبال موجها تساؤله إلى إبنه . ويرد هيبوليتوس إن فايدرا هى الوحيدة التى تستطيع كشف هـذا السر ، ولكنه يطلب من أبيه أن يسمح له بأن يتجنب رؤيتها .

يطلب من أبيه أن لا يظهر فى مكان تقطنه زوجة ابيه .

و يتساءل ثيسوس لم يهجره ابنه على هذا النحو .

و يرد هيبوليتوس أنه لم يسع الى فايدرا ، وإنما أحضرها ثيسوس بنفسه الى تروزين ووضعها هى وأريس فى رعاية هيبوليتوس . ولم يعد هناك ما يدعوه الى البقاء ساكنا بعيدا عن الصيد والغابات إن والده لم يكن قد بلغ سنه عندما قضى على المردة واللصوص وطهر الأرض منهم ونجا المسافرون من شرهم .

لقد استراح هرقل من مخاطراته بفضل ثيسوس ولكن هيبوليتوس الذى أنجبه هذا الوالد البطل لم يسر حتى فى أثر أمه الأمازونية وهو يطلب من أبيه أن يسمح له بأن يجرب شجاعته فلعل هناك وحشا لم يقتله ثيسوس فيكون من نصيب هيبوليتوس أن يأتى بأسلابه فيضعها أمام قدمى أبيه .

و يذهل هذا الاستقبال ثيسوس فيصيح ماذا أرى ؟ ما هذا الفزع الذى انتشر فى هذه الأماكن والذى جعل أسرتى تهرب من عينى . وهو ينادى السماء إذا كان رجوعه كريها مخوفا فلماذا نجته السماء من سجنه ، لم يكن له إلا صديق واحد وقد أعماه الهوى الجامح فحاول اختطاف زوجة طاغية ابير وعاونه فى مخاطرته ثيسوس وأمسك بهما طاغية ابير دون سلاح ودون دفاع فألقى بثيسوس فى غياهب السجن وألقى بيرثوس Pirithous إلى وحش كاسر يتغذى بدماء البشر . لقد نظر الآلهة الى ثيسوس بعين الرعاية بعد ستة أشهر واستطاع ثيسوس أن يهرب فى غفلة من حراسه . لقد أنقذت العالم من عدو خائن بأن صيرته طعاما لوحشه . وعندما اقترب فى بهجة مما ترك الى الآلهة من أعز الأحباب ، وعندما ردت روحى

إلى نفسها وأصبحت على وشك أن تسترد قوتها من منظر عزيز لديه لم يجد فى استقباله إلا الآهات يهرب منه الكل . و يرفض الكل أحضانه وقد شعر ثيسوس نفسه بهـذا الفزع الذى يوحى به فود لو عاد مرة أخرى إلى سجن ابير . أتنطق فايدرا تقول انه اعتدى على . من الذى خاننى ولم يثأر لى أحد ؟ هل منحت اليونان التى طالما قدم لها النفع ملجأ لهذا المجرم الذى اعتدى عليه ؟ انك لا تجيب بكلمة . هل ابنى من صلبى فى مؤامرة ضدى مع أعدائى ؟ فلندخل لنضع حدا لهـذا الشك الذى يقلقنى . فلنتعرف على الجريمة والمجرم ، ولتوضح فايدرا هذه المتاعب التى أرى أنها حلت بها .

يدخل ثيسوس القصر و يبقى هيبوليتوس وثيرا مين على المسرح .

و يقول هيبوليتوس انه ليس يدرى هدف هـذا القول الذى أفزعه وحده . هل تسعى فايدرا وهى دائما فى قبضة هذا الجنون إلى اتهام نفسها و إزهاق روحها . أيتهـا الآلهة ماذا سيقول الملك وما هـذا السم الذى نشره الحب على منزله فكله يشعر بالخوف مما يأتى به المستقبل . لكن البراءة لا تخشى شيئا . و يحض هيبوليتوس نفسه على أن يحاول إرضاء أبيه وعلى أن يحرك محبته .

ويخرج هيبوليتوس وتيرامين . و يظهر ثيسوس ومربية فايدرا . ويتوجع ثيسوس أن خائنا اعتـدى على شرف أبيه و يألم للحـظ القاسى الذى طارده . انه لا يدرى أين يذهب ولا أين هو . ينادى عاطفة المحبة والخير وما يلقى من سوء الجزاء . يا للجرأة الوقحة . يا للأفكار البغيضة . قد استخدم هذا الوقح العنف لكى يصل إلى غرضه . ان ثيسوس يتعرف على الخنجر الذى كان قـد استعمله هياجه . لقد أعطاه له أبوه ليستعمله فى ميدان أشرف . لم تستطيع كل أوا صر الدم أن توقفه

عند حده . وقد صبرت فايدرا على إنزال العقاب به . ان سكوت فايدرا قد أنقذ المجـرم .

وترد المربية أن فايدرا قد أنقذت الأب المسكين . ان فايدرا تملكها العار من هدف هـذا الحب الهائج ومن النـار التي تتقد فى عينيه . ان فايدرا تموت يا مولاى وستفنى يدها القاتلة الضوء البرئ الذى يلمع فى عينهـا . لقـد رأيت ذراعها يعلو بخريت لانقاذها وأنا وحدى لقد عرفت كيف أحافظ عليها لحبك . وإنى أبكى فى الوقت نفسه نكبتها وفزعك ، لقد أصبحت على الرغم منى المترجمة عن دموعها .

ويتفجع ثيسوس ، ياله من خائن لم يستطيع أن يمنع نفسه من الاستحياء . لقد رأيته وهو يمر بى يرتعد من الخوف . لقد أدهشنى أنه قليل البهجة ، لقد جمدت محبتى لأحضانه الباردة ، ولكن هذا الحب الآثم الذى خلب عقله هل ذاع أمره فى أثينة ؟

وترد المربية طالبـة من مولاها الملك أن يتذكر شكوى فايدرا . فهذا الحب الإجرامى هو الذى غرس فى قلبها كل الكراهية .

ويسأل ثيسوس هل اشتعل هذا الحب مرة أخرى فى تروزين ؟

وتجيب المربية لقـد قلت لك يا مولاى كل ما حدث . لقد تركت الملكة فى آلامها فترة طويلة وتطلب السماح من الملك أن تتركه لتلحق بسيدتها .

ويلتقى ثيسوس وهيبوليتوس .

ويصيح ثيسوس : آه . . ها هو . . أى عين لا تغتر بهذا المنظر النبيل كما حدث معى؟ هل يصح أن تتلألأ على جبهة زان دنس فضيلة مقدسة ؟ وألا يجب أن يعرف المجرمون الخونة بعلامات مؤكدة ؟ .

ويسأل هيبوليتوس أباه عن السحابة التي تغطى وجهه المبجل، وهل يستطيع والده أن يبوح له بهذا السر .

ويستمر ثيسوس فى هياجه صائحا : أيها الخائن أتجسرأ أن تظهر أمامى ؟ وحش ، أغفلته الصواعق هذا الزمن الطويل ، بقايا اللصوص الذين طهرت الأرض منهم . بعد أن حملتك بهجة الحب الملىء بالفزع إلى فراش والدك . أتجرأ أن ترينى وجهك البغيض . وأن تظهر فى تلك الأماكن المليئة بعارك ، ولا تبحث لك عن أجواء غير معروفة ، أقطار لم تسمع باسمى . اهرب ، أيها الخائن . لا تجرأ على التصدى لحقدى . والوقوف أمام غضبي الذى يكاد أن يفلت من قبضتى .

ويكفينى عارا خالدا أنى أنجبت ابنا يتصف بمثل هذا الإجرام ، دون أن يدنس موتك الذين يشين ذكر مجد تلك الأعمال الجليلة التى قمت بها . اهرب . إذا كنت لا تريد إلا عقابا فوريا ، وأن تضيف إلى المجرمين الذين أهلكتهم بيدى ، خذ حذرك أن لا يراك الكوكب الذى يضئ أرضنا . وتضع قدمك فى هذه الأماكن . اهرب . إنى أقول لك ودون رجعة اسرع الخطى وطهر دولتى كلها من منظر مفزع . وأنت ، أنت ، يانبتوس ، إذا كانت شجاعتى فى الماضى قد طهرت شواطئك من السفاحين ، تذكر أنه جزاء لجهوداتى السعيدة أنك وعدت باجابة أول دعوة لى . وأنى فى الشدة الطويلة فى السجن القاصى لم أتوجه

إليـك أطلب عون قوتك الخالدة . إنى أتشوق لعونك وأنتظر مساعدتك ، وقد احتفظت بدعواتى إليك لحاجات أكبر وأشد . وأنى أضرع إليك الآن . اثأر لأب شقى . أنى أترك هذا الخائن لغضبك كله . اقض على رغباته الشائنة فى دمه ، وسيعترف ثيسوس فى قدرته بفضلك .

و يعجب هيبوليتوس أن فيدرا تتهمه بحب إجرامى . ان فزعا مفرطا ينـتزع منى منطق . كل هذه المتاعب المفاجئة تحل على مرة واحدة ، فلا تترك لى لسانا . بل تقضى على صوتى .

و يستمر ثيسوس فى ثورته على ابنه الذى ظن أن فيدرا ستدفن اعتداءه الوحشى فى صمت وجبن . كان يجب عليـك عند هربك الا تـترك خنجرك الذى بيـدك أو كان الأفضل لتكمل خيانتك أن تسكت بضربة واحدة لسانها وحياتها .

ويحاول هيبوليتوس أن يقنع أباه ببراءته دون أن يصرح بشىء ، ولكن ثيسوس فى ثورته لا يستمع إلى شىء ، ويقول ابنه :

إن هـذا الكذب الأسود هو الذى يقلقنى بحق . كان يحـتم على أن أقول الحق . ولكنى أكتم سرا يمس شرفك ، يامـولاى . فوافق على تبجيلى أبا هـو الذى يقفل فمى . وبدون أن تزيد بنفسك ما ينغص حياتك . افحص حياتى . وفكر من أكون فالجرائم الصغرى تسبق دائمـا الكبائر العظمى . وأى شخص تعدى الحدود الشرعية فإنه يستطيع أن يتخطى أقدس الحقوق . فالجريمة كالفضيلة لهـا درجات ولم ير أحد قط البراءة الخائفة تقتحم فجأة الحـد الأقصى . ولا يمكن فى

يوم واحد أن يصبح إنسانا فاضل سفاحا خائنا ، وجبانا يرتكب المحرمات مع المحارم .
لقد نشأت فى أحضان بطلة عفيفة ، ولم أكذب قط هذا الأصل ، وقد تفضل بيثسوس أن يعلمنى ، وهو المعروف بالحكمة بين جميع البشر [1] من الوقت الذى تسلمنى من بين ذراعيها . إنى لا أريد أن أزكى نفسى أكثر مما ينبغى ولكن ان كان قد وقع جزء من الفضيلة فى نصيبى يا مولاى ، فإنى أعتقد أن ذلك أذكى نار الحقد ضدى ، وأثار الحقد والاتهام الذى أرمى به . وهذا ما عرف به هيبوليتوس فى كل بلاد اليونان . لقد بلغت فضائلى حد الجفاء . ان الناس يعرفون عن طبعى الصلابة التى لا تلين . فالنهار نفسه ليس بأنقى من أعماق قلبى . وهل يريد أحد أن يقول إن هيبوليتوس قد شغف بحب دنس . . . . . .

ويقاطعه ثيسوس قائلا : أجل ، وهذه الكبرياء ، أيها الجبان ، هى التى تدينك . إنى أرى فى برودك المبدأ الكريه . ان فيدرا وحدها هى التى استهوت عينيك . وقد عزفت عيناك عن كل حب آخر ، ولكنها وحدها أشعلت قلبك بلهيب غير برئ .

ويرد هيبولتيوس : كلا ، كلا ، يا أبى ، ان هذا قد أخفى عنك طويلا ، لم يحتقر قلبى أن يشتعل بحب طاهر . إنى أعترف أمام قدميك بجرمى الحقيق ، إنى ، إنى أحب على الرغم من أنك تحرم ذلك . وهذا هو الحق ، ان أريسى تمسك بأعنة حبى . إن ابنة بلاس قد قهرت ابنك . إنى أحبها حب عبادة . وإن روحى التى عصت أوامرك ترفض أن تشتعل بحب غير حبها .

ويذهل ثيسوس عندما يستمع إلى اعتراف ابنه . ولكن للحظات قليلة ، ثم يعود إلى نفسه قائلا ان هذه حيلة سخيفة ، انك ترمى نفسك بهذه الجريمة لكى تنفى عن نفسك الجريمة الأخرى .

(١) يوربيديس ، ميديا ، ٦٨٢ — ٦٨٧ .

ويرد هيبوليتوس أنه منذ ستة أشهر أى منذ غياب والده أنه يتفادى رؤية أريسى . ولكنــه يحبها . ولقد جئت وأنا أرتعــد لكى أعترف لك نفسـك . ما هذا . لا شيء ، يستطيع أن ينـتزع منـك خطاك ؟ بأى قسم عظيم يجب أن أطمئنك ؟ إنى أقسم بالأرض والسماء ، وجميع الطبيعة ...

ويقاطعه ثيسوس قائلا إن كل مجرم يلجأ إلى الحلف الكاذب(١) . قف . قف . واعفنى من حديث سيئ ، إذا كانت فضيلتك الزائفة ليس لديها أى دفاع آخــر .

ويرد هيبوليتــوس أن أباه يعتقد أن حديثــه كاذب وأنه ملىء بالحيل . إن فيدرا فى صميم قلبها تصدقنى أكثر .

ويعلق ثيسوس أن وقاحة ابنه تثير حفيظته .

ويسأل هيبوليتوس عن الزمن والمكان الذى يحدده والده لنفيه . ويرد ثيسوس لو تجاوزت عمود هرقل ، فلن أظن نفسى بعيدا عن خيانتك .

ويلجأ هيبوليتوس إلى استعطاف أبيه . إذا كنت متهما بهذا الجــرم الذى تظن ، فأى أصدقاء سيرثون لحالتى ، وأنت قد تخليت عنى ؟

ويرد ثيسوس دون ترود : اذهب وابحث عن أصدقاء يجلون الزانى ويصفقون لمن يرتكب المحرمات . ابحث عن الخونة والعاقين الذين يحبون بلا شرف . وبلا قوانين ، جديرين أن يحموا شريرا مثلك .

---

(١) قارن : شكسبير ، يوليوس قيصر ، ٢ ، أ ، ١٢٩ .

ويتساءل هيبوليتوس لم يخاطبه والده بلفظ الزنا وارتكاب المعاصى . إنى صامت ولكن فيدرا قد ولدتها أم ، أنت يامولاى تعرفها جيدا ، إن فيدرا من دم أنت تعرفه يامولاى جيدا ، انه ملىء بما يفزع أكثر بكثير من دمى .

ويثور ثيسوس عند سماعه ذلك من ابنه . فيقول له : ما هذا إن ثورة هيبوليتوس تخرجه عن كل حد أمام والده . ويأمره لآخر مرة أن يبتعد عن نظره . اخرج أيها الخائن . لا تنتظر أن أبا ثائرا يأمر بانتزاعك بما فى ذلك من مضار من هذه الأمكنة .

ويخرج هيبوليتوس ، ويبقى ثيسوس وحده . . ويبدأ الندم يتسرب إلى قلبه . إن ولده وفلذة كبده الذى كان يحبه ذاهب إلى مصيره المحتوم . وأنه ليشفق عليه من أعماق قلبه . إن نبتونوس قد أقسم له بالنهار الذى يجله حتى الآلهة ولكن اعتداء هيبوليتوس على زوجة أبيه قد أثار والده أعظم إثارة . ويتساءل ثيسوس هل استطاع أن ينجب طفلا بهذا الإجرام .

وتدخل فيدرا من القصر . . وتوجه حديثها إلى ثيسوس قائلة له يا مولاى ، لقد جئت إليك يحدونى الفزع الحقيقى . لقد وصل إلى مسامعها صوته المخيف . إنى أخشى أن يتبع تهديدك نتيجة فورية . فإذا كان هناك وقت ، فانقذ سلالتك . احترم دمك . إنى أجرأ على أن اتضرع إليك . انقذنى من الهول الذى ينتابنى لو سمعت هذا النداء لا تدلى إلى دائما إنى كنت الدافع أن يسفك دم الابن بيد أبيه .

ويرد ثيسوس مطمئنا لها أن يده لم تغمس فى دم أهله . ولكن ذلك العاق لن ينجو قط من العقاب . إن يدا خالدة هى التى عهد إليها بهلاكه . ان نبتونوس يدين لى بها . وسيثأر لك .

وتصعق فيدرا : نبتونوس يدين لك . . ما هذا ؟ دعواتك فى وقت غضب . ويرد ثيسوس متعجبا . . ما هذا ؟ أتخشين ألا يستمع إلى دعائى ؟ إن من الأفضل أن تضمنى . . دعائى الحق . اقتفى أثر كل جرائمه بكل مافيها من سواد . أوقدى النار فى القتال البطىء . . الهادئ . . إنك لاتعرفين كل جرائمه . إن جنونه ضدك يدفعه إلى السباب . انه يدعى أن فمك ملىء بالأكاذيب . انه يؤكد أن أريس احتلت قلبه ، وإنه أعطاها عهده وانه يحبها .

تصيح فيدرا وقد وقع عليها الخبر كالصاعقة :

ما هذا يا مولاى ؟

ويرد ثيسوس : انه اعترف أمامه بذلك . ولكن ثيسوس أدرك مثل هذه الحيلة الخداعة فرفضها . دعنا نؤمل أن يسنزل به نبتونوس عقابا سريعا . وإنى بنفسى ذاهب إلى مذبحه لأطلب منه فى إلحاح أن ينفذ يمينه الخالدة .

ويخرج ثيسوس . وتبقى فيدرا وحدها ، وعندما توقن أن ثيسوس قد خرج تناجى نفسها . أى خبر جديد وصل أذنى ؟ أى نار لم تطفأ جيدا قد اشتعلت مرة ثانية فى قلبى ؟ أى صاعقة أيتها السماء وأى خبر مهلك . لقد أسرعت الإسراع كله لكى أنقذ ابنه . وقد انتزعت نفسى من ذراعى أوينون التى ترتعد . لقد تراجعت أمام الندم الذى كان يعذبنى . ومن الذى يدرى إلى أى حد كان الندم سيجرنى ، لقد كان فى استطاعتى أن أوافق على اتهام نفسى . ومن المحتمل أنه لولا أن الصوت قد قضى عليه فى فمى ، لهربت الحقيقة المخيفة من بين شفتى . هيبوليتوس يحس ، ولكنه لا يحس بشى قبلى ، وقد ملكت أريس عليه قلبه . لقد أعطاها مواثيقه . آه أيتها الآلهة . عندما نظر هذا العاق الذى لا يقبل ضراعة إلى

اعـترافى بعين متعجرفة وجبهة مخيفة ، ظننت أن قلبه مقفل دائمـا ضد الحب .
وأن هذا هو سلاحه الدائم ضد جنس النساء . ولكن امرأة أخرى عرفت كيف
تثنى جرأته . إن امرأة وجدت قبولا فى عينيه القاسيتين . ومن المحتمـل أن له
قلبا من السهل التأثير عليـه . أما أنا فإنى المرأة الوحيدة التى لا يستطيع احتمالها .
وقد حملت نفسى مشقة الدفاع عنه .

وتدخل المربية وتقول لهـا فيدرا :

أى أوينون العزيزة هل تعرفين ما سمعت منذ حين ؟ وترد المربية أنها جاءت
ترتعد حقا . لقـد حال لونى من خشيتى من الأمر الذى جعلك تخرجين : إنى
أخشى جنونا مهلكا لك نفسك .

وترد فيدرا : من الذى يستطيع أن يصدق هذا يا أوينون ؟ إن لى منافسة .

وتسأل المربية : وكيف ذلك ؟

وتجيب فيدرا : ان هيبوليتوس يحب . وأنها لا تستطيع الشك فى ذلك . فهذا
العدو المتجهم الذى لم يستطيع أحد إخضاعه ، هذا النمر الذى كانت فيدرا تخشى
أن تمـر إلى جواره ، لقـد خضع وأقر بالنصر . لقد عرفت أريس الطريق إلى
قلبـه .

وتكرر المربية الاسم : أريس ؟ .

وتتوجع فيدرا : آه يا للألم الذى لم أجده من قبل ! لأى عذاب جديد احتفظ
بى القدر ، أكل ما أصابنى : خوفى ، وبهجتى ، هول النار التى اشتعلت بقلبى ، وفزع
الندم الذى انتابنى ، والاحتقار الذى لا يحتمل عندما قابلنى بهذا الصدود القاسى ،

كل ذلك لم يكن إلا مقدمة لهذا العذاب الذى أحتمل . انهما محبان . بأى سحر خدعا عينى؟ كيف كانا يتقابلان ؟ متى ؟ فى أى مكان . ان أو ينون كانت تعرف ذلك . فكم حاولت أن تستميلنى ؟ ألم تستطع أن تخبرنى بحبهم الخفى . هل راءهم الخدم يتحـدثان ؟ يبحث أحدهما عن الآخر ؟ هل ذهبا إلى أعماق الغابة لكى يختفيا ؟ وا أسفاه ؟ لقـد رأى أحدهما الآخرفى حرية تامة . وقد باركت السماء آهاتهما البريئة . لقد سارا دون ندم وراء ميولهم الغرامية . إن كل يوم قـد طلع عليهما مشرقا بهجا . أما عـنى فإن كل الطبيعة ترفضنى رفضا حزينا . إنى أختفى نهارا وأهرب من الضـوء . فالموت هـو الإله الوحيد الذى أنجرأ على أن أوجه ضراعتى إليه . لقد كنت أنتظر الوقت الذى ألفظ فيه أنفاسى . لقد تعذبت على الألم والدمع . وكنت فى نكبتى أراقب مراقبة دقيقـة كبتى ، فـلم أتجرأ على أن أغرق نفسى فى دموعى كما أريد . لقـد تذوقت وأنا أرتعـد هـذا السرور المهلك . وكنت أخفى فزعى بوجه باسم . وفى بعض الأحيان كان على أن أحرم نفسى من الدموع .

وتعلق المربية : أى فائدة يجنون من هـذا الحب الذى لا طائل تحته ، فلن يرى أحدهما الآخر بعد اليوم .

وترد فيدرا أنهم سيحبون دائمـا . وفى هذه اللحظة التى أتكلم فيها . ويلى ، يا لهـا من فكرة قاتلة ، إنهما يجابهان جنون عاشقة ولهـانة . وعلى الرغم من هذا النفى الذى سيفرق بينهما انهما يقسمان ألف يمين أنهما لن يفترقا . كلا ، إنى لن أحتمل سرورا يؤذينا ، يا أوينون . اعطفى على غيرتى الثائرة . يجب أن تهلك . يجب أن أوقظ غضب زوجى ضد سلالة بغيضة . يجب أن لا يكتفى بعقاب ضئيل

أن جريمة الأخت تزيد عن جرائم الإخـوة . وفى نشوة، إنى أريد أن أتضرع إليـــه .

ماذا أفعل ؟ إلى أين ذهب عقلى ؟ أنا فيرى وثيسوس هو الذى أضرع إليه . ان زوجى حى ولا زال حبى مشتعلا، حبى لمن ؟ فى أى قلب يوجد حـبى ؟ ان شعرى يقف على جبهتى عند كل كلمة . إن جرائمى منذ الآن قد تعدت كل حد . إنى أتنفس فى نفس الوقت الزنا والخداع . ان يدى القاتلتين على اسـتعداد أن تثأرا لى وهما يشتعلان شوقا إلى أن يغمسا فى الدم البرىء . يا لشقائى ! إنى أعيش، وانى أحتمل النظر إلى الشمس المقدسة التى أنتسب إليها . ان جدى أبو الآلهة وسيدهم . فالسماء بكل العـالم ملىء بأجدادى . أين أختبىء ؟ فلنهرب الى ليـل الجحيم . ولكن ماذا أقول ؟ ان أبى هناك يمسك بالإناء الفتاك[1] . إن القدر قد وضع هذا الإناء، كما يقول الناس، بين يديه القاسيتين . فينوس يقضى فى الجحيم بين كل الموتى من البشر . ويلى، كم مرة يتفجع شبحه المرتعد، عندما يرى ابنته تتقدم إليه ، وهى مضطرة أن تعترف بعـدد كبير من المصائب المختلفة وبجرائم ربمـا غير معروفة فى الجحيم . ماذا أنت قائل يا أبى أمام هـذا المنظر الرهيب . إنى أظن أن الإناء المهيب سيسقط من بين يديك ، إنى أظن أنك ستبحث عن عذاب جديد ، وقد أصبحت أنت نفسك جلاد بنتـك . عفوا لقد أهلك إله قاس أسرتك. تعرف على ثأره فى جنون ابنتك . وا أسفاه إن عار الجريمة المفزعة يتعقبنى . تلك الجريمة التى لم يقطف أبدا قلبى الحزين ثمـارها . وإلى الآهات الأخيرة من مصائبى التى تطاردنى إنى أقضى حياة بائسة معذبة .

---

(١) فرجيل ، الانيادة : ٦ ، ٤٣٢ .

هوراس ، الأناشيد ، ٣ ، ١ ، ١٥ .

وتريد المربيه أن تخفف عن فيدرا شقاءها الدائم فتقول لها : إيه ادفعى يا سيدتى فزعك الذى لا أساس له ، انظرى بعين أخرى إلى خطأ يغتفر . انك تحبين . ان المرء لا يمكنه أن يقهر قدره . هل هذا عمل لم يسمع به أحد بيننا ؟ ألم يقهر الحب سواك ؟ إن الضعف طبيعى جدا فى نفوس البشر . إنك إنسانة ، فاخضعى للقدر المهيمن على البشر . إنك تشكين من عبء أثقلك منذ وقت طويل . إن الآلهة الذين يقطنون جبل الأوليمب الذين يخيفون الجرائم بصوت الرعد المخوف . كثيرا ما اشتعل نار الحب الغير المشروع فى قلوبهم .

وتثور فيدرا عند سماع كلام المربية قائلة : ماذا أسمع ؟ أى نصيحة هذه التى يجرأ أحد أن يوجهها إلى ؟ هكذا حتى النهاية ترغبين فى أن تدسى لى السم أيتها الشقية ؟ هذا هلاكى على يديك . عندما كنت أريد الهرب من النور ، ردت إلى الحياة . ان تضرعك جعلنى أنسى واجبى . كنت أحب رؤية هيبوليتوس ولكنك جعلتنى أراه : بأى شيء عهدت إلى نفسك ؟ لم يجرأ فمك الدنس فى اتهامك إياه إلى تلطيخ حياته بالسواد ؟ ربما مات بسبب ذلك وربما استجاب الإله إلى دعاء غير مقدس من أب غاضب . لن أستمع إليك بعد ذلك . اذهبى أيها الوحش اللعين ، اذهبى واتركى لى العناية بقدرى الذى يرثى له . إنى أتمنى أن يكافئك عدل السماء بما تستحقين ، فليت عقابك يكون دائما رادعا لأولئك الذين على شاكلتك يغذون ضعف الأمراء فى محنهم بأحاديث الجبناء ، فيدفعونهم إلى الحضيض الذى تميل اليه قلوبهم ويجرأون أن يمهدوا الطريق لجرائمهم .

تخرج فيدرا وتبقى المربية وحدها فتقول لنفسها :

ويلى أيتها الآلهة لكى أخدمها فعلت كل شيء فهل هذا جزائى ؟ إنى استحق ذلك .

وتخرج المربية . ويلتق هيبوليتوس وأريس . وتقول أريس :

ما هذا ؟ أتستطيع أن تصمت وسط هذا الخطر المحدق ؟ أتترك أبا يحبك سادرا فى ضلاله ؟ أيها القاسى إذا كنت تحتقر ضعف دموعى وقد وافقت دون ألم على ألا ترانى بعد ذلك ، اذهب وابتعد عن أريس الحزينة ، ولكن على الأقل حافظ على حياتك قبل رحيلك . دافع عن شرفك ضد لوم مشين . واجبر والدك على أن يرجع فى دعائه . ان هناك متسعا من الوقت لكى يفعل ذلك .

لماذا تترك الطريق حرا أمام المرأة التى تتهمك ؟ وما هذا الهوى ؟ وضح الأمر لثيسوس . ويتأثر هيبوليتوس قائلا ما الذى لم أقله ؟ هل يجب على أن أعلن فضيحة فراشه ؟ هل وجب على وأنا أقص عليه قصة حقيقية أن أغطى وجه أبى بخجل لا يستحقه ؟ أنت وحدك التى تعرف هذا الممر البغيض . انه ليس لقلبى من شهود غيرك وغير الآلهة . لم أستطع أى أخفى عنك ذلك . فاحكمى إن كنت أحبك بذلك الذى كنت أريد أن أخفيه عن نفسى ، ولكن تذكرى تحت أى سرية أطلعتك على الخبر . النسيان . إذا كان النسيان ممكنا لما تحدثت به إليك ، يا سيدتى ولن ينفرج أبدا فمك الطاهر جدا ليقص هذه المخاطرة الرهيبة . ولنضع ثقتنا فى عدالة الآلهة ، فإن من صالحهم أن يرفعوا الغبن عنى . أما فيدرا فانها ستلاقى جزاء جريمتها قريبا أو بعيدا — وهى لن تنجو من سوء السيرة كما تستحق . هذا هو الاحترام الوحيد الذى أطالبك به . وسأترك كل ما يتبقى لشجاعتى الحرة . اخرجى من هذه العبودية التى حلت بك ، تجرأى على أن تلحقى بى . تجرأى على أن تصحبينى فى هربى ، انتزعى نفسك من مكان مهلك دنس تتنفس فيه الفضيلة هواء ساما . انتفعى فى هروبك الفورى بهذا الاضطراب الذى نشأ من العار الذى لحق بى .

إنى أستطيع أن أضمن لك وسائل هروبك ، ليس لك حارس إلى هذه اللحظة غير رجالى . وسيقوم مدافعون أقوياء بالتدخل فى نزاعنا . إن أرجوس تمد يدها إلينا . وإن اسبرطة تدعونا إليها . فلنحمل صيحتنا العادلة إلى أصدقائنا المشتركين . وعلينا ألا نحتمل أن تطردنا أنا وأنت من ملكنا الشرعى . وهى تجمع حطامنا وأن تعد لابنها أسلابى وأسلابك : إن الفرصة سانحة وعلينا اقتناصها .[1] أى خوف استولى عليك . إنك تظهرين التردد . إن صالحك وحده هو الذى يوحى إلى بهذه الجرأة . وإذا كان حماسى متقدا ، فمن أين يأتيك الجليد ؟ أتخشين أن تسيرى فى أثر شخص منفى ؟

وترد أريس : وا أسفاه كم يكون هذا النفى عزيزا على يا مولاى أو أى بهجة تغمرنى وقد ارتبط مصيرى بمصيرك أن أعيش وقد نسينى الناس جميعا . ولكننى لم أرتبط بك بهذا الرباط الحلو فهل أستطيع أن أهرب معك دون أن يمس شرفى . إنى أعلم أنى دون أن أجرح الشرف الدقيق جدا يمكننى أن أتحرر من سلطان والدك . فهذا ليس كانتزاع نفسى من أحضان والدى . والهرب مباح لمن يهرب من الطغاة . ولكنك تحبنى يا مولاى . وشرفى مهدد . . ويرد هيبوليتوس ، كلا . . كلا انى أعنى بحسن سيرتك عناية كبرى . إن خطة نبيلة تجعلنى أسير أمامك . اهربى من أعدائك . واتبعى زوجك . نحن أحرار فى شقائنا . فهذا قدر السماء . إن مواثيقنا المتبادلة لا تعتمد على أحد . والزواج ليس دائما محاطا بمشاعل فعند أبواب ترزن ، وبين تلك المقابر وهى مدافن الأمراء من أجدادى القدامى ، يوجد معبد مقدس يخافه من يحنث فى يمينه . فهناك لا يجرأ أن يقسم أحد عبثا . فالخائن

---

(١) هذه خيانة عظمى تضاف إلى خطأ ἁμαρτία هيبوليتوس عند راسين . ومن الطبيعى ألا وجود لها عند يوريبدس ولا عند سينكا إذ لا وجود لأريس فى القصتين .

يلقى جزاء فورا . وعندما يخشى الخائن موتا محتوما فليس هناك من رادع مخيف أعظم من ذلك ضد الكذب . فهناك إذا كنت تثقين فى ، سنذهب لنؤكد حبنا الدائم .

وسنشهد الإله الذى يبجل هنالك . وسيدعوه كل منا أن يقوم لنا مقام الأب . سأشهد أعظم الآلهة قدسية ، سأشهد ديانا العفيفة و يونون المبجلة و جميع الآلهة على محبتى لك ، وسيضمنون عهدى وميثاقى المقدس .

وترى أريس ثيسوس قادما نحوها فتحث هيبوليتوس على الهرب وأن يرحل توا وهى فى حاجة إلى لحظات لاخفاء هربها .

وهى تطلب من هيبوليتوس أن يترك لها مرشدا أمينا يقود نحوه خطواتها التى ترتعد .

ويخرج هيبوليتوس ، و يدخل المسرح ثيسوس واسمين .

و ينادى ثيسوس الآلهة أن تلقى ضوءا على متاعبه ، وأن تتفضل بأن تظهر لعينيه الحقيقة التى يبحث عنها فى هذا المكان .

وتسر أريس إلى اسمين أن تعد كل شىء للهرب .

تخرج اسمين و يبقى ثيسوس وأريس وحدهما .

و يقول ثيسوس لأريس : إن لونها يذهب و يجىء ، و يظهر على وجهها القلق . فماذا كان هيبوليتوس يفعل فى هذا المكان ؟

وترد أريس : إنه ودعنى ، يامولاى ، وداعا دائما[1] .

---

(۱) لاحظ تهكم ironie راسين هنا فهيبوليتوس سيموت قبل أن تراه ثانية .

ويعلق ثيسوس : ان عينيك قد استطاعتا أن تقهـرا شجاعته المتمردة وآهاته الأولى كانت من عملك السعيد .

وترد أريس : إنى يامولاى لا أستطيع أن أنكر عنك الحقيقة . إن هيبوليتوس لم يرث حقدك الذى له ما يبرره . انه لم يعاملنى قط كمجرمة .

ويرد ثيسوس : إنى أفهم ذلك . لقد أقسم لك على حب دائم . لا تطمئنى قط إلى هذا القلب المتقلب . لأنه أقسم لنساء أخريات كما أقسم لك .

وترد أريس غير مصدقة : هو يا مولاى ؟

ويعلق ثيسوس : كان يجب عليك إن تقللى من تقلبه . فكيف احتملت هذه الشركة المفزعة . وتدافع أريس عن حبها : وكيف احتمل ثيسوس أن أحاديث شنيعة تجرأت على أن تسود مجـرى حياة جميلة كحياة ابنه . هل يعرف قلبه هذه المعرفة الضئيلة ؟ ألا يستطيع أن يفرق جيدا بين الجريمة والبراءة ؟

أكان يجب أن سحابة كريهة تحجب عن عينى ثيسوس فضيلة ابنه التى تتلألأ أمام جميـع الأعين ؟ وا أسفاه ، لقد جاوز ثيسوس الحد فى القاء ابنـه إلى هذه الألسنة الخائنة . قف واندم على دعواتك المميتة . وخف يا مولاى . خف أن السماء فى صرامتها ستنفذ لك دعاءك لأنها تبغضك ، فكثيرا ما تتقبـل السماء فى غضبها ما نقدم من أضحيات . وكثيرا ساتحمل هداياها عقوبة لنـا على خطايانا .

ويرد ثيسوس : كلا إنك تريدين دون جدوى أن تغطى على محاولته . ان حبك قد غطى على بصرك من أجل هذا العاق .

ولكنى أثق بشهود مؤكدة . لاشية عليها . رأيت دموعا حقيقية تنهمر .

وترد أريس احترس يا مولاى إن يديك اللتين لا تقهران قد خلصتا العالم من وحوش لاحصر لها ولكن هناك بقية لم تهلك وقد تركت وحشا يعيش .

إن ابنك يا مولاى يحرم على الاستطراد . لقد علمنى الاحترام الذى يحتفظ به لك . سأزيد من نصبه إن تجرأت على ذكر الخاتمة . إنى أحذو حذوه استحياء . وإنى أهرب من المثول بين يديك حتى لا اضطر إلى أن أبوح بالسر .

تخرج أريس ويبقى ثيسوس على المسرح وحده فيحدث نفسه . فيم تفكر ؟ وماذا يخفى حديثها الذى بدأ مرارا ومرارا أخرى توقف ؟ هل يريدون خديعتى بادعاءات زائفة ؟ هل اتفق كلاهما بأن يبثا إلى قلبي ما يقلقه ؟ ولكنى أنا نفسى على الرغم من صرامتى القاسية أى صوت يصرخ فى أعماق قلبى ؟ إن شفقة خفية تؤلمنى وأتعجب منها . فلنسأل مرة أخرى أوينون . إنى أرغب فى أن تتضح جميع جوانب الجريمة . أيها الحراس دعوا أوينون تخرج من القصر وتأتى وحدها إلى هنا .

تدخل بانوب وتوجه كلامها إلى ثيسوس :

إنى لا أدرى فيما تفكر الملكة ، يامولاى ، ولكنى أخشى ذلك الاضطراب الذى يقلق بالها . لقد ارتسم يأس مميت على وجهها .

إن اصفرار الموت قد غطى لونها . لقد طردت أوينون من حضرتها طردا شنيعا فألقت أوينون بنفسها فى أعماق البحر . ولا يدرى أحد من أى خطة جنونية نشأ ذلك وقد اختطفتها الأمواج منا إلى الأبد . ويذهل ثيسوس لما يسمع : ماذا أسمع ؟ وتستمر بانوب :

إن نكبة أوينون لم تهدئ من روع الملكة . فالقلق يزداد فيما يظهر فى قلبها الذى لا يستقر على حال ، فأحيانا لكى تهدئ من آلامها الخفية تحتضن أطفالها وتغمرهما

بدموعها وجفاة تطرد كل حب يختـلج فى قلب الأم . فتدفـع بيديها فى فزع أولادها بعيدا عنها وتمشى على غير هدى بأقدام غير ثابتة ولا ترانا عينها التائهة . لقد كتبت رسالة ما ثلاث مرات ثم غيرت رأيها ومزقت ثلاث مرات رسالتها التى بدأت ، تفضل يا مولاى برؤيتها ، تفضل بمعونتها .

ويتفجع ثيسوس مناديا السماء متعجبا من سبب موت أينون ومن رغبة فايدرا فى الموت . ويداخله الشك ، فيطالب بارجاع ابنه وبمثوله أمامه لكى يدافع عن نفسه : ليحضر . ليكلمنى ، فأنا على استعداد للإنصات إليه . ويدعوا نبتونوس ألا يسارع بإجابة دعائه المهلك . انه يفضل ألا تجاب دعوته أبدا . فربما وثق أكثر مما ينبغى فى شهادة غير مخلصة . وربما تعجل فى رفع يديه القاسيتين الى نبتونوس . وا أسفاه يا لليأس الذى أعقب دعائى .

يدخل ثيرامين حزينا باكيا فيخاطبه ثيسوس وهو يرتعد :

يا ثيرامين هل أنت هو ؟ ماذا فعلت بابنى ؟ لقد أودعته بين يديك وسـنه لا زالت غضة . ولكن ما سبب هذه الدموع التى أراها تنهمر . ما حال ابنى ؟

ويرد ثيرامين : ياللرعاية المتأخرة التى لا طائل تحتها . ياللرقة التى لا نفع فيها . لقد قضى على هيبوليتوس . Hippolyte n'est plus

ويصرخ ثيسوس : أيتها الآلهة .

ويعقب ثيرامين : لقد رأيت مصرع أحب الناس إلى القلوب وإنى لأجرأ أن أضيف يا مولاى وأقلهم ذنبا .

ويستطرد ثيسوس متفجعا : لقد هلك ابنى ، يالها من فجيعة . فى اللحظة التى أمد يدى إليه أسرعت الآلهة دون صبر إلى إنزال العقاب به . أى ضربة اختطفته منى ؟ أى صاعقة مفاجئة ؟

ويستمر ثيرامين فى وصفه فيقول : لم نكد نخرج من أبواب تروزين وقد امتطى عربته وحذا حرسه المنكوب حذوه فى صمته وكانوا يحيطون به وسار وهو ساهم فى الطريق إلى موقيناى وقد تركت يده الأعنة تتماوج فوق الخيل وتراءت خيوله بالخيلاء والتى كانت تطيع صوته وقد امتلأ بحماس جد نبيل . العين حزينة والرأس منحنية . تراءت لنا كأنها تتوافق مع أفكاره . سمعت صرخة مخيفة من أعماق الأمواج ألهبت الهدوء فى ذاك الوقت من الهواء ومن باطن الأرض أجاب صوت مزعج متفجعا على تلك الصرخة المخوفة . وقد تجمد دمنا فى أعماق قلوبنا . ووقف شعر أعراف الخيل المتيقظة .

وارتفع على ظهر السهل المائى فى أثناء ذلك جبل رطب يغلى غليانا شديدا . واقترب الطوفان وانشق وخرج منه أمام أعيننا بين أمواج الزئير وحش هائج تسلحت جبهته العريضة بقرون تهددنا . وجميع أعيننا بين أمواج الزئير . جسمه مغطى بقشور مصفرة ، ثور لا يقهر ، ثعبان يتلوى مؤخره بطيات ملتوية وقد جعل صراخه الطويل الشواطىء ترتعد . وقد فزعت السماء من رؤية هذا الوحش المخيف واهتزت الأرض وتلوث الجو وقد تراجعت الأمواج التى حملته مذعورة . وقد فر الجميع . ودون أن يتسلح أحد بشجاعة لا تفيد بحث كل واحد عن ملجأ فى المعبد المجاور . أما هيبوليتوس فهو وحده الذى أوقف جياده . وهو ابن جدير بأبيه البطل وأمسك بحرابه وتقدم نحو الوحش وقذفه بسهم رمته يد موثوق بها (لا تخطىء) وقد أحدث فى جنبه جرحا متسعا . فقفز الوحش من الغضب ومن الألم وسقط وهو يخور أمام حوافر الخيل وتدحرج وأظهر لهم حنجرة ملتهبة غطتهم بالنار وبالدم وبالبخار (الدخان)[1] . تملكهم الفزع . وفى هذه المرة صموا آذانهم فلم يطيعوا

---

(١) قارن هوميروس ، الالياذة ، ١٨ ز ، ٢ : كونتليان مبادىء الخطابا ١٠ ، ٩٤

الأعنـة ولا الصوت . وذهبت جهود سيدهم التى فقدت قوتها . لقد فزعوا من موت آت . ويقال إن الناس رأوا فى هذا الاضطراب المخيف إلها يغرس إبرا فى جنوبهم التى يعلوها الغبار وقد جعلهم الخـوف ينقرون فوق الصخور وقد صرخ محور العربة وكسر . ورأى هيبوليتوس الشجاع تحطيم عربته وطيران أجزائها بصوت مرتفع . وقد سقط هو نفسه والتفت عليه الأعنة . أرجو الصفح عن آلامى . إن هذا المنظر القاسى سيبقى معى مصدرا دائمـا للبكاء . لقد رأيت يا مولاى . لقد رأيت ابنك اليائس تسحبه خيـوله التى (1) أطعمها بيده . لقد أراد أن يناديها ولكن صـوته كان يرعبهم . كانوا يجرون . وقد أصـبح جسده فى لحظات مغطى بالجروح . وقد تجاوب السهل بصرخاتنا المليئة بالآلام . وأخيرا خف اندفاعهم وأبطأت سرعتهم ثم توقفوا على مقربة من تلك القبور القـديمة التى تحوى رفات المـلوك من أجداده . جريت لاهثا وتبعنى حرسه . وكان دمه الكريم هـو قائدنا ومرشدنا .

وقد صبـغ الصخور . والأشواك تحمل أسلاب شعره الدامى . جئت إليـه وناديته ومددت يدى نحوه ، ففتح عينيه التى يداعبها الموت والتى أقفلها بجفاة .

وقال لى : لقد انتزعت السماء حياتى البريئة . اعتن بعد مماتى بأريس الحزينة . إذا عرف أبى يا صديقى العزيز فى يوم من الأيام خطأه وبكى ابنا شقيا اتهم زورا ، فلكى يهدأ دمى وشبحى الشاكى قل له أن يعامل أسيرته معاملة طيبة وأن يمنحها . وهذا البطل لفظ أنفاسه مع هـذه الكلمة تاركا بين ذراعى جسدا مهشما . شىء محزن . لقد انتصر الآلهة ، إن عين أبيه نفسه لا تعرفه .

(1) يوربيديس ، هيبوليتوس ١٣٥٥ — ١٣٥٦ :

ὦ στυγνὸν ὄχημ' ἵππειον, ἐμῆς
βόσκημα χερός·

ويتفجع ثيسوس باكيا ابنــه وأمله العزيز الذى فقده ، مناديا الآلهة التى لا تسمع الدعاء والتى قدمت له خدمة أكبر ممــا يريد .

لقد بقيت حياته لآلام قاتلة . ويستطرد ثيرامين :

كانت أريس قد وصلت يعلوها الخــوف . لقد جاءت يا مولاى ، هاربة من غضبك لتختاره أمام الآلهة زوجا لهــا . لقد اقتربت ورأت الحشائش الملطخة بالدم والتى يتصاعد منها البخار الدموى . لقد رأت وأى منظر رأت عيون الحبيبة رأت هيبوليتوس ممددا دون شكل ودون لون . وترددت بعض الوقت فى تصديق نكبتها ولم تستطع أن تتعرف على ذاك البطل الذى كانت تحبه . إنها ترى هيبوليتوس وهى تطلبه .

وفى النهاية تأكدت أنه أمامها . وبنظرة حزينة اتهمت الآلهة ولقد أصابتها الرعدة وهى تتفجع . لقد فارقتها روحها أو كادت فسقطت مغشيا عليها تحت أقدام حبيبها . وكانت اسمين إلى جوارها . كانت اسمين مبللة بالدموع . إنها تعيدها إلى الحيــاة أو بالأحرى إلى الآلام . أما أنا فإنى أكره هذا النور وقد جئت لأحمل إليك رغبة هذا (وصية) البطل الأخيرة ولأخلص نفسى يا مولاى من هذا العمل اليائس الذى أودع قلبه وهو يلفظ حياته . ولكنى أرى عدوته اللدودة مقبلة .

تدخل فايدرا ويوجد على المسرح ثيسوس وفايدرا وثيرامين وبانوب والحرس ويقول ثيسوس لفايدرا والآلام تملأ قلبه : آه لقد انتصرت ، وقد فقد ابنى حياته . آه ليت الخوف قد وجد طريقه إلى قلبى ، أو ليت شكا قاسيا وجد له عذرا فى قلبى وأنذرنى بحق . ولكن ياسيدتى انه مات فتسلمى ضحيتك وتمتعى بفقده . سواء كان ظلما أم عدلا . إنى أوافق أن عينى كانتا دائمــا عمياء لقــد اعتقدت أنه مجــرم

لأنك أنت التي اتهمته . ان نكبته تدفع إلى البكاء زمنا طويلا دون أن أسعى باحثا عن الضوء الكريه الذى لا يستطيع أن يرده إلى آلامى الحقة وربما لم يفعل أكثر من زيادة شقائى . اتركونى بعيدا عن هذا الشاطىء لكى أهرب من صورة ابنى المترامية، ابنى الذى قطع جسده اربا مضطربا مضطهدا تلاحقنى ذكرى قاتلة . إنى أود أن أنفى نفسى من جميع هـذا العالم . إن الكل على ما يظهر يقفون ضد ظلمى . إن شهرة اسمى نفسها تزيد فى عقابى . ودون ان يعـرفنى احد سأحيا على نهج أفضل . انى أبغض حتى العناية الربانية التى يحفنى بها الآلهة . وإنى أبكى فضلهـم المهلك . ودون أن أزعجهم بدعاء لا جدوى فيـه . فمهما كان خيرهم القاتل يحيط بى فلن يستطيعوا أن يردوا إلى ما انتزعوا منى .

وتقول فايدرا : كلا ، ياثيسوس يجب على أن أنهى صمتا ظالمـا . يجب أن أرد ابنك إلى براءته . لم يكن مجرما[1] .

ويصيح ثيسوس :

ويلى يا لشقائى كأب لقد أصدرت حكمى ضده (إدانته) معتمدا على توكيدك أيتها القاسية . هل تظنين أن هذا اعتذار كاف ؟

وتقاطعه فايدرا :

اصغ إلى ، يا ثيسوس إن كل دقيقة لهـا قيمتها لدى . إنى أنا التى ألقيت على ابنك العفيف المؤدب نظرة دنسة زانية . لقد وضعت السماء فى صدرى نارا قاتلة ، لقد قادتنى أوينون البغيضة إلى كل شىء آخر . لقد داخلها الخـوف أن هيبوليتوس

(١) سينكا ، فايدرا ١١٩٥ — ١١٩٦

iuvenisque castus crimine incesto iacet,
pudicus, insons.

وقد عرف جنونى يكشف لهبا أنزعه ، وهذه الخائنة ، قد انتهزت فرصة ضعفى وأسرعت إلى اتهـامه أمام عينك . لقـد لقيت عقابها وقد هربت من غضبى وبحثت فى الأمـواج عن عقاب لذيذ . كان ينبـغى أن يقطع السيف قدرى منـذ مدة طويلة ولكننى تركت الفضـيلة التى أحاط بهـا الشك تضج . لقد رغبت أن أعبر عن ندمى أمام عينـك وأن أهبط إلى دار الموتى بطريق أبطأ . لقد أخذت سمـا . لقد تركت السم يسـيل فى عروقى المشتعلة ، سما أحضرته ميديا إلى أتيكا . لقد سرى السم ووصل إلى قلبى: ودمى فى هذا القلب المحتضر يشعر ببرد قاس[1] .

إنى لا أرى إلا خلال سحابة[2]

لقد غشيت عينى سحابة السماء والزوج اللذين يؤذيهما وجودى وهـذا الموت الذى يحرم عينى من وضوح الرؤيا ويرد إلى النهار كل نقائه (صفائه) .

وتصرخ بانوب : إنها تلفظ أنفاسها يا مولاى[3]

ويقول ثيسوس فى ختام المسرحية :

---

(١) عن البرد القاسى الذى يشعر به المسموم . انظر : أرستوفانيس ، الضـفادع ١٢٣ إشارة إلى موت سقراط ، وقارن أفلاطون ، فيدون ، ١١٨ ، ٥ . ترجمة الدكتور عزت قرنى ص ٢٥٤ : كانت منطقة أسفل البطن قد بردت بالفعل

ἤδη οὖν σχεδόν τι αὐτοῦ ἦν τὰ περὶ τὸ ἦτρον ψυχόμενα

(٢) يوربيديس ، هيبوليتوس ١٤٤ .

Αἰαῖ, κατ' ὄσσων κιγχάνει μ' ἤδη σκότος.

(٣) فى يوربيديس ، هيبوليتوس . تموت فايدرا منتحرة شنقا ،
وفى سينكا ، فايدرا ، تموت فايدرا منتحرة بطعنة من السيف .
وفى راسين تموت فايدرا منتحرة بالسم .

ليتنى أستطيع أن أدفن معها ذكرى تلك الفعلة السوداء ، هيا بنا وا أسفاه
وقد وضح أمامى خطائى كل الوضوح نمزج دموعنا بدماء ابنى الشىق . هيا بنا
نحتضن ما تبقى من ابنى وندفع جزاء الجنون والدعاء الذى أبغضه .

لنتقدم إليه كل تكريم قد استحقه جيدا . ومن أجل تهدئة روحه المعذبة
تهدئة أفضل لتحل حبيبته فى قلبى مكان الإبنة ، على الرغم من جريمة أسرتها
الظالمة .

الفصل السادس

يوربيديس والسياسة

يتأثر الأديب بالوطن الذى يحيى فيه ، وبالبيئة التى تربى فيها ، وبالأحداث التى تحيط به .

وقد عاصر يوربيديس حرب البيلوبونيز ولم ينج من التعصب لبلده وكراهية أعدائه [1] . فمسرحية أندروماخا ملئت بالطعن فى اسبرطة وزعمائها وعاداتها . فأظهر يوربيديس الأشخاص الذين هم من أصل اسبرطى بمظهر الخونة الذين لا يرعون إلا ولا ذمة .

وقارن بين أخلاق أندروماخا الجميلة وصفاتها الحسنة ، وجودها بنفسها فى سبيل انقاذ ابنها وبين دناءة مينلاوس وغدره . وطعن يوربيديس طعنا جارحا فى إله دلفى وكهنته الذين انحازوا إلى جانب اسبرطة فى حربها مع أثينة [2] .

تقول أندروماخا مخاطبة مينلاوس (سطر ٤٤٥ — ٤٥٣) :

---

(١) روز ، تاريخ الأدب اليونانى ، ١٨٥ :

Two plays may fairly be described as war — time propaganda

(٢) يوربيديس ، أندروماخا ، ٤٤٥ ، ٤٥٣ ، ٥٩٠ وما بعده ، ترجمة الأستاذ الدكتور : محمد سليم سالم ، البدائع ١ ، ص ٥٤ ، وص ٥٨ — ٥٩ .

« يا أهل اسبرطة إنكم لأبغض البشر إلى النـاس كافة . يا شيوخ الخداع ، يا أساطين الكذب ، يا مقـترفى الكبائر . إن أفكاركم معوجة وما هى بسليمة ، ولكنها ملتفة ملتوية . إن من الظلم أن يحالفكم النصر فى بلاد اليونان . أى عيب لا يوجد فيكم ؟ ألا يزدهر سفك الدماء بينكم ؟ ألستم أهل الجشع ؟ ألم يكشف الناس أنكم تقولون بألسنتكم ما ليس فى قلوبكم ؟ عليكم اللعنة » .

ويخاطب بيلوس مينلاوس (سطر ٥٩٠ وما بعده) صائحا :

اتظن نفسك رجلا أيها الرعديد ، يا سليل الجبناء ؟ أين تعد فى الرجال ؟ لقد اختطف زوجتك رجل من فريجيا بعد أن تركت منزلك مفتح الأبواب خاليـا من الحراس كأن زوجتك فاضلة وليست بفاجرة . لن تستطيع فتاة اسبرطية وإن جهـدت أن تكون خريدة فإنهن يهجـرن المنازل ويسابقن الفتيان فى الجـرى والمصارعة وأفخاذهن عارية وأثوابهن ترفرف . ذاك اختلاط لا يطاق فى نظرى . فلا عجب إذن إن لم تربوا نساء عاقلات [١] .

وقد أدخل يوربيديس لقاء مفاجئا [٢] بين ميديا وأيجوس ملك أثينة فى مسرحية ميديا ليتمكن من وضع أنشودة رائعة فى مديح أثينة [٣] .

---

(١) قارن Delabecque ص ٩٩ :

toute la premiĕre partie du drame respire une violente hostilité contre Sparte ses moeurs et sa politique.

(٢) أرسطو ، فن الشعر ١٤٦١ ب — ٢٠ — ٢١ :

ὅταν μὴ ἀνάγκης οὔσης μηδὲν χρήσηται τῷ ἀλόγῳ, ὥσπερ Εὐριπίδης τῷ Αἰγεῖ.

(٣) يوربيديس ، ميديا : ٨٢٤ — ٨٦٥ .

فلا غرو أن وضع يوربيديس فى آخر قصة هيبوليتوس (سطر ١٤٥٩ — ١٤٦٠) على لسان ثيسوس رثاء لابنه هو فى الحقيقة تفجع لموت بركليس فى خريف سنة ٤٢٩ ق . م :

أى أثينة الشهيرة ، أرض بلاس ، أى رجل ستفقدين . وتنشد الجوقة وهى تستعد لمغادرة المسرح (سطر ١٤٦٢ — ١٤٦٦) : لقد عم هذا الحزن جميع المواطنين ، هذا الألم الذى حل بهم بغتة . إن طوفانا من الدموع الغزيرة سينهمر . وأن الأسى لفقد الرجال العظماء سيطول أبده [١] .

رأى يوربيديس سعير الطاعون الذى أهلك من سكان أثينة أكثر مما أفنت الحرب [٢] ولهذا نرى الإشارات الكثيرة إلى الأمراض الكريهة (سطر ١٧٦ وبعده) .

῏Ω κακὰ θνητῶν στυγεραί τε νόσοι.

وإلى متاعب التمريض (سطر ١٨٦) :

κρεῖσσον δὲ νοσεῖν ἢ θεραπεύειν.

---

(١) انظر تعليق فيكايزر على البيت ١٤٦٢ ، وكذلك تعليق Artaud ص ٣٠٦ هامش ٢ ويقول :

Delebecque Euripide et la guerre du péloponèse

ص ٩٦ ، وص ١٠٥ ، إن هيبوليتوس لا يمكن أن يسمى رجلا عظيما :

Peut — on dire Hippolyte qu' il soit un grand homme? Non, à coup sûr. L' expression impropre . . . . . . ne peut viser que Périclès.

(٢) فى مطلع أوديب ملكا لسوفوكليس نجد إشارة إلى هذا المرض الوبيل ، انظر سطر ٢٧ — ٢٩ .

ἐν δ' ὁ πυρφόρος θεὸς
σκήψας ἐλαύνει, λοιμὸς ἔχθιστος, πόλιν,
ὑφ' οὗ κενοῦται δῶμα Καδμεῖον.

و إلى الصبر على الأمراض (سطر ٢٠٥ — ٢٠٦) .

ῥᾷον δὲ νόσον μετά θ' ἡσυχίας
καὶ γενναίου λήματος οἴσεις.

والتشوق إلى الماء البارد الذى لايروى من عطش (سطر ٢٠٨ — ٢٠٩)[1]

Πῶς ἂν δροσερᾶς ἀπὸ κρηνῖδος
καθαρῶν ὑδάτων πῶμ' ἀρυσαίμαν.

وتشير المربية إلى أنه قد كتب البلاء على البشر (سطر ٢٠٧) :

μοχθεῖν δὲ βροτοῖσιν ἀνάγκη.

وهناك إشارات إلى الاطباء والصيادلة ، وطرق العلاج بل إلى الدجالين ، والمشعوذين والسحرة لكى يكشفوا علاجا لهذا الداء الوبيل الذى لم يعرف له علاج فى الزمن القديم (سطر ٤٧٨ — ٤٧٩) :

εἰσὶν δ' ἐπῳδαὶ καὶ λόγοι θελκτήριοι·
φανήσεταί τι τῆσδε φάρμακον νόσου.

وتسأل فايدرا (سطر ٥١٦) أهو شراب أم دهان :

Πότερα δὲ χριστὸν ἢ ποτὸν τὸ φάρμακον.

وقبل ذلك (٢٩٣ — ٢٩٦) طلبت المربية من سيدتها أن تفصح عن علتها . فإن كانت مما لايطلع عليه الرجال ، فهؤلاء النسوة قادرات على النصيحة . و إن كان مما يطلع عليه الرجال فمن الممكن عرضه على الأطباء .

---

(١) ثوكيديدس ٢ ، ٤٩ ، ٥

ἥδιστά τε ἂν ἐς ὕδωρ ψυχρὸν σφᾶς αὐτοὺς
ῥίπτειν. καὶ πολλοὶ τοῦτο τῶν ἠμελημένων ἀνθρώπων
καὶ ἔδρασαν ἐς φρέατα, τῇ δίψῃ ἀπαύστῳ ξυνεχόμενοι.

κεἰ μὲν νοσεῖς τι τῶν ἀπορρήτων κακῶν,
γυναῖκες αἵδε συγκαθιστάναι νόσον·
εἰ δ' ἔκφορός σοι συμφορὰ πρὸς ἄρσενας,
λέγ', ὡς ἰατροῖς πρᾶγμα μηνυθῇ τόδε.

ويتساءل هيبوليتوس عن ذلك المرض الذى يقتل الإنسان بمثل هذه السرعة (سطر ٩٠٥ — ٩٠٨) :

ἔα, τί χρῆμα; σὴν δάμαρθ' ὁρῶ, πάτερ,
νεκρόν· μεγίστου θαύματος τόδ' ἄξιον·
ἣν ἀρτίως ἔλειπον, ἣ φάος τόδε
οὔπω χρόνον παλαιὸν εἰσεδέρκετο.

إن أعراض الوباء ظاهرة ولكن سببه غير معروف . ولهذا تتحرق الجوقة لمعرفة سبب الداء (سطر ١٧٣ — ١٧٥) :

τί ποτ' ἔστι μαθεῖν ἔραται ψυχή,
τί δεδήληται
δέμας ἀλλόχροον βασιλείας.

وتذكر فايدرا فى سطر ٣٨٩ — ٣٩٠ أنها لم تستطيع أن تجد دواء لمرضها :

οὐκ ἔσθ' ὁποίῳ φαρμάκῳ διαφλερεῖν
ἔμελλον.

لم ينج من هذا الخطر الداهم غنى ولا فقير ، لقد قتل بركليس وابنيه الشرعيين ، واضطر بركليس إلى أن يلجأ إلى الشعب لكى يصدر قرارا بشرعية ابنه من خليلته أسباسيا Aspasia ، وبركليس الأصغر هذا كان من بين القادة الذين حكم عليهم

بالمـوت لعدم إنقاذ الغرق بعـد انتصارهم فى موقعة ارجينوساى Arginusae البحرية فى سنة ٤٠٦ ق . م [١] .

وهناك أوجه شـبه كثيرة بين بركليس وبين ثيسوس ولا سيما فى حياتهـم الخاصة . فزواج ثيسوس من الأمازونية وإنجابها إبنا غير شرعى يذكرنا بعـلاقة بركليس بأسباسيا وانجابها إبنا غير شرعى . وقد تزوج بركليس احدى قريباته وأنجبت له ابنين شرعيين ثم سرحها إذ لم تكن هناك مودة بينهما . وقد هاجمـه شعراء الكوميديا من أجل علاقته بأسباسيا هجوما مريرا [٢] .

ولقى أصدقاؤه من أعدائه أشد العنت . فجرت أسباسيا إلى دور القضاء كما اضطهد فيدياس وأناكساجوراس .

وكان من نتيجة الحـرب والمرض انهيار القـيم الأخلاقية وإطـلاق عقال الرذيلة [٣] . وكأن فضيلة هيبوليتوس ضد متعمد لأخلاق الشبان فى ذاك الوقت [٤] .

---

(١) انظر بيورى Bury ، تاريخ اليونان ، ص ٥٠٠ . قارن ، أفلاطون ، الدفاع عن سقراط ، ٣٢ ب ٣ وما بعده

Xenophon, Hellenica, 1, 7, 15.

(٢) ديلبيك ، يوريبيديس وحرب البيلوبونيز ، ص ١٠١ .

Plusieurs traits en effets, qui servent à la peinture de l'époux de Phèdre et du père d' Hippolyte semblent appeler la comparaison avec ce que nous savons de la vie privée de Periclès, toute deformée qu' elle soit par la légende.

(٣) ثوكيديدس : ٢ ، ٥٣ ، ٤ .

θεῶν δὲ φόβος ἢ ἀνθρώπων νόμος οὐδεὶς ἀπεῖργε.

(٤) ديلبيك Delebecque ص ٩٩ :

Hippolyte semble crée pour faire un contraste vivant avec tels impies.

وتحاول المربية أن تجر فايدرا إلى طرق الرذيلة[1] .

ἐρᾷς. τί τοῦτο θαῦμα; σὺν πολλοῖς βροτῶν.

ويمكن أن يستمر المرء فى المقابلة بين وصف ثوكيديس لهـذا البـلاء الذى حل بأثينة وبين الانعكاسات التى وردت فى قصة هيبوليتوس حامل الاكاليل .

وفى قصة هرقل المجنون :

Hercule furens – Ἑρακλῆς μαινόμενος

نجد يوربيديس ينشىء صلة من القرابة بين هرقل وثيسوس ليرضى غرور أهل أثينة أنهم أووا ونصروا هرقل بعد أن نبذته أرجوس وطيبة[2] .

ويذكر بلوتارك فى سيرة ثيسوس ، ٣ ، ٤ ، كيف تقابل البطلان وكيف ساعد ثيسوس هرقل فى الاطلاع على أسرار إيلوسيس Eleusis السرية وكيف طهره من بعض أوزاره ليجعله صالحا ليقبل هـذه الأسرار . وواضح أنه كانت هنالك صلة بين عبادة ثيسوس وبين عبادة هرقل .

ولكن قصة أبناء هرقل Heracleidae تتفق مع قصة أندروماخا فى أنها دعاية أثينية ضد اسبرطة . ولقـد عرضت هذه القصة وقد حمى وطيس القتال بين أثينة وأسـبرطة . فلا غرو أن ملئت بالإشارات التاريخية ، وإثارة الحميـة الوطنية ، ووصف أثينة بأنها كانت دائمـا حامية المستضعفين .

---

(١) يوربيديس ، هيبوليتوس ، سطر ٤٣٩ وما بعده .

(٢) يوربيديس ، هرقل المجنون ، ١١٥٤ :

Θησεὺς ὅδ' ἕρπει συγγενὴς φίλος τ' εμός.

والقصة نفسها ، سطر ١١٩٩ — ١٢٠٠

αἰδόμενος τὸ σὸν ὄμμα
καὶ φιλίαν ὁμόφυλον.

فتقول الجوقة (سطر ٣٢٩ — ٣٣١) :

Ἀεί ποθ' ἥδε γαῖα τοῖς ἀμηχάνοις
σὺν τῷ δικαίῳ βούλεται προσωφελεῖν·
τοιγὰρ πόνους δὴ μυρίους ὑπὲρ φίλων
ἤνεγκε.

وجدير بالذكر أن ملك أثينـة فى ذلك الوقت كان ديموفـون Δημοφῶν بن ثيسوس .

فأثينة مدينة الحرية (٦٢) : ἐλευθέρα τε γαῖ' والأثينيون أصدقاء وأقارب (سطر ٣٠٣ — ٣٠٦) :

ἡμεῖς γὰρ κακῶν
ἐς τοὔσχατον πεσόντες ηὕρομεν φίλους
καὶ συγγενεῖς τούσδ; οἵ τοσῆσδ' οἰκουμένης
Ἑλληνίδος γῆς τῶνδε προὔστησαν μόνοι.

ويكثر وصف الحرية الأثينية (سطر ٣٥٧ — ٣٥٨) وشجاعة الأثينيين بعد وصف اللاجئين المستضعفين من الشيوخ والولدان .

وقد وضـع المسرح فى ماراثون[1] . أولا : لأن عبادة هرقل كانت فى هذه البلدة[2] . وثانيا : لإذكاء نار الحمية فى نفوس الأثينيين وتذكيرهم بالنصر الذى أحرزوه على الفـرس فى موقعة ماراثون . وثالثـا : لأن اسبرطة فى تلك الفـترة كانت تهـدد ماراثون .

---

(١) سطر ٣٢ من مسرحية أبناء هرقل :

Μαραθῶνα καὶ σύγκληρον ἐλθόντες χθόνα.

(٢) هيرودوت ٦ ، ١٠٨ ، ١ :

ἐν τεμένει Ἡρακλέος.

ويبنى ديميفون رفضه لطلب أرجوس على ثلاثة مبادىء : الورع والتقوى وخشية الآلهة ولاسيما زوس حامى الضارعين (سطر ٢٣٨) .

τὸ μὲν μέγιστον Ζεύς

والقرابة τὸ συγγενὲς . وقد بين أيولوس فى سطر ٢٠٧ وما بعده . فالجد الأكبر لكل من آل ثيسوس وأبناء هرقل بيلويس Πελοψ . كما أن الاعتراف بالجميل له أثره الفعال . فهرقل هو الذى أنقذ ثيسوس من الدار الآخرة . وأخيرا الحياء أن يقال إن ابن ثيسوس قد سلم الضارعين لأعدائهم ، أو أنه سكت عن انتزاعهم بالقوة من مذابح الآلهة (سطر ٢٤٢) :

τὸ δ' αἰσχρόν. οὗπερ δεῖ μάλιστα φροντίσαι.

ومن الثناء الذى أضفاه يوربيديس على أثينة أن الأثينيين لا يقتلون أسراهم (سطر ١٠١٨ — ١٠١٩) :

παραινέσαι σοι σμικρόν, Ἀλκμήνη, θέλω,

τὸν ἄνδρ' ἀφεῖναι τόνδ', ἐπεὶ δοκεῖ πόλει.

وتنتهى القصة بشكر يورستيوس Eurystheus لأثينة على رفضها قتله . ويطلب دفنه أمام معبد الإلهة أثينا فى قرية بالين (١٠٣٠ — ١٠٣١) :

θανόντα γάρ με θάψεθ' οὗ τὸ μόρσιμον,

δίας πάροιθε παρθένου Παλληνίδος

وسيكون خيرا وبركة على الأثينيين وشرا ونقمة على الاسبرطيين عندما يغزون أتيكا بجيش جرار (١٠٣٥) :

ὅταν μόλωσι δεῦρο σὺν πολλῇ χερί.

ولست فى حاجة إلى بيان أن هذه الإشارة تشير إلى حرب البيلوبونيز وهذه الخاصية أعنى انعـكاس الأحداث فى القصص المسرحيـة والثناء المستطاب على أثينة لاتقتصر على قصص يور بيديس وحده .

وتكفى الإشارة إلى قصة سـوفوكليس أوديب فى كولونا ، ويظهر فيهـا ثيسوس فى دور يشبه دوره فى قصة يور بيديس ، هرقـل المجنون ، أو دور ابن ثيسوس (ديموفون) فى قصة أبناء هرقل [1] .

وفى دراسات فى المسرح الاغريقى — أيسخيلوس، التى اضطلع بها الأستاذ الدكتور عبـد الله حسن المسلمى ، القاهرة ١٩٧٨ ، نجـد تحليـلا واضحا لأثر الأحداث المعاصرة على قصص ايسخيلوس [2] .

وفى قصة هيقيا ليور بيديس (سطر ٤٦٢ — ٤٦٥)

σὺν Δηλιάσιν τε κού

ραισιν 'Αρτέμιδὸς θεᾶς.

χρυσέαν ἄμπυκα τόξα τ' εὐλογήσω.

إشادة بعيد Δηλια الذى احتفل به فى سنة ٤٢٤ ق . م . بعد تطهير جزيرة ديلوس .

---

(١) سوفوكليس ، أوديب فى كولونا ، طبعة لويس كامبل ، أكسفورد ، ١٨٧١ ، ص ٢٤٤ — ٢٤٦

On supposed political and histoical allusions in Sophocles.

(٢) الأستاذ الدكتور عبـد الله حسن المسلمى ، دراسات فى المسرح الاغريقى — ١ — أيسخيلوس ، ص ١٢٨ — ١٣٩ ، ص ١٤٤ — ١٤٥ ، ١٥٠ — ١٥٤ ، ص ١٧٢ — ١٧٩ ، ص ٢١٥ — ٢٢١ — ٢٢٥ .

وفى سطر ٦٥٠ — ٦٥١ إشارة إلى أسر ٢٩٢ من الجنود الاسبرطيين ذوى الأسلحة الثقيلة فى سفاكتريا Sphakteria على يد القائد الأثينى ديموستنيس فى عام ٤٢٥ ق . م (انظر : ترجمة الأستاذ الدكتور عبد الله المسلمى ص ٩٤) .

الفصل السابع

المرأة عند يوربيديس

فى قصة أمفيترو للشاعر الرومانى بلاوتوس ، وهى مستقاة من أصل يونانى غير معروف ، نجد أمامنا المثل الأعلى للزوجة الصالحة فى الكمينا Alcumena أم هرقل التى وضع الشاعر على لسانها منهاجا للفضائل التى ينبغى أن تتصف بها المرأة المثالية . تقول الكمينا ، سطر ٨٣٩ ، ٨٤٢ : « لست أرى أن ما يسميه الناس مهرا هو مهر الزوجة الحقيق . فمهرها هو عفافها Pudicitia وحياؤها Pudor واخضاعها لشهوات النفس cupidines Pedati وخوفها من الآلهة deum metus وحبها لأبويها parentum amor ووئامها مع أقاربها cognatum concordia . وارضاؤها لزوجها morigera وأن تكون سخية فى تقديم النفع للخيار » .

atque ut munifica sim bonis, prosim pcobis. (1)

ومن ناحية أخرى نجد يونوميا Eunomia فى قصة الوعاء Auluaria لبلاوتوس ، تعترف (سطر ١٢٣ — ١٢٤) بأن النساء كلهن بغيضات ثرثارات :

(١) دف ، تاريخ الأدب الرومانى ، ترجمة الأستاذ الدكتور محمد سليم سالم ، ص ٢٤٠ . قصة أمفيترو لبلاوتوس ، طبعة أرثرپالر ، ص ٢١٦ .

quanquam non falsa sum nos odiosas haberi;
nam multum loquaces merito omnes labemur,

فلم توجد امرأة خرساء الآن أو فى القرون الخالية (سطر ١٢٥—١٢٦) :

nec mutam profecto repertam multam esse
<aut> hodie dicunt mulierem <aut> ullo in saeclo.

ولكنهن شر ضرورى لإنجاب الأطفال (سطر ٣٠) :

liberis procreandis

وجه يوربيديس طوال حياته نظره إلى مركز المرأة تجاه الرجل فى أثينة فى القرن الخامس قبل الميلاد . ولكن نظرته كانت عامة شملت العالم أجمع منذ وجدت هذه الأرض ومن عليها .

فالطبيعة نفسها لم تسو بين الرجل والمرأة ، عندما جعلت من الرجل قوة معتدية aggressive ومنحت المرأة صفة الخشوع والخضوع .

passive. submissive

وكل خروج على هذه القاعدة الطبيعية اعتبره العالم شذوذا ، وتحررا ونشازا . بل إن يوربيديس تعدى هذا الحد إلى التوغل فى مجاهل اللاوعى فى وقت كان علم النفس psychology لا يزال فى مهده .

ولم يفت يوربيديس أن المرأة كالرجل تسعى وراء الحرية الشخصية والاجتماعية . ولكن العادات والتقاليد والشرائع قد قيدت المرأة ، وأطلقت سراح الرجل[1] .

---

(١) ليسباس ، ١ ، مصرع اراتوستنيس ، ٣٠ — ٣١ ، طبعة Teubner ، ص ٧ ؤ

ولكن ليس من الممكن أن يخضع جميع النسوة فى جميع بقاع العالم لهذا الظلم الدائم .

لقد جعل الرجال من العفة صفة مستحبة ، ولكنهم جعلوها فرضا عينيا على كل امرأة .

تقول ميديا (سطر ٢٤٤ — ٢٤٥) إن الرجل إذا ضاق بزوجته ، وجد فى خارج داره ما يلهو به ، دون لوم يوجه إليـه . أما المرأة فمضطرة أن تنتظر على الدوام إلى وجه رجل واحد :

'Ανὴρ δ', ὅταν τοῖς ἔνδον ἄχθηται ξυνών,

ἔξω μολὼν ἔπαυσε καρδίαν ἄσης

ἡμῖν δ' ἀνάγκη πρὸς μίαν ψυχὴν βλέπειν.

وبعد أن يختار الأب لابنته زوجا يدفع إليه مهرا ضخما ، ولا علم للفتاة به ولا بأخلاقه ، إن قنع الزوج بأن يعاشرها بالمعروف ، فحياتها سعيدة تحسد عليها (٢٤٣) ζηλωτὸς αἰών وإلا فالموت هـو الخلاص الوحيد . θανεῖν χρεών. فالطلاق مجلبة للعار (٢٣٦ — ٢٣٧) :

οὐ γὰρ εὐκλεεῖς ἀπαλλαγαί

γυναιξίν.

آمن الناس بأن الانحراف عن العفة ، ولو فى الفكر فقط ، أمر يسلب المرأة كل عطف وكل شرف . وهـذا واضح بكل جلاء فى قصة هيبـوليتوس حامل الاكليل . ولم يشفع لأى امرأة فى بلاد اليونان إيمـان اليونانيين بأن الحب قوة إلاهية أو طبيعية لا غالب لهـا . فجزاء الخيانة هو الموت المحتوم . ولم تنج الفتاة

التى لم تتزوج بعد من هـذا الجزاء . فلا عجب إن وجهت المرأة كل جهدها إلى المكر والخداع والكذب والاستعانة بالخدم فى تنفيذ مآربها .

ولدينا فى قضيـة مصرع أراثوستينيس Eratosthenes التى دبجها لسياس صـورة من إفساد الزوجات عن طريق الخدم ، والحيـلة التى كانت تستخدمها الخادم لتعرف سـيدتها إن كانت بالطابق الأعلى أن عشيقها قد حضر . وتقفل الزوجة باب غرفة النوم على زوجها على سبيل المزاح حتى لا يفاجئها فى خلوة مع معشوقهـا .

ونحن نعلم من القضية نفسها أن القانون الأثينى كان يبيح للزوج أن يقتل من أفسد زوجته إذا ضبطهما متلبسين بالجريمة ولم يكن هناك سبق إصرار . وإن القانون سـوى بين الخليـلة والزوجة فى هذا العقاب [1] . كانت ولا تزال حيل النساء كثيرة .

تقول أندروماخا فى القصة المسماة باسمها للخادم التى أرادت إرسالها لبيلوس : ستجدين أعذارا كثيرة لأنك امرأة (سطر ٨٥) :

πολλὰς ἂν εὕροις μηχανάς· γυνὴ γὰρ εἶ.

ولدينا مثال واضح كيف يسهل على المرأة خداع الرجل فى ادعاء ميديا أنها أدركت أنها لم تكن على حق فى ثورتها ، وأن ياسون يقوم نحوها ونحو أولادها بما ينبغى (سـطر ٨٦٩ وما بعدها) . إنهـا تطلب من ياسون الصفح وأن يحتمل ثورتها ، فقد كان بينهما فيما مضى محبة ومودة . لقد ثابت إلى رشدها ، وأدركت أن غضبهـا كان عبثا . هـكذا النساء ، ويجب على الرجال ألا يتشـبهوا بهن .

(١) لسياس ، ١ ، مصرع أراثوستينيس ، ٣٠ — ٣١ ، طبعة Teubner ، ص ٧ .

وتنهمر ميديا فى البكاء وتشاركها الجـوقة فى النحيب . وتلتمس ميديا لنفسها العذر فى ذرف الدموع، فهى امرأة ، ومن طبيعة النساء البكاء (سطر ٩٢٨):

γυνὴ δὲ θῆλυ κἀπὶ δακρύοις ἔφυ.

وتقول أندروماخا (سطر ٩٣ — ٩٥) إن النساء يجدن سلوى ولذة فى ترديد مصائبهن :

.... ἐμπέφυκε γάρ

γυναιξὶ τέρψις τῶν παρεστώτων κακῶν

ἀνὰ στόμ' αἰεὶ καὶ διὰ γλώσσης ἔχειν.

وأذكى النساء فى نظر هيبوليتوس (سطر ٦٣٨ وما بعده) أكثرهن قدرة على خداع أزواجهن ، وأكثرهن خدما أقـدرهن على إخفاء أعمالهن ، وكلما كثر عدد الصديقات والنساء اللائى يترددن على الزوجات كلما فسدت الحياة الزوجية لأسباب شتى :

ῥᾷστον δ' ὅτῳ τὸ μηδέν, ἀλλ' ἀνωφελής

εὐηθίᾳ κατ' οἶκον ἵδρυται γυνή.

Σοφὴν δὲ μισῶ ....

وهـذا يتفق مع ما تقول هـيرميونا عن تحـريض النساء لها لكى تقتـل أندروماخا (سطر ٩٣٢ — ٩٣٥) :

لو سأل سائل كيف وقعت فى الإثم لأجبت : أهلكنى تردد النسوة الشريرات على بيتى وقولهن لى وهن يثرن كبريائى . . . . قسما بمولاتى هيرا لو كانت عندى ما رأت ضوء النهـار . . . . يجب على الزوج ألا يسمح للنساء بالـتردد على دار

زوجته . فهن معلمات الرذائل . منهن من تفسد زواجك من أجل منفعة تنالها ، ومنهن من فعلت فاحشة وتريد لهـا شريكات فى الإثم ، وأخريات يدفعهن إلى ذلك السفه والخرق . . . (أندروماخا ، سطر ٩٢٩ — ٩٥٣)

Πῶς οὖν τάδ', ὡς εἴποι τις, ἐξημάρτανες;

κακῶν γυναικῶν εἴσοδοί μ' ἀπώλεσαν.

ولا سيما سطر ٩٤٦ :

. . . . αὗται γὰρ διδάσκαλοι κακῶν.

كانت المنازل فى أثينة تنقسم إلى قسمين أحدهما يخصص للنساء γυναικεῖον والآخر يخصص للرجال ، ἀνδρ وكانت المرأة لا تخرج من بيتها إلا فى المناسبات العامة كتوديع ميت أو الاشتراك فى إحياء حفل ديني[1] .

وهذا الطراز من الحياة يساعد على الثرثرة . وينمى حب الاستطلاع والنميمة والغيبة . . وإذا كثر الخدم ، كما حدث فى أثينة فى القرن الخامس قبل الميلاد ، زاد الكسل وتفاقمت هذه المتاعب وأصبح أكثر هم النساء الزينة .

يقول هيبوليتوس (سطر ٦٣٠ — ٦٣٣) إن الزوج يبـدد ماله على شراء الملابس الفاخرة وأدوات الزينة لعروسه :

γέγηθε κόσμον προστιθεὶς ἀγάλματι

καλὸν κακίστῳ καὶ πέπλοισιν ἐκπονεῖ

δύστηνος, ὄλβον δωμάτων ὑπεξελών.

---

(١) Décharme, Euripide ١٢٤ :

Le critique des imperfections feminines était en Grèce un thème banal.

وقد أجاد يوربيـديس فى وصـف غرور عروس ياسـون الجديدة إبنة كريون ، وتهافتها على التحلى بالرداء والتاج اللذين أرسلتهما لهـا ميديا . وقبل أن ترى الهدية ، لم تكن تطيق النظر إلى طفلى ميديا ، أو الاستماع إلى كلمات زوجها (ميديا ، ١١٦٥ — ١١٦٦ ، ولا سيما ١١٦٥ — ١١٦٦) :

δώροις ὑπερχαίρουσα. πολλὰ πολλάκις

τένοντ' ἐς ὀρθὸν ὄμμασι σκοπουμένη.

ومع أن الطعن فى النساء كان أمرا شائعا فى بـلاد اليونان فى العصور الخاليـة لا أن نشوب حرب البيلوبونيز [1] وانتشار مرض الطاعون فى أثينة أديا إلى انهيار القيم الأخلاقية .

ولكن الزمن سينقلب على عقبيه وسيتغير نظام العالم إلى أفضـل ، وستغنى ربات الفن بفضائل النساء وعيوب الرجال .

سينتهى كل ذلك إذا تمت المساواة بين الرجل والمـرأة ، وزال الظلم الذى يقع على النساء [2] .

---

(١) الموضع نفسه ، ١٢٣ — ١٢٤ :

Plusieurs pièces d' Aristophane temoignent qu' ā l'époque de la guerre de Peloponèse la femme essaie desortir.

(٢) ميديا ، ٤٢١ وما بعـده ، أيون ١٠٩٦ وما بعـده ، جلبرت مرى ، تاريخ الأدب اليونانى ، ٢٦٣ :

But the significant fact is that, likc Thren, Euripides refuses to idealise any man; and does idealise women.

ولكن ما الحل والأمر على ما هو عليه وهذه الدنيا هى عالم الرجل ؟ يجب القضاء نهائيا على جنس المرأة . ويجب على من يريد الحصول على الأولاد الذكور أن يتقدم إلى معابد الآلهة بقرباته ويتلق الطفل الذى يهبه الإله له .

يقول ياسون فى قصة ميديا (سطر ٣٧٣ — ٣٧٤) :

.... χρῆν γὰρ ἄλλοθέν ποθεν βροτοὺς
παῖδας τεκνοῦσθαι, θῆλυ δ' οὐκ εἶναι γένος·

ويصيح هيبوليتوس مناديا زوس (سطر ٦١٥ وما بعده) :

Ὦ Ζεῦ, τί δὴ κίβδηλον ἀνθρώποις κακόν
γυναῖκας ἐς φῶς ἡλίου κατῴκισας;
ἀλλ' ἀντιθέντας σοῖσιν ἐν ναοῖς βροτούς
ἢ χρυσὸν ἢ σίδηρον ἢ χαλκοῦ βάρος
παίδων πρίασθαι σπέρμα. .....
εἰ γὰρ βρότειον ἤθελες σπεῖραι γένος,
οὐκ ἐκ γυναικῶν χρῆν παρασχέσθαι τόδε,

ولكن هناك فرعان من الحب (ميديا ٦٢٧ وما بعده) حب هادئ هو بهجة الدنيا وزينتها ، وحب عاصف مدمر :

Ἔρωτες ὑπὲρ μὲν ἄγαν
ἐλθόντες οὐκ εὐδοξίαν
οὐδ' ἀρετὰν παρέδωκαν
ἀνδράσιν· εἰ δ' ἅλις ἔλθοι
Κύπρις, οὐκ ἄλ' -
λα θεὸς εὔχαρις οὕτως. ....

وتستمر الجوقة فى دعائها أن تمنحها أفروديتى حبا هنيئا بعيدا من العواصف النفسية التى تدمر . فالعفة أعظم هبات الآلهة :

στέργοι δέ με σωφροσύνα

δώρημα κάλλιστον θεῶν.

الفصل الثامن

الدين عند يوربيديس

كانت الديانة اليونانية فى القرن الخامس قبل الميلاد قد أصبحت نسيجا معقدا من العقائد البدائيـة ، والأساطير القديمة ، والمتغيرات الوافدة ، وأخـيرا الآراء الفلسفية المتعددة .

وكان موقف يوربيديس الشاعر التراجيدى هو موقف أيسخيلوس تمـاما مع الفارق فى الميل الطبيعى لكل من الشاعرين ، فأيسخيلوس يميل كل الميل الى التصوف ، ويوربيديس يحو نحو التحرر — ولكن هذا التحرر لم يصل به إلى الإلحاد ، ونبذ الآلهـة والطعن فى الديانة اليونانية . فالشاعر التراجيدى خاضع لتأثير جمهوره ومضمون قصصه ، ولا يستطيع الخروج عنهما .

ونظرة يوربيديس إلى الأساطير اليونانية كنظرة سقراط المعاصر له .

فسقراط يرفض تلك الأقاصيص التى يرددها يوثيفـرون فى المحاورة المسماة باسمـه .

كما ترفض هيقيا فى مسرحية نساء طروادة قصة تحكيم باريس بين الإلهات الثلاث [1].

ويرفض هرقل فى مسرحية هرقل المجنون الأساطير التى ابتدعها الشعراء ، من أمثال هوميروس وهسيودوس ، والتى تنسب إلى الآلهة ما لا يتفق وجلال الالوهية . فالإله — إن كان حقا إلاها ، لا يحتاج إلى شيء [2].

---

(١) يوريبيدس ، نساء طروادة ، ٩٧١ .

ἐγώ, γὰρ Ἥραν παρθένον τε Παλλάδα

οὐκ ἐς τοσοῦτον ἀμαθίας ἐλθεῖν δοκῶ,

ὥσθ᾽ ἣ μὲν Ἄργος βαρβάροις ἀπημπόλα,

πολλὰς δ᾽ Ἀθήνας Φρυξὶ δουλεύειν ποτέ,

αἳ παιδιαῖσι καὶ χλιδῇ μορφῆς πέρι

ἦλθον πρὸς Ἴδην.

أشار أرسطو فى كتاب الخطابة ، ١٧٣ ، ١٥ ، (١٤١٨ ب ٢١ — ٢٢) إلى رد هيقيا على هيلانه فى قصة يوريبيدس ، نساء طروادة ، كمثل لمهاجمة أضعف نقطة فى دفاع الخصم أولا ، انظر : شرح كوب Cope ، ٣ ، ص ٢٠٧ — ٢٠٨) .

(٢) يوريبيدس . هرقل المجنون ١٣٤١ — ١٣٤٦ :

ἐγὼ δὲ τοὺς θεοὺς οὔτε λέκτρ᾽ ἃ μὴ θέμις

στέργειν νομίζω, δεσμά τ᾽ ἐξάπτειν χεροῖν

οὔτ᾽ ἠξίωσα πώποτ᾽ οὔτε πείσομαι,

οὐδ᾽ ἄλλον ἄλλου δεσπότην πεφυκέναι.

δεῖται γὰρ ὁ θεός, εἴπερ ἔστ᾽ ὄντως θεός,

οὐδενός. ἀοιδῶν οἵδε δύστηνοι λόγοι.

قارن الترجمة فى جلبرت مارى ، تاريخ الأدب اليونانى ص ٢٦٦ ؛ انظر الموضع نفسه ص ٢٥٨ .

= In God, there is no injustice.

وتتجه هيقيا بالدعاء فى مسرحية نساء طروادة إلى زوس أيا كان هو الذى يحمل الأرض وتحمله الأرض ، الذى لا تحيط آراء البشر به ، سواء كان قانون الضرورة فى الطبيعة ، أو العقل[1] بين البشر . إنه فى كل مكان ، يسير دون صوت ، ينظم أمور البشر طبقا للعدالة[2] .

هذا هو ملخص عقيدة يوربيديس التى تبتعد بعدا كثيرا عن الأفكار المتداولة عن ديانة يوربيديس . وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف نفسر أى طعن يوجد فى قصص يوربيديس ضد الآلهة ؟

= يوربيديس ، نساء طروادة ٨٨٤ — ٨٨٨ :

ὦ γῆς ὄχημα κἀπὶ γῆς ἔχων ἕδραν,
ὅστις ποτ' εἶ σύ, δυστόπαστος εἰδέναι,
Ζεύς, εἴτ' ἀνάγκη φύσεος εἴτε νοῦς βροτῶν,
προσηυξάμην σε· πάντα γὰρ δι' ἀψόφου
βαίνων κελεύθου κατὰ δίκην τὰ θνήτ' ἄγεις.

انظر تعليق R. J. Tyrrell فى طبعته على هذا البيت ٨٨٤ .

(١) ويشير سيشرون فى كتابه عن طبيعة الآلهة De Natura Deorum ترجمة H. Rackham فى سلسلة لويب ص ١٨٦ — ١٨٧ الكتاب الثانى الفصل الخامس عشر ٦٥ إلى هذا الرأى .

vides
Euripides autem ut multa praeclare sic hoc breviter
qui terram tenero circumiecta
sublime fusum immodertum aethera,
amplectitur
hunc summum habeto divum, hunc perhibeto Iovem.

وهذه ترجمة شذرة من مسرحية مفقودة ليوربيديس (شذرة ٣٨٦)

ὁρᾷς τὸν ὑψοῦ τόνδ' ἄπειρον αἰθέρα
καὶ γῆν πέριξ ἔχονθ' ὑγραῖς ἐν ἀγκάλαις.
τοῦτον νόμιζε Ζῆνα, τόνδ' ἡγοῦ θεόν.

والرد السليم هــو أن كل ما يوجد بقصص يوربيديس من هــذا الطراز ، وكثير هو ، موجه إلى اعتقاد العامة وإلى الأساطير التى أثقلت الديانة اليونانية . ومن الممكن أن تكون هذه الانتقادات نتيجة لمقتضيات الموقف الدرامى ولتصاريف القضاء الغامضة التى يضيق بها الإنسان فى بعض الأحوال .

بدأت مسرحية هيبوليتوس بمقدمة تلقيها الإلهــة أفروديتى وختمت هــذه القصة بحديث الإلهة أرتيميس كإله من الآلة . وقد وجه النقد إلى كل من هاتين الإلهتين[1] .

ولكن يجب أن نتذكر أن يوربيديس لم يكن يعتقد فى الالهة شخصية تسمى أفروديتى ولا فى إلاهة أخرى تحمل اسم أرتيميس .

وقصارى القول أن أفروديتى فى نظر يوربيديس قوة طبيعية لا يمكن إنكارها فى هذا العالم . وكقوة طبيعية تطبق على كل من خالفها أو أفرط فى استخدامها ،

---

(١) ويذكر سيشرون ، الكتاب نفسه ، ١ ، ١٢ ، ٢٩ سلسلة لويب ص ٣٢ إلى أن ديوجنوس من بلدة أبولونيا كان يرى أن الهواء إله :

aër quo Diogenes Apolloniates utitur deo.

كما يشير إلى زينون رئيس المدرسة الرواقية على أنه كان يرى أن الأثير إله .

سيشرون ، الكتاب نفسه ، ١ ، ١٤ ، ٣٦ سلسلة لويب ص ٣٨

atque hic idem alio loco aethera deum dicit.

وفى أرسطوفانيس الضفادع ٨٩٢ يوجه يوربيديس دعاءه إلى الأثير αἰθὴρ

M. Patin, Études sur les tragiques grecs: Euripide, tome I, (1) Paris 1873, P. 4, 3 :

On a blamé, non sans raison, l'odieux aspect donné ici à la divinité.

أو قصر فى ذلك تلك القاعدة الذهبية ἄγαν μηδὲν وبذلك يزول النقد الذى يوجه إلى قول أفروديتى (سطر ٧ — ٨) .

ἔνεστι γὰρ δὴ κἀν θεῶν γένει τόδε·

τιμώμενοι χαίρουσιν ἀνθρώπων ὕπο.

فهذا صحيح جدا إذا نظرنا إلى أفروديتى وكل إله آخر على أنه قوة طبيعية . فالسير على منهاج الطبيعة وطبقا للقوانين الطبيعية يعتبر تكريما لهذه القوانين الثابتة والإخلال بهذه القوانين قد تكون له آثار ضارة بالبشر .

وعندما تثور الطبيعة قد تدمر الصالح مع الطالح . فالصواعق قد تصيب معابد الآلهة . هذا التفسير يزيل ما يوجه من نقد إلى قول أفروديتى فى الأسطر ٤٨ — ٥٠ :

.... τὸ γὰρ τῆσδ' οὐ προτιμήσω κακόν

τὸ μὴ οὐ παρασχεῖν τοὺς ἐμοὺς ἐχθρούς ἐμοὶ

δίκην τοσαύτην ὥστ' ἐμοὶ καλῶς ἔχειν.

وهذا التفسير عينه يزيل النقد الذى يوجه إلى أرتيميس عندما تنذر بالانتقام من أفروديتى (سطر ١٤٢٠ — ١٤٢٢) . فمن القوانين الثابتة أن لكل فعل رد فعل مساويا له فى القوة ومضادا له فى الاتجاه .

فمصرع هيبوليتوس لابد أن يقابله مصرع أدونيس مثلا . أما وصف أفروديتى بأنها πανοῦργος (سطر ١٤٠٠) فهو وصف للهوى العاصف لا الحب الطبيعى الهادئ .

ومن الممكن أن نقول إن يوربيديس ككل شاعر تراجيدى يسير فى أثر القصص التى يعالجها [1]. فأسطورة حب فايدرا لابن زوجها ومصرعه كانت قصة ذائعة .

وعندما تسمع المربية بأن سيدتها قد شغفت حبا بهيبوليتوس تصبح أن كوبريس (أفروديتى) ليست بالإهة وإنما شىء أكبر من الآلهة ، إن جاز ذلك (سطر ٣٥٩ — ٣٦١) .

.... Κύπρις οὐκ ἄρ' ἦν θεός,

ἀλλ' εἴ τι μεῖζον ἄλλο γίγνεται θεοῦ,

ἣ τήνδε κἀμὲ καὶ δόμους ἀπώλεσεν.

ولكن التفسير الطبيعى للوقوع فى الحب يجىء على لسان هيقيا فى مسرحية نساء طروادة (سطر ٩٨٣ وما بعده) : أنه أمر يدعو إلى السخرية عندما تنسب هيلانة إلى أفروديتى أنها السبب فى وقوعها فى حب باريس .

Κύπριν δ' ἔλεξας, ταῦτα γὰρ γέλως πολύς.

وإنما السبب الحقيق والطبيعى هو جمال باريس وغنى الشرق الفاحش .

وتضيف هيقيا (سطر ٩٨٩) أن الناس يطلقون اسم أفروديتى على أهوائهم الجنونية .

τὰ μῶρα γὰρ πάντ' ἐστὶν Ἀφροδίτη βροτοῖς.

أما لماذا لم تتدخل أرتيميس لحماية هيبوليتوس البرىء فقد ردت أرتيميس على هذا التساؤل بأن هذا مخالف للنظام الإلهى (سطر ١٣٢٨) :

.... θεοῖσι δ' ὧδ' ἔχει νόμος.

---

(١) كما يفعل أيسخيلوس ؛ قارن ؛ الأستاذ الدكتور عبد الله حسن المسلمى ، دراسات ... ص ٨٢ ، أن أيسخيلوس لم يكن يؤمن بالأساطير الشعبية وإنما كان يستخدمها كموضوع لمسرحياته .

وتدافـع أرتيميس عن پوسيدون الذى نفـذ وعده بإلقاء اللوم على ثيسوس لتسرعه (١٣١٨ وما بعده) :

πατὴρ μὲν οὖν σοι πόντιος φρονῶν καλῶς

ἔδωχ' ὅσονπερ χρῆν, ἐπείπερ ᾔνεσεν.

أما عن القدر Ἀνάγκη ' Moîrae

فهو إما أن يسـوى بزوس أو يكون منفـذا لإرادة زوس . ولا يختلف يوربيديس فى نظرته إلى القدر عن أيسخيلوس[1] . فلكل إنسان قدره فإذا انشق على هذا القدر ارتكب جريمة تعدى الحدود ὕβρις .

أما عن رأى يوربيديس فى اللعنات المتوارثة فهو يقترب من الرأى الحديث فى الوراثة . لقد رفض أيسخيلوس توارث اللعنات دون أى ذنب[2] . ولا يمكن أن يؤمن يوربيديس بتوارث الآثام كرأى مطلق .

تشير فايدرا إلى حب أمها (سطر ٣٣٧) :

Ὦ τλῆμον, οἷον, μῆτερ, ἠράσθης ἔρον.

كما تشير إلى حظ أختها أريادنى (سطر ٣٣٩) :

σύ τ', ὦ τάλαιν' ὅμαιμε, Διονύσου δάμαρ.

ثم تشير فايدرا إلى حظها المتعثر فى الحب (سطر ٣٤١) :

τρίτη δ' ἐγὼ δύστηνος ὡς ἀπόλλυμαι.

---

(١) عن أسطورة إلهات القدر ، انظر روز ، الأساطير اليونانية ص ١١٤ — ١٢٥ .

(٢) وعن القدر فى نظر أيسخيلوس ، انظر الأستاذ الدكتور عبد الله المسلمى ، دراسات فى المسرح الاغريقى ١ — أيسخيلوس ، ص ٨٤ — ٨٥ .

ويمكن أن نستنتج من هذه الأبيات الثلاثة أن أسرة فايدرا كان لديها قابلية لهذا الداء كما أن هناك بعض الأسر لديها قابلية للإصابة بالسل [1].

ويشير ثيسوس إلى توارث اللعنات إشارة غير محددة فهو يقول فى سطر ٨٢٠ :

κηλὶς ἄφραστος ἐξ ἀλαστόρων τινός.

وفى سطر ٨٣١—٨٣٣ .

πρόσωθεν δέ ποθεν ἀνακομίζομαι

τύχαν δαιμόνων

ἀμπλακίαισι τῶν πάροιθέν τινος.

انه لا يعرف شيئا عن هـذه اللعنة التى أطبقت عليه ، وقد تكون بسبب ذنب ارتكبه الأجداد . لكن هناك قصـة قال عنها الأسـتاذ جلبرت مرى فى كتاب يوربيديس وعصره Euripides and His Age ص ١٢٠—١٢١ ، الترجمة العربية ص ٨٦ إنها بحق أكثر المسرحيات اليونانية كفرا بآلهة اليونان [2] .

وقد اجتمعت فى هذه المسرحية عدة عوامل للوصول إلى هذه النتيجة . أولا : أن النضال المسرحى Agon = ἀγών هو بين الإله أبولون وكريوسا . وثانيا : أن الإله أبولون وسدنة معبده فى دلفى قد انحازوا صراحة إلى جانب اسبرطة فى حربها

---

(١) الأستاذ الدكتور عبد الله حسن المسلمى ، دراسات فى المسرح الأغريقى — ١ أيسخيلوس ص ٨٦ — ٨٨ .

(٢) جلبرت مرى ، يوربيديس وعصره ص ١٢٠ — ١٢١ .

The Ion is of all the extant plays the most definitely blasphemous against the traditional gods.

مع أثينة ، فأصبح الطعن فى أبولون أمرا شائعا لدى الاثينيين[1] ومع ذلك فإن الصلح يتم بين الجميع فى آخر المسرحية بين ايون وأمه التى حاولت قتله بالسم و بين كريوسا والإله أبولون التى كشفت فى النهاية أن الإله أحسن اليها بإنقاذ ابنها ورده إليها وتنصيبه ملكا على أثينة وجدا لجميع الاثينيين .

بل أن كريوسا قبل كل شيء امرأة لذ ليوربيديس أن يحلل ثورتها العارمة ونفسيتها القاتمة عندما خيل اليها أنها عقيم وأن زوجها قد عثر على ابنه من صلبه وأنها ستطرد من دارها بعد سبع عشرة سنة من الزواج . أما ولاء المربى العجوز لمولاته فى محنتها واستعداده للقيام بكل شيء فى سبيل أرضائها فهو أمر معروف فى قصص يوربيديس الأخرى . فاخلاص مربية فايدرا فى قصة هيبوليتوس لايقل قوة عن ولاء عبد كريوسا .

ومن المفيد أن نتذكر أن الإنسان فى كل عصر أو زمان إذا أطبقت عليه المحن أو رأى البلاء يتساقط عليه أو على غيره دون استحقاق تحرك لسانه ضد الآلهة .

يقول تالثيبيون Ταλθυβιος فى قصة هيفيا ، سطر ٤٨٨ وما بعده عندما هزه منظر هيفيا التى ترقد على الثرى وقد عفر التراب شعرها وزال عنها عزها وانهالت عليها المصائب من كل حدب : أى زوس ماذا أستطيع أن اقول ؟ هل تطلع عيناك على البشر ؟ !

ὦ Ζεῦ, τί λέξω; πότερά σ' ἀνθρώπους ὁρᾶν.

---

(١) أشار ثوكيديدس ٢ ، ٥٤ ، ٤٠ إلى النبوءة التى يعد فيها أبولون بمناصرة أسبرطة ضد أثينة . روز ، تاريخ الأدب اليونانى ، ١١٩٢ .

That a stage god should so frankly criticize a god even a pro-spartn one, gives and idea of the width of Athenian tolerance.

ويشبه ذلك ما جاء على لسان الجوقة فى مسرحية هيبوليتوس ، سطر ١١٠٢ من التردد بين الشك واليقين فى رعاية الآلهة للبشر ، بعد نفى هيبوليتوس البرئ وصب اللعنات القاتلة عليه ، وخروجه إلى مصيره المحتوم . وأقوى من ذلك ما تعلن الجوقة فى سطر ١١٤٦ من سخطها على الآلهة μανίω θεοῖσιν عندما تفكر فى نفى هيبوليتوس ومتاعب أمه فى الحمل والمخاض التى ذهبت عبثا (سطر ١١٤٤ ١١٤٥) :

ὦ τάλαινα

μᾶτερ, ἔτεκες ἀνόνατα

قارن : ميديا ، ١٠٢٩ — ١٠٣١ ، ولا سيما سطر ١٠٣١ :

στερρὰς ἐνεγκοῦσ’ ἐν τόκοις ἀλγηδόνας.

المراجـــع

أ . أ . جوردن ، عبادات أريكية فى منشورات جامعة كاليفورنيا فى الآثار الكلاسيكية نوفمبر سنة ١٩٣٣ .

أبقـراط : عن المرض المقدس .

ابن رشد : تلخيص الخطابة ، تحقيق الأستاذ الدكتور محمد سليم سالم .

ابن سـينا : الخطابة ، تحقيق الأستاذ الدكتور محمد سليم سالم .

ادوار ديلبك :

Edouart Delebecque Etudes et commntaires Euripide e la guerre de Peloponese Paris (1951).

أرسطو : عن فن الشعر ، أرسـطو فى الكتاب الثـالث من مؤلفـه فى الريطوريقا .

أرسطو : فى كتاب الخطابة أرسطو ، ريطوريقا عن التقرير والتعذيب

أرسطو : عن فن الشعر طبعة هاردى مجموعة . Budé

أرسطوطاليس : فن الشعر ، ترجمة متى بن يونس ، طبعة بدوى القاهرة ١٩٥٣ .

أرسطو فانيس : الضفادع .

أفلاطون : الدفاع عن سقراط .

أفلاطون : فيدون ، طبعة برنت .

أفلاطون : فيدون ، ترجمة الدكتور عزت قرنى .

أغسطس نوك :

Augustus Nauck Evripides Perditarum Tragoediarum Fragmenta Iterum Recevit Lipsae Teubneri (1957) .

البدائع : يوربيديس، أندروماخا، ترجمة الأستاذ الدكتور محمد سليم سالم.

أ . و . فيرال :

A. W. Verrall, Euripide The Rationalist: A Study in the History of Art and Religion, Cambridge.

أوفيد : البطلات .

أيسخيلوس : دراسات فى المسرح الأغريق ، الأستاذ الدكتور عبد الله المسلمى .

أيسخيلوس ، عن القدر ، دراسات فى المسرح الاغريق نظر الأستاذ الدكتور عبد الله المسلمى .

Bury : تاريخ اليونان .

باريت :

Barrett, Euripides Hippolytos Eited With Introduction and commentary by W. S. Barrett Fellow and Tutor of Keble College Oxford (1964).

بـلوتارك : سيرة ثيسوس .

بـلاوتوس : قصة الوعاء Aulularia ترجمة المرحـوم الأسـتاذ الدكتور أحمد عبد الرحيم أبو زيد .

بـلاوتوس : قصة امفيترو طبعة أرثر بالن .

بندار : الأناشيد الأوليمبية .

بـول دشرم :

Paul Decharme — Euripide et l'esprit de son theâtre

ثوكيديدس : ٢ .

جلـبرت مرى : تاريخ الأدب اليونانى .

جلبرت مرى : يور بيديس وعصره .

فـيرجيل : الانيادة ٤ .

فـيرجيل : الانيادة ٦ .

فرنسواجوان :

Francois Jouan Euripide et les légendes des chants Cypriens (1966).

فيلكوت :

Vellacott Ironic Drama Hippolytus.

دف : تاريخ الأدب الرومانى، ترجمة الأستاذ الدكتور محمد سليم سالم .

راسين — فايدرا :

Racine Phèdre Nouveaux Classiques — Larous Michel Autrand.

راسين فايدرا :

Racine Phèdre — Henri Chabot.

ر . ج . تـيرل : نساء طروادة :

ر . ك . كنايت :عن زواج الأرامل :

R. C. Knight Racine et la grèce (1973).

ر . ك . كنايت :عن كلمة الكراهية

R. C. Knight Racine et la grèce (1973).

روز : الأساطير اليونانية .

روز : الأسطير اليونانية أسطورة بيرسيوس .

روز : تاريخ الأدب اليونانى .

روز : الأساطير اليونانية عن أسطورة إلهـات القدر .

روز : الديانة اليونانية القديمة .

سافو :

Sappho Anthologia Lyrica Ed Hillea Leipzig (1911).

سيشرون : فى كتابه عن طبيعة الآلهة ترجمـة H, Rackham فى سلسلة لويب .

سيشرون : الخطيب طبعة Sandys كمبردج .

سيشرون : الخطيب طبعة Bederit ليدرج .

سيشرون : الدفاع عن روسكيوس

سيشرون : Cicero Pro Sulla.

ســينكا :

Sénêque Tragadies Tome I Texte établi et traduit par Leon Herrmann (1924)

ســينكا :

Seneca Tragadies Tr. by F. J. Miller London (1917) Comparative analysis of the Hippolitus of Euripides, the Hippolitus of Seneca.

سوفوكليس : أوديب ملكا .

سوفوكليس : اياس .

سوفوكليس : أوديب فى كولونا طبعة لويس كامبل أكسفورد .

سيرجون ساندر : الأناشيد الأوليمبية .

شارلرن كندى :

The Oration of Demosthenes IV London (1889) by Charles Rann Kennedy.

شكسبــير : يوليوس قيصر .

كــوب : شرح كوب فى الدفاع عن الخصم .

كونتليان : مبادئ الخطابة ، ١٠ ، ١ .

كونتليان : مبادئ الخطابة ١٠ ، ١ ، ٤٩ .

كونتليان : مبادئ الخطابة ١٠ ، ٤٩ .

ليسياس : مصرع أراثوستنيس طبعة Teubner .

لويس مريديه :

Louis Méridier — Euripide Hippolytus.

لويس كونيت :

Louis Cognet " Que — sais Je " (Le point des Connaissances actuelles) Le Jensénisme. Paris (1961).

ليـــفى

م . أرتـــو :

Tragédies d' Euripide Trad. Par M. Artaud, Paris (1857).

م . باتان :

M, Patin, Etudes sur les tragiques grecs, Euripide Tome I Paris (1873).

هـــوراس : رسالة إلى آل بيسو ترجمة محمود على الغول .

هـــوراس : رسالة إلى آل بيسو الرسائل ، ٢ ، ٣ .

هـــوراس : الأناشيد ، ٣ ، ١ ، ١٥ .

هوميروس : الاليادة ١٨ ، ٢٠ .

هوميروس : طبعة Merry .

هوميروس : الأوديسيا ، ٨ .

هـيردوت : ٦ ، ١٠٨ ، ١

ولسيم لانجر : موسوعة تاريخ العالم الترجمة العربية .

ويكلين :

Wecklein Ausgewehlt Tragodien Des Euripides Fur Den Schulgebrauch Erklart Von N. Wecklein Hippolytos Leipzig und Berlin (1908),

يوربيـديس : هيبوليتوس .

يوربيـديس : هيقبا ، ترجمة الأستاذ الدكتور عبد الله المسلمى القاهرة ١٩٧٥ .

يوربيـديس : هرقل المجنون .

يوربيـديس : Stheneboea

يوربيـديس : ميـديا

يوربيـديس : الكستيس Alcestis

يوفينـال : ١٠

الفهـــــرس

صفحة

مطبعة دار الكتب ٩٥٢٤ / ١٩٨٨ / ٣٣٠٠

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٨٤٥ / ١٩٨٨

الترقيم الدولى ISBN 977-01-1848-6

كتب يوربيدس قصتين عن حب فايدرا لابن زوجها هيبوليتوس ولكن فى القصة الأولى باحت فايدرا بنفسها بحبها لهيبوليتوس ولكن هذا أساء إلى شعور الاثنين فغير يوربيديس القصة وجعل المربية هى التى تخبر هيبوليتوس بحب زوجة أبيه له .

ولكن فى راسين وفى سينكا باحت فايدرا بنفسها لهيبوليتوس بحبها له .

وفى الثلاث قصص اليونانية والفرنسية واللاتينية كانت مغلوبة على أمرها فلم يكن بإرادتها هذا الحب ولكن كانت ضحية للإلهةأفروديت التى كانت تريد الانتقام من هيبوليتوس لأنه كان يتكبر عليها ويبجل الإلهة أرتميس آلهة الصيد وكان يرفض الحب ويهرب منه .

وقد انتهت القصة بكارثة مروعة بطرق شتى نشأت باستجابة الإله بوسيدون للعنة التى صبها ثيسيوس على ابنه هيبوليتوس .

أما راسين فقد تأثر فى قصته بالوسط الذى كان يعيش فيه أعنى فى بلاط لويس الرابع عشر وماكان يحاك فيه من قصص غرامية .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٣٠٠ قرش